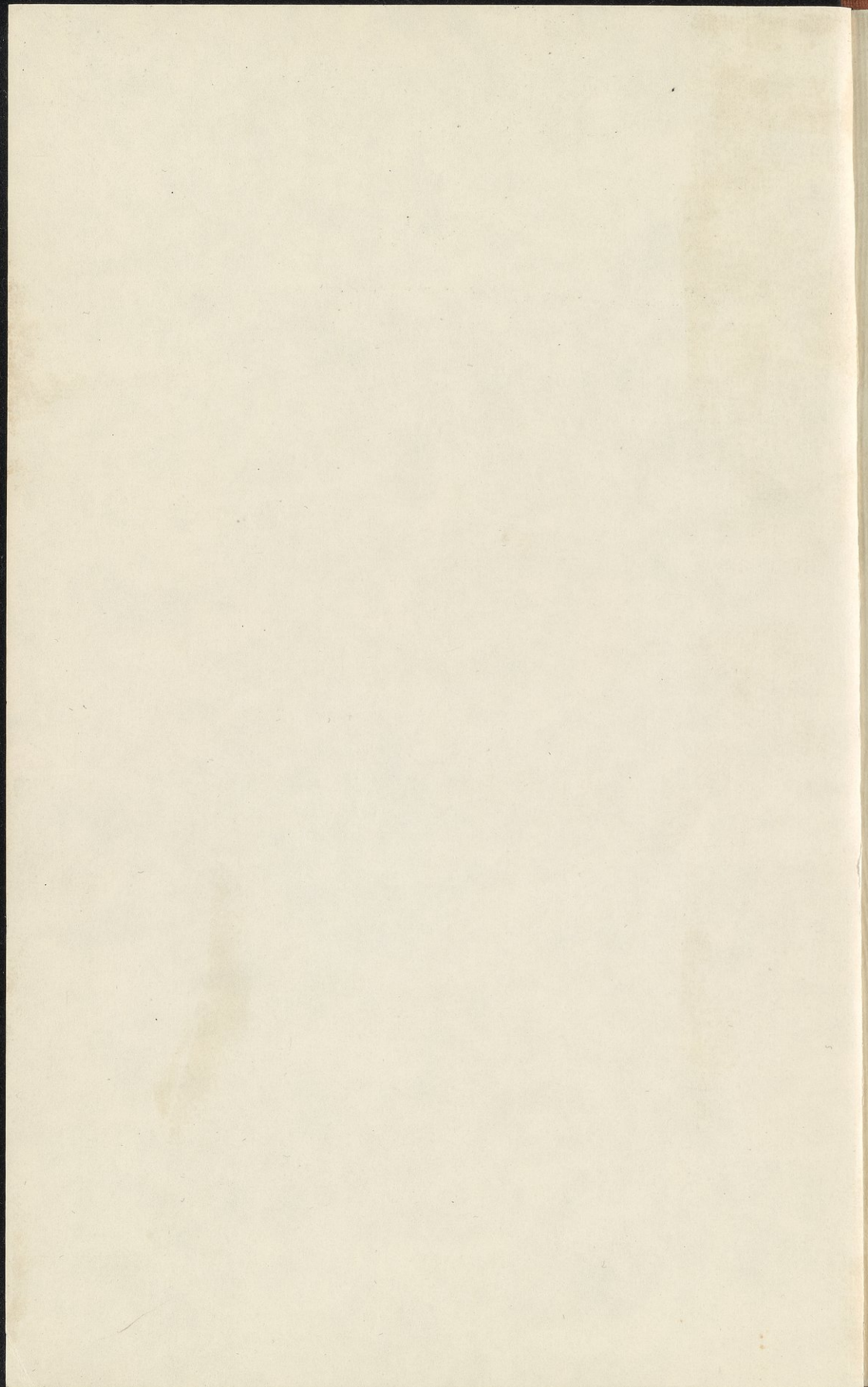
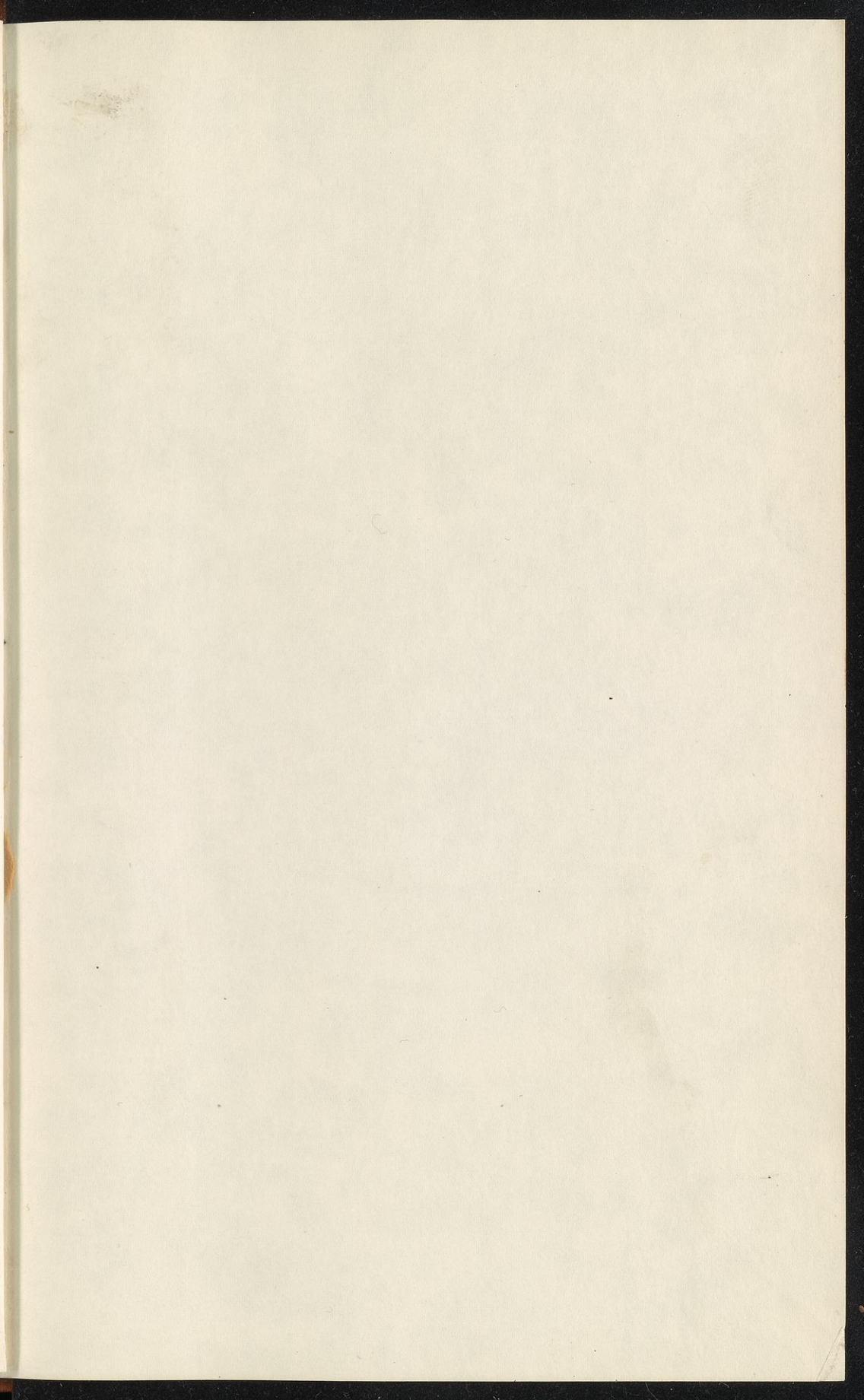


PN
5449.I7
T5





الصَّحَافَةُ الْعِرَاقِيَّةُ

وَأَتَجَاهُهَا السِّيَاسِيَّةُ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةُ وَالثَّقَافِيَّةُ

من (١٨٦٩م - ١٩٢١م)

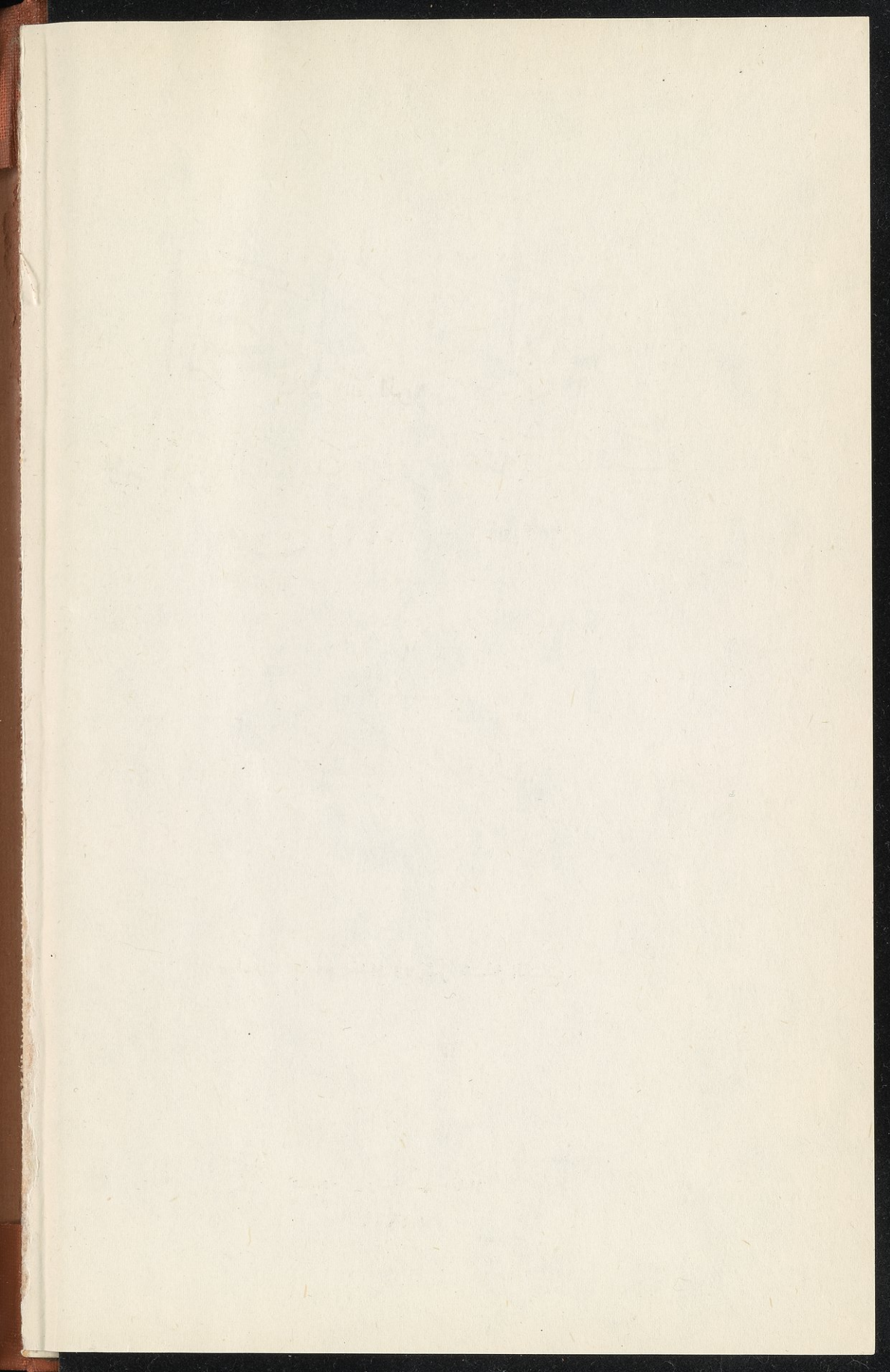
تَأَلَّفَ

مُنِيرُ بَكْرِ لَيْسِي

ساعدت جامعة بغداد في نشر هذا الكتاب

مطبعة الارشاد - بغداد

١٩٦٩



بسم الله الرحمن الرحيم

«الاهداء»

الى التي صدحت في وجداني :

« لتكن لك براءة الاطفال ورجولة الرجال »

الى أمي ..

التقديم

بقلم الدكتور عبداللطيف حمزة
رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة

هذا الكتاب رسالة تقدم بها الاستاذ منير التكريتي للحصول على درجة الماجستير بكلية الآداب من جامعة القاهرة • وقد أثني عليه الاساتذة الذين تألفت منهم لجنة المناقشة • أما أنا فقد أسعدني وأعجبني من المؤلف أن يكون من دعاة المذهب الجديد ، وهو المذهب القائل بما للصحافة من تأثير بعيد في الادب حيثما وجد • وقد راح التكريتي يطبق هذا المذهب على الادب العراقي والصحافة العراقية في دورها الاول - وهو الدور الذي يمثل بداوة الصحافة العربية في قطر من أقطارها هو العراق - في ذلك الدور كان لا بد للاديب العراقي من أن يظهر للناس بصورة جديدة غير الصورة التي كان عليها قبل نشوء الصحافة • وبعبارة وجيزة نستطيع أن نقول أن الصحافة العراقية خدمت الادب العراقي واللغة العربية خدمة كبيرة • وشاركت كذلك في تثقيف الجمهور العراقي بمختلف الالوان الثقافية • ونقلت بذلك العراقيين من طور الظلام والجهالة التي كانوا عليها في العصر العثماني الى طور العلم ، ويكفي لتصوير هذا الجهل ، وعدم غناية الحكم العثماني بتعليم الشعب العراقي هذه العبارة التي قالها « جون فانيس » وقد زار العراق سنة ١٩٠٣ وأدرك أن العراقيين بحاجة ماسية الى مدارس حديثة يجري التعليم فيها باللغة العربية بدلا من اللغة التركية • ولما فاتح الوالي العثماني بقصده هذا أجابه الوالي متهمكا : « ما أنت واضاعة وقتك في تعليم الحمير »^(١) • ولقد بقي الحال على ذلك حتى اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ واذ ذاك بدأ طور التجديد بعد طور الجمود وسابرت الصحافة

(١) علي الوردي ، طبعة المجتمع العراقي ص ١٣٧

العراقية هذا التطور • وهكذا استطاع الباحث الفاضل أن يبين لنا ما للصحافة من فضل على الادب العراقي بفنونه المختلفة : القصيدة ، والقصة ، والمقال في اتجاهاته الثلاثة : الادبي ، والاجتماعي ، والسياسي • واذا أذن لي صديقي الاستاذ منير التكريتي فأنني أقول له انني أخالفه في نقطة واحدة فقط وهي انكاره ما للصحافة من تأثير على القصيدة الشعرية في كل اتجاهاتها وعندني أن الشعراء العراقيين كانوا ينظمون أشعارهم في نفس الاتجاهات التي كان الكتاب يكتبون فيها مقالاتهم • وهذا فضلا عن التغيير الواضح في الالفاظ والاساليب الشعرية بتأثير الصحافة • فقد كانت هذه الالفاظ والاساليب مخالفة كل المخالفة لالفاظ الشعراء القدماء وأساليبهم •

والخلاف بين الباحثين أمر من الامور الطبيعية في مجال العلم • وهو بركة على العلم نفسه وبركة على طلابه أيضا •

أنظر الى الاستاذ منير التكريتي يقول في كلامه عن الشعر العراقي في فترة البحث : « والمهم هنا أن نقول أن القصيدة كانت تنافس المقال الصحفي في تأدية الاغراض السياسية والاجتماعية ، بل كانت في كثير من الاحيان مقدمة على المقال نفسه • ولذلك لم يكن عجيبا في تلك الفترة أن نجد الشعراء يؤلفون الصف الاول من الصحفيين ، وأن غير الكتاب يؤلفون الصفوف التي تلي ذلك • وهنا نلاحظ الفرق الكبير بين الصحافة العراقية على هذا النحو ، والصحافة المصرية التي أثبت فيها (الدكتور عبداللطيف حمزة) أن المقال كان مقدما على القصيدة ، وأن الكتاب كانوا يؤلفون الصفوف الاولى من الصحفيين وأن الشعراء هم الذين يأتون بعد ذلك » • لقد خالفني الباحث الفاضل في هذه النقطة • • ولكنني أشعر الى الآ بأن الامر في العراق كالامر في مصر سواء بسواء : ينشر الكتاب أولا ما ينشرونه من المقالات في الميدان السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي ، ثم نجد الشعراء يتبعون الكتاب في ذلك ويأخذون عنهم بعض معانيهم كذلك حتى ليخيل الى

انقارىء أن القصيدة الشعرية في ذلك الوقت ليست الا مقالة مقفأة ! هكذا كان شاعر كالزهاوي في دعوته الى تحرير المرأة • كان يتأثر في ذلك بالكتاب المصريين الذين تولوا نشر هذه الدعوة في جريدة « المؤيد » للسيد (علي يوسف) • وكان الزهاوي يشترك أحيانا في تحرير هذه الصحيفة ويكتب فيها مقالات في نفس المعنى • وحين ترك الزهاوي مصر الى العراق وجدناه ينظم في هذا الغرض بعض قصائده • فثار عليه العراقيون ثورة عنيفة في أول الامر ثم هدأت ثورتهم بعد ذلك ، وانبرى شعراء آخرون يدعون الى نفس هذه الدعوة •

وبعد : فأنا اذ أقدم هذا الكتاب للقراء أهنيء به المؤلف أصدق التهنية وأتمنى له المضي في طريق البحث حتى يقدم لقراء العربية كتابا من هذا الطراز وذلك من حيث الاصاله ومن حيث الدقة ومن حيث الامانة العلمية والضمير الحر الذي ظهر بجلاء في هذا البحث • وفقه الله الى كل ذلك انه سميع مجيب •

المقدمة

ستكون مقدمة كتابي هذا حديثا أعرض فيه بإيجاز العوامل التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع « الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية من عام ١٨٦٩م الى عام ١٩٢١م » وهذه العوامل كثيرة منها :

- ١ - وددت أن أقدم الى أبناء العروبة بحثا يعرفهم بصحافة جزء من وطنهم الكبير وهو العراق ، وليقفوا على الجهاد الصحفي الذي وقفته الصحافة العراقية في فترة البحث ، اذ تعتبر الصحافة المصدر التاريخي الهام لدراسة أحوال العراق ، فهي تناج أفكار أبنائه ، وتعقب لنضالهم ، وسجل لضحاياهم •
- ٢ - تبيان المراحل التي مرت بها صحافتنا العراقية في أدوارها المختلفة ضمن واقعها السياسي والفكري •
- ٣ - توضيح مقدار ما أدته الصحافة العراقية الى الادب والمغة من خدمات من حيث تطورها ونقلها من طور التقليد الى التجديد ، ومن طور الاتباع الى طور الابداع ، ثم السير بالشعب نحو ايقاظ الحس القومي ، والمطالبة بالحرية والاستقلال •
- ٤ - وأخيرا رغبت في أن أعطي فكرة بسيطة عما لاقاه الصحفيون العراقيون في كل دور من ظلم واضطهاد ومن حرية وأمان ، لكي يقف أبناء العروبة على الجهاد الذي أداه أولئك المجاهدون في مجال الخدمة العامة •

وعلى الرغم مما يحيط هذا الموضوع من متاعب كثيرة فهو موضوع

عزت فيه المصادر والمطآن ، وقد لمس « الدكتور عبداللطيف حمزة ، رئيس قسم الصحافة بجامعة القاهرة » هذا النقص مما حدا به أن يوجه خطابا الى وزير الدولة العراقي على صفحات جريدة « العرب البغدادية »^(١) شاكيا له قلة المصادر المكتوبة في تاريخ الصحافة العراقية . وهذه المصادر لا تعدى الى الان كتابا صغيرا للاستاذ « رفائيل بطي » ثم كتابا للاستاذ « عبدالرزاق الحسيني » وهو معجم عام للصحافة التي صدرت في العراق منذ نشأتها الى عام ١٩٣٣ ، وهذا كله بالاضافة الى المعجم الذي وضعه « فيليب دي طرازي » في تاريخ الصحافة العربية بوجه عام .

أقول على الرغم من هذه الصعوبات فانها تهون لدى الباحث الذي يروم نفع أمته بتقديم ما غاب عن الاذهان بمعلومات مبسطة تكون الباعث والحافز لمن يريد الخوض في هذا الباب .

وقد قسمت البحث الى سبعة فصول على النحو الآتي :

- ١ - في الفصل الاول : تناولت بالبحث الحالة السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية خلال فترة البحث ، لعلاقة هذه النواحي بالاتجاهات الصحفية .
- ٢ - وفي الفصل الثاني : تكلمت عن نشأة الصحافة وأثر الطباعة في تطورها .
- ٣ - وفي الفصل الثالث : تكلمت عن أهم الصحف التي ظهرت واتجاهاتها في مختلف المجالات .
- ٤ - وفي الفصل الرابع : تناولت بالبحث أهم المجالات التي كان لها الاثر الفعال في اتجاهات الرأي العام العراقي .

(١) جريدة العرب البغدادية الصادرة في ٢٩/١٢/١٩٦٥م

٥ - وفي الفصل الخامس : تكلمت عن أهم كتاب الصحافة الذين أدوا
خدمة لوطنهم في مختلف المجالات *

٦ - وفي الفصل السادس : بينت الصلة الوثيقة بين الادب والصحافة ،
وفيه تناولت بالبحث القصيدة الشعرية والصحافة العراقية ، ثم فصلت
فيه :

١ - القصيدة الشعرية في الاتجاه السياسي والوطني *

٢ - القصيدة الشعرية في الاتجاه الاجتماعي *

ثم بعد هذا تطرقت الى الصحافة العراقية وأثرها في تطور فن المقال .
وقد تناولت بالبحث :

١ - المقالة في الاتجاه السياسي *

٢ - المقالة في الاتجاه الاجتماعي *

٧ - وفي الفصل السابع : تكلمت عن تطور الاساليب الصحفية في فترة
البحث ، لكي تتبين الفروق بين كل طور وطور مرت به الصحافة ،
وما امتاز به كل دور من حيث اللغة والمعنى *

وبعد :

فقد بذلت أقصى ما أستطيع من جهد في كتابة هذا الكتاب الذي
أرجو أن أكون قد وفقت فيه الى شيء يرضي العلم والعلماء *

طبعة
المكتبة المركزية

الحالة السياسية

١ - العهد العثماني :

خضع العراق مدة طويلة للحكم العثماني (١٦٣٨م - ١٩١٧م) ، وقد اعتاد المؤرخون أن يعطوا صورة شوهاء للإدارة التركية في العراق ولا يخلو ذلك من البالغة ، « ومع ذلك فليس هناك من يعترض اذا قلنا بأن نظام الحكم كان ناقصا بصورة مؤلمة من حيث المبدأ والتطبيق »^(١) . وسيطرتهم على أجزاء العراق تكاد معدومة تقريبا الا في بعض المدن الكبيرة ، ولعل أهم سبب أدى بسياستهم الى الاضطراب هو استعلاء الموظفين على من هم دونهم وكأنهم يشتغلون لمصلحتهم واسعادهم حتى ظهر بجلاء الاختلاف البين بين المبادئ والعمل ، فأصبح القانون معطلا ما دام « الولاة يشتررون وظائفهم بالمال من السلاطين فكانوا يتعهدون بدفع المبلغ الفلاني قبل الذهاب الى العراق »^(٢) ، فما على الوالي الا أن يحاول جهده لجمع أقصى ما يمكن جمعه من المال ليعوض عما فقده ، بل « ادخار مبالغ طائلة ليشتري بها مناصب أرقى أو رتبة يطمح لها »^(٣) ، نتيجة لهذا ساءت الادارة وغدت الوظائف والمناصب تمنح لغير مستحقها والرشوة طابعا ملازما لكثير منهم بدونها لا تنجز مهمة ولا تنتهي قضية .

يروى : - أن قاضي الشطرة - قضاء - انتهت مدته ورغب في اعادة تعيينه في سوق الشيوخ - قضاء - أو الحي فأبرق البرقية التالية الى قاضي بغداد يلتمس منه ترشيحه لأحد هذين المنصبين قال :

-
- (١) فيليب ايرلاند - العراق ، دراسة في تطوره السياسي - ترجمة جعفر خياط ص ٤٧ بيروت عام ١٩٤٩ .
(٢) أنستاس الكرملي - خلاصة تاريخ العراق ص ٢٠٦ البصرة عام ١٩١٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢٠٧ .

(ان سقتم الشيخ الى السوق فممنون بخمسين ، وان أودعتم الميت الى الحي فممنون بستين) (١) .

استمرت الاوضاع تسير من سيء الى أسوأ لاتباع الولاة ، سياسة عاصمة الدولة ، توزع اليهم بما طلبت وكل من أحدث خلاف ذلك عجل بعزله . ولما قدم الوالي « مدحت باشا » ١٨٦٩م قام بالاعمال الجلييلة مدة ولايته الوجيزة (١٨٦٩ - ١٨٧٢) وحاوول جاهدا اصلاح الجهاز الاداري والقضاء على عوامل التذمر والشكوى من الموظفين ، وكان يتحقق بنفسه من كل ذلك ، ومما يذكر أنه علم « أن متصرف كربلاء - اسماعيل باشا - كان سيء الادارة مرثشيا ، وكذا بعض الموظفين على شاكلته ، فذهب بنفسه وأجرى التحقيق فثبت له ما كان قد عزي الى المتصرف فعزل في الحال وأمر بأخذه للمحاكمة (٢) . خشى الموظفون من هذه المراقبة لانها خير رادع لهم واطمان الناس لهذه الاجراءات السليمة .

هذا ما كانت عليه الادارة في المدن الكبرى ، أما أجزاء العراق الاخرى فكانت الامور في فوضى لا حد لها لسيطرة النظام القبلي السني ساعدت الدولة العثمانية على تمر كزه تمشيا مع أغراضها السياسية وفقا للمبدأ القائل : « فرق تسد » فكانت تستعدي قبيلة على أخرى بأغراء شيوخها بالمال وربما استعانت ببعضها لاختماد فتنة قامت بها أخرى (٣) ، الا أن « مدحت باشا » قضى على هذه الفتن ليتمكن من انجازات أخرى ينتظرها البلد . فعمد الى توطين العشائر ، وتوفير سبل الري ، وتفويض الاراضي الاميرية لهذه العشائر ، وكان يهدف من عمله هذا الى هدف سياسي حيث استطاعت حكومته جباية الضرائب ، وفرض الجندية ، وقد آتت هذه

(١) سليمان فيضى - في غمرة النضال ص ٥٥ بغداد عام ١٩٥٢ .

(٢) راجع : جريدة الزوراء الاعداد (٢ ، ٣ ، ٤) عام ١٨٦٩

(٣) راجع : مهدي البصير - القضية العراقية - ج ١ ص ٧ بغداد

١٩٢٤ ، عبدالله الفيض - الثورة العراقية الكبرى - ص ١٧

السياسة ثمارها في مختلف المجالات الاهلية والادارية •

ومن الطريف هنا أن نذكر رواية سليمان البستاني في كتابه الموسوم
بـ « عبرة وذكرى » مضمونها :

حين قدم « مدحت باشا » بغداد واليا جمع مجلس الادارة واقترح
على أعضائه أن يكتبوا الى الباب العالي استئذانا بزيادة الضرائب •• فوافقوه
على اقتراحه وكتبوا المحضر وختموه بأختامهم ، وبعد أيام عاد المجلس الى
الاجتماع فاذا « بمدحت باشا » يقول :

(أنه وجد الضرائب الحالية ثقيلة ••• واقترح أن يكتبوا قرارا
آخر يبينون فيه للباب العالي تسرعهم في اصدار قرارهم الاول فوافقوه على
اقتراحه ، وكتبوا المحضر وختموه بأختامهم وهنا أخرج « مدحت » من جيبه
القرار الاوالم الذي تعمد عدم ارساله •• ومزق القرارين أمام الحاضرين ،
ثم ألقى عليهم درسا في الكرامة والوطنية والدقة في العمل) (١) •

وقد تعاقب على العراق بعد عزل (مدحت باشا) عام ١٨٧٢ ولاية
متعددون لم يقيم اكثرهم بعمل يذكر ، فكانوا ضعافا في الادارة تعوزهم
الثقافة والمعرفة ولم تعرف سوى اسمائهم ، وصار العراق يستقبل الواحد
ولم تمض مدة حتى يودعه ويحتفل بآخر غيره فكانت هذه خير ملهاة حتى
صح قول العراقيين في هذه الحالة ما تناقلته اللسان « قبل ما سلم حتى
ودّع » •

ولم يكن الامر مقصورا على الولاية وحدهم فقد كان السلاطين انفسهم
على درجة من الضعف والخور •

ومما يروى عن السلطان محمد الخامس - محمد رشاد - انه
جاءته بعض نساء القصر تشكو حالها لاصدار القرار باعدام صهره - صالح

(١) سليمان البستاني - عبرة وذكرى - ص ٦٨-٦٩

بك - وكانت تبكي : فتضرع اليهم - الحكام - فلم يقبلوا له شفاعة فبكى ،
وبعد الشنق تبين انه بري^(١) ، هذا ما كان عليه الولاية .
اما الحرية :

فقد انتزعت من السنة الناس ومن قاموس الحياة لانها (عدوة السلطان
واعوانه ، اسمها محرم لفظه ، وممارستها جريمة لا تغتفر . . . فالحريات
بأنواعها المختلفة لم تكن لتباح . . . كحرية الكلام والنشر والصحافة . . .
وان الاسماء التالية حرم اطلاقها على الاشخاص ، سلطان ، خليفة ،
عبد الحميد ، فمن كان اسمه سلطان وجب عليه ان يبدل الطاء بالتاء فيدعى
سلطان ، ومن كان اسمه عبد الحميد حور الى حامد أو حميد^(٢) فكان
الشعب في خوف دائم من وشايات العيون التي كمت الافواه ، لا يعترض
في أمر ولا يتماهل في رد طلب^(٣) .

اما الامن :-

فقد كان مفقودا نتيجة لسوء الادارة ، حتى اصبح اللصوص وقطاع
الطرق يرتكبون جرائمهم نهارا وهم في مأمن من العقاب ، ما عدا بغداد
والموصل فكثرت اهنون سرا « اذ لم تكن الاعمال اللصوصية فيهما تتعدى
السراقات الفردية في جنح الظلام »^(٤) .

أما البصرة : فقد كان الناس يحرسون ممتلكاتهم بانفسهم ، ويدافعون
عن حياتهم بسلاحهم كأن لم تكن هناك حكومة ولم يكن هناك قانون .

(١) راجع : فهمي المدرس - مقالات - ص ٧٣

(٢) سليمان فيضى - في غمرة النضال - ص ٤٨

(٣) راجع : عباس العزاوي - العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٤٧ -

١٤٨ في تفصيل المعارك التي وقعت بين الرشيد وابن سعود ، وكيف سبق
العراقيون الى تلك المعارك .

(٤) سليمان فيضى - في غمرة النضال - ص ٤٩ ، وراجع : ص ٥١

في قضية نهب الصيرفيين والحوادث الاخرى .

الواقع ان الاوضاع عامة ساءت الى درجة لم يطق معها الصبر واستمرت الى ايام اعلان - المشروطة - في ٢٣ تموز عام ١٩٠٨ حيث استبشر الشعب بهذا الحدث مؤملاً ان ينال حقوقه المهضومة وتستقر اوضاعه ، وقد اندفع معظم المثقفين العراقيين في مناصرة هذه الحركة ، فكانت نتيجة اعلان الدستور انتخاب « مبعوثان » أي - نوابا - من العراق ، لكنهم جاؤا بطريق التعيين لا بالانتخاب وكان نصيب العراق سبعة عشر نائباً •

وقد افتتح المجلس في السابع عشر من كانون اول عام ١٩٠٨م ، وقد ملاً هؤلاء النواب الدولة العثمانية ، وارتموا في احضانها ، ومالوا الى الوظائف لينالوا رواتب اكثر غير آبهين بشعب ولا بمسؤوليتهم ولقد صدق فيهم قول الشاعر العراقي - معروف الرصافي :-

يا اهل بغداد متى ينجلي
هذا العمى عنكم وهذا الفتور
قد اعلن الدستور لكنكم
لم تظفروا منه ولا بالقشور
يقول من شاهد مبعوثكم
سبحان من يبعث من في القبور (١)

الا ان الحزب الحاكم « الاتحاد والترقي » الذي كان في رأس منهجه تترك العناصر غير التركية ، وحقده على كل ما هو عربي ، ابعد من عضوية « مجلس المبعوثان » ومجلس الشيوخ كل من كان معتزاً بقيمه العربية ، وقرب كل عربي نزع عنه اخلاقه التي فيها ومال الى اخلاقهم • اما (اذا لمسوا من أحد النواب عنادا في الرأي واصرارا على المعارضة ، ارسلوا من يحمل اليه التهديد في ثوب النصيحة) (٢) فكشف للناس

(١) العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٦٠

(٢) في غمرة النضال ص ١٥٤-١٥٥

غرضه وابان قصده ، وما أضمرة من غدر للعرب فقد اراد بلقتهم موتا اذ جعل اللغة التركية لغة رسمية في المحاكم ، ولغة علمية وادبية في المدارس ، و اراد بهم هوانا اذ أبعدهم عن الوظائف وقلدوها الاتراك او لمواليهم من العرب ممن تظاهروا بالترك اكثر من الاتراك انفسهم .

وقد بلغوا بحرکتهم العنصرية امعانا في التشهير والطنع تجلت فيها الشعبوية بأشع مظاهرها من ذلك ما نشرته صحيفتهم « اقدم التركية » :- « ان العرب يبيعون كل شيء بالمال حتى العرض » .

يقول صاحب كتاب الثورة العراقية : « استخدم الاتحاديون ، فضلا عن الصحافة والمنظمات السياسية ، الدين لتحقيق اغراضهم فشحجوا بعض خطباء الجوامع على النيل من الدين والخلفاء الراشدين وآل الرسول ، وقد جمعت الحكومة اقوال احدهم واسمه « عبيدالله » في كتيب عنوانه « شعب جديد » طبعت منه الملايين ووزعته على الاتراك » (١) .

وبلغ بهم الهوس انهم اذا طلب اي شخص بناء مسجد او ترميم آخر وقفوا في وجهه « وربما ادى بهم الامر الى اضطهاده ليعدل عن فكره » (٢) . فأحدث ذلك رجة في البلاد العربية ، وقام شعراء الأمة وكتابها يكافحون عن حقوقها ويطالبون بحريتها ، معتزين بقومية اريد بها شر وبهم هون مطالبين بأشراكهم في ادارة شؤون الدولة ومسؤولاتهم مع التركي في كل شيء لانها من حقوقهم الطبيعية .

وكان للصحف الوطنية دور فعال بالمطالبة بأصلاح الحال وتعيين ولاة يصلحون ما فسد .

جاء في جريدة الرقيب البغدادية :-

(١) عبدالله الفياض - الثورة العراقية - ص ٤٣

(٢) خلاصة تاريخ العراق ص ٢١٠

« الشعب العراقي يريد ان يتولى وال من يقوم المعوج ويصلح
المفاسد ونجد الاعتراضات تترى على تعيين وال لا يفهم العربية ولا يتمكن
ان يطلع على احوال الاهلين واستماع شكاواهم رأساً وبلا واسطة ، وامثال
هذه الاعتراضات ليس لها من سامع » (١) .

عم الفساد وزاد الاضطراب لانصراف اذهان الناس الى ان مفهوم
الحرية :- ان تسوغ لهم ما شاؤا ولعل اصدق صورة لهذه الحالة ما قاله
(معروف الرصافي) بقصيدة عنوانها « بغداد بعد الدستور » :-

ارى بغداد تسبح في الملاهي
وتعبث بالاوامر والنواهي

رمت حملانها الارباق حتى
تناطحت الكباش مع الشياه

ايا بغداد ان الامر جد
فخلي بعض هزلك في الملاهي

جميع الناس قد نفضت كراها
وابدت للعلی نظر انتباه

وفيك معاهد الدستور تشقى
بغفلة غافل وبسهو ساهي (٢)

هذا ما كان عليه العراق في القرن التاسع عشر . أما حالته في بداية
القرن العشرين فقد طرأ تحول في ظروفه السياسية حيث بدأت طلائع
الوعي العربي تفعل فعلها في نفوس متتوري العرب ، و « لعزیز علی

(١) جريدة الرقيب العدد (٦٦) عام ١٩٠٩

(٢) المصدر نفسه العدد (٥٦) عام ١٩٠٩

المصري « (١) الفضل الأكبر في بعث روح الغيرة القومية ، وقد صدق الاتحاديون حينما وصفوه بأنه « بيت الفكرة القومية في الجيش » (٢) فقد أسس حزب العهد عام ١٩١٣ وانشئت له ثلاثة فروع في بغداد والموصل، والبصرة ومن اهدافه كما ذكرها مهدي البصير :-

١ - الاستقلال الداخلي للبلاد العربية على ان تكون متحدة مع حكومة الاستانة .

٢ - على رجال العهد ان يفرغوا قسارى جهدهم في بث الدعوة للتمسك بالاخلاق الفاضلة لان الاممة لا تحتفظ بكيانها السياسي القومي ما لم تكن مجهزة بالاخلاق المهذبة الصالحة .

الا ان هذه الحركة كانت تسير ببطء لانها اعتمدت على الطبقة المثقفة . وكانت في ظاهرها تعمل على احياء تراثنا الثقافي وبعث كياننا السياسي ، ولا ينكر ما لسورية من فضل في ايقاظ الوعي السياسي والفكري في العراق عن طريق المطبوعات والصحف كالمقتبس والعرفان فقد أثرت في أفكار حملة الاقلام مما ادى الى حركة تدمر واسعة ، فكانت الصحافة من الوسائل الهامة لتنظيم الحركة التحررية ولم صفوفها ، والتسيه الى سوء الاوضاع وفسادها في مختلف شؤون البلاد .

وقد ادرك المعنيون بالحركة القومية ان حركتهم تبقى محدودة الاثر

(١) ينتمي (عزيز علي) الى أسرة عراقية تسمى (آل عرفات) تسكن البصرة ثم انتقلت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري الى القوقاس وسبب ذلك أن الصدفة جمعت في طريق مكة بين ثاني أجداد المترجم وبين أحد عظماء القوقاس ، فسافرت (آل عرفات) الى هناك ثم صاهر صديقه القوقاسي الكبير وولد حفيده (علي بك) والد المترجم في القوقاس كما ذكر مهدي البصير في كتابه (تاريخ القضية العراقية) ج ١ ص ٢٣ .

(٢) مهدي البصير - القضية العراقية - ج ١ ص ١٤

(٣) للتوسع في مبادئ هذا الحزب راجع المصدر السابق ص ٣٣

ما لم يتفهم الجمهور مقاصدها واهدافها لذلك عمدوا الى تنظيم الجماهير وتوعيتها عن طريق الانخراط في الجمعيات والاحزاب السياسية (١) .

بقيت السياسة العثمانية في العراق على هذه الحالة المتردية حتى اعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ في الثامن والعشرين من تشرين الاول اتجهت « استانبول » الى تأثيرها المعنوي والروحي للرابطة الاسلامية في تصوير أي ضعف او هجوم على أي جزء من أجزاء الدولة العثمانية انما هو طعنة ضد الاسلام حرصا منها على عرشها المبني على اشلاء الابرياء .

وقد نجحت في تصوير هذه النزعة وتحريكها لدى رجال الدين ، فأندفعوا في التعبير عن هذه الرابطة بأخلاص وأمانة حيث أفتى معظمهم من السنة والشيعة بوجوب الجهاد لدفع الضرر عن المسلمين « وأن تعزيز موقف المسلمين تجاه الانكليز غير المسلمين أمر لا مناص منه حسبما تقتضيه احكام الشريعة الاسلامية » (٢) .

ومما تجدر الاشارة اليه ان كثيرا من العراقيين استمروا في معاونتهم للترك في حربهم ضد الانكليز حتى نهاية الحرب .

ومن المدهش ان كل قوة استعمارية دخلت المنطقة العربية وحاولت السيطرة على اقدارها ، جربت بشكل او بآخر استغلال الدين لضرب القومية ثم استغلال القومية لضرب الدين وفي الحالين كان هدفها تأكيد سلطانها وضمان مصالحها ، وهذا ما فعلته بريطانيا بالذات على لسان قسطلها البريطاني في البصرة بعد اعلان الحرب العالمية الاولى في رسالة سرية الى « طالب باشا النقيب » يطلب فيها معاونته لهم لاحتلال البصرة مقابل تنصيبه حاكما عاما على البصرة والناصرية والعمارة ، وجعل اللغة العربية لغة رسمية في الدوائر الحكومية والمدارس ، وتعيين موظفين عراقيين

(١) راجع : عبدالله الفياض - الثورة العراقية - ص ٤١ ، ص ١٠٧

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٧

في جميع مناصب القضاء والدوائر الرسمية .. الخ (١) وهي نفس المطالب التي طالب بها العراقيون من الدولة العثمانية التي كان نصيبها الرفض على الدوام .

الا ان « طالب النقيب » رد على ذلك بقوله :-

« ابحثوا عن يعينكم على استعمار بلادنا ، واعلموا ان الذي لا يرضى بحكم الاتراك اخوانه في الدين حري به ان يأبى حكم الانكليز (٢) .

فقد أرادت بريطانيا ان تستغل بهذا التمزق الواقع بين العراقيين والعثمانيين ، وان تنكأ الجرح من جديد مستغلة بذلك القومية لضرب الدين . ومع كل هذه الوعود فأنا العراقيين اشتركوا ، كما قلنا ، في الحرب مع العثمانيين ، وكان للمجاهدين العراقيين مواقف مشهودة . وبعد حرب دامية تمكن الانكليز من احتلال البصرة في الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٤ ، وقد استمروا في زحفهم الى بغداد وبعد معارك مريعة احتلت بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧ ، وفي عام ١٩١٨ احتلت الموصل وبقية انحاء العراق « وربط العراق بالانكليز ربطا عسكريا محكما وفصل عن الباب العالمي .. » (٣) .

« ان العثمانيين بعد ان فتحوا ممتلكات الدولة الكلدانية والاشورية . وبعد ان تمسكوا بها قرونا اربعة بأسم السلطان تركوها ولا تزال متأخرة جاهلة ، تعمها الفوضوية وهي ساخطة على حكامها » (٤) . وقد كان احتلال بغداد بداية عصر جديد وتغييرات لم يشهدها قطر آخر في العالم « حيث استبدل العراق بأسياده الشرقيين المسلمين .. اسيدا مسيحين غربيين وكان

(١) راجع : في غمرة النضال ص ١٨٨

(٢) المصدر السابق ص ١٩٢

(٣) القضية العراقية ج ١ ص ٤٩

(٤) أربعة قرون ص ٣٥١ ترجمة جعفر خياط .

الفتح العسكري مصحوبا بتأثير حضاري قوي ، ناتج عن اتصال العراق
بمدينة الغرب • وظهر هذا التأثير واضحا في الحقول السياسية والاجتماعية
والاقتصادية «^(١)» • فمن الناحية السياسية ، موضوع بحثنا :

٢ - العهد البريطاني :

نجد حركة القومية العربية قد اشتد ساعدها وزاد اتصالها بالحركات
القومية في الوطن العربي كسورية ومصر ، وكانت حالة البلد السياسية بين
مد وجزر بين القوات المحتلة والوطنيين وحافلة بجسام الامور فكـانت
أساليب موظفي حكومة الاحتلال قاسية لم يألفها الشعب العراقي وقد سبق
ان طبقوها في الهند •

ولعل ما قام به « كرين هاوس » حاكم النجف أصدق دليل على
قساوتهم ، فكان اذا مر بشارع جعل امامه من يستعمل السوط ليفسح
الطريق للحاكم المذكور ، وكان خلفه « الكابتن ونيكت » الذي كانت
شراسته مضرب المثل^(٢) ، يضاف الى ذلك « ان الحكام السياسيين قلدوا
اناسا من العوام بعض المناصب الامر الذي أزعج الاهلين »^(٣) كما انهم
عاملوا ابناء العشائر معاملة شعب غير متمدن ، فأعتمدت في حل مشكلاتهم على
التحكيم العشائري ، ثم اصدرت نظام دعاوي العشائر المدنية والجزائية في
السابع والعشرين من تموز عام ١٩١٨^(٤) • بالاضافة الى كل ما تقدم فقد
أرهقت الشعب بالضرائب •

اما التبرعات فقد كثرت وتعدد وجهات صرفها لمنفعة القوات

(١) تقارير الدائرة السياسية لحكومة الاحتلال ص ٦١ عام ١٩١٧

(٢) راجع : عبدالله الفياض - الثورة العراقية - ص ١٣٥

(٣) محمد طاهر العمري - مقدرات العراق السياسية - ج ٣ ص ٤

(٤) وقد صنعت ثورة الرابع عشر من تموز خيرا بالغائه وبذلك
أزالت الوصمة السوداء من جبين القضاء العراقي •

المحتلة (١) •

يقول الجنرال هالدين :- « لقد كانت المسائل المالية تحتل الصدارة في نظرنا » (٢) • وانصافاً للحقيقة ان حكومة الاحتلال مع كل ما تقدم من مساوئها قد مهدت السبل لتهيئة الظروف الملائمة لقيام الدولة العراقية عام ١٩٢١م لاعتمادها في ادارتها على اساليب حديثة متقنة ، ومعالجة المشاكل الكثيرة بالطرق العلمية •

وفي جو الاحتلال الانكليزي الخانق ، كان العراق الجبار جاداً لظفر حق مغضوب وحرية مكبوتة ، وبقيت النفوس تشوق الى تلك الامنية الغالية في انشاء حكومة عراقية ، لكن حكومة الاحتلال كانت تماطل في ذلك مما زاد في نغمة الشعب ، واخذت الدعايات ضد السلطات المحتلة تزداد عنفاً في مختلف انحاء القطر •

وتعتبر النجف الاشرف والكاظمية المنبع الاساس لكثرة من يأمهما من الزوار ، مما هيا الاذهان الى قيام ثورة ، ولا حديث للناس آنذاك الا ما يدور حول وضع العراق والاستقلال والاستعمار (٣) •

وقد فكر المعينون بالحركة الوطنية ان حركتهم تبقى محدودة الاثر ما لم (يوثقوا صلتهم برجال الدين ••• فيستفيدوا من تأثيرهم في نفوس الجمهور (٤) •

وقد شهدت جوامع بغداد ودور العلم في النجف الاشرف والكاظمية

(١) كتبرعات لبناء ملاجئ للجنود في بريطانيا ، وبناء الاثر الخالد للقائد الانكليزي (مود) كما تقول جريدة العرب ، راجع أعداد جريدة العرب ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ عام ١٩١٨ •

(٢) راجع : عبدالله الفياض - الثورة العراقية - ص ١٣٠

(٣) راجع : في غمرة النضال ص ٢٠٢

(٤) عبدالله الفياض - الثورة العراقية - ص ١٩٧

اجتماعات اعدت وهيأت الرأي العام ، وبلورت القيادة الوطنية • فقد كانت تستغل المناسبات الدينية فيها لالقاء الخطب السياسية والشعر الوطني متلوا بالمراسيم الدينية المعتادة •

يقول العمري :- « كانت المظاهرات السلمية والاحتفالات التي تعقد في الجوامع تمردا علنيا يدل على قرب انفجار بركان الثورة .. » (١) •

ويعتبر جامع « الحيدرخانة » مركزا عاما للتجمع والمظاهرات التي تقام ، فكانت توزع فيه رقاع الدعوة للحضور بالشكل الآتي :-

« ان اهالي محلة الميدان يتقدمون الى حضرتكم بالدعوة للحضور في الحفلة التي يقيمونها ليلة الجمعة في جامع الميدان - الحيدرخانة - للترك بتلاوة منقبة المولد النبوي الكريم مشفوعة بذكر مقتل « سيدنا الحسين » عليه السلام » (٢) •

وقد فطنت السياسية الانكليزية المعروفة « مسز بل » الى اثر هذه المظاهرات فأخذت تدعو الشبان المتحمسين الى شرب الشاي عندها ، واختارت ان تكون هذه الدعوة ليلة « الجمعة » لانها وقت الاجتماع وقد اجاب الشبان دعوتها لاول مرة ، غير انها اعربت لهم عن رغبتها في حضورهم كل « جمعة » ففطنوا الى هذه اللعبة البارعة فقاطعوها (٣) •

ورأت السلطات المحتلة عظم تأثير هذه الاجتماعات فأصدرت بيانا جاء فيه :-

« اعتاد بعض المفسدين منذ شهر رمضان ان يعقدوا المواليد في ليالي الجمعة ، ظاهرا لمقاصد دينية ، ولكن في الحقيقة لتهميج افكار الناس ضد

(١) محمد طاهر العمري - مقدرات العراق - ج ٣ ص ٣٣٥

(٢) مهدي البصير - تاريخ القضية العراقية ج ١ ص ١٤٦ •

(٣) راجع : مهدي البصير - تاريخ القضية العراقية - ج ١ ص ١٤٦

الحكومة ولبث روح الاختلاف .. وان الحرية الممنوحة قد اسأوا استعمالها وان المحركين يضلون العوام ضلالا مينا بجسارتهم ومذاكراتهم في مجلس المولود» (١) .

وقد تعدت هذه الاحتفالات الى المدارس الاهلية فكانت بمثابة مراكز حزبية لنشر المبادئ السياسية . وقد زادت شراسة السلطات المحتلة قبيل الثورة فنكلت بالوطنيين ، ونفت الكثير منهم مما ادى الى الاستياء العام ، واصبح الاصطدام وشيك الوقوع وهذا ما ساعد على قيامها (الثورة) في (٣٠ حزيران عام ١٩٢٠) (٢) عندما تسلس عشرة رجال من شجعان عشيرة « الظوالم » الى سراي الحكومة في الرميثة لانقاذ زعيمهم « شعلان ابي الجون » من سجنه بعد ان قتلوا حراس السجن واخترقوا ابوابه ، واخرجوا زعيمهم .

كان هذا الحادث الشرارة الاولى في اشعال نيران الثورة ، والحقيقة ان هذا الامر ما كان له ان يؤدي الى تلك النتيجة الرائعة ، لو لم يكن العراق قد أعد نفسه لتلك الساعة ، ساعة الخلاص من القوات المحتلة (٣) .

وقد قام علماء الدين بدور فعال في حث المسلمين العراقيين على الثورة وفي مقدمتهم الامام « محمد تقي الشيرازي » الذي افتى في محاربة الانكليز « وكان لهذه الفتوى الخطيرة وقع عظيم في نفوس العراقيين ووجدوا انفسهم في قيد وثيق تجاه الحكم الشرعي » (٤) .

وقد آزر الثورة اكثر رجال الدين ، ومنهم من اسهم فيها مثل

(١) جريدة العراق عدد (٦٣) في ١٣ آب عام ١٩٢٠

(٢) راجع : عبدالرزاق الحسيني - الثورة العراقية الكبرى - ص

٩٧-٩٦ .

(٣) راجع مجلة بغداد عدد (٢٠) عام ١٩٦٥ .

(٤) جعفر محبوبية - ماضي النجف وحاضرها - ج ١ ص ٢٦٣

(أبو القاسم الكاشاني) الزعيم الإيراني المعروف (١) ، وقد وقعت معارك كثيرة ذهب ضحيتها عددٌ كثير من المجاهدين • إلا ان بريطانيا ارتأت ان تحل القضية حلا سلميا فأختارت « السير برسي كوكس » الخبير بالشؤون الادارية والسياسية ، بدلا من « ولسن » وقد عقت الحكومة البريطانية بيان حول مهمته جاء فيه :-

« ان (كوكس) سيضطلع بمسؤولية ادارة الحكومة الملكية البريطانية في البلاد الى ان يتمكن من تنفيذ سياسة حكومة جلالة الملك لتأسيس حكومة عربية في العراق ••• » (٢) •

وصل « كوكس » بغداد في الحادي عشر من تشرين اول عام ١٩٢٠ لتسلم مهام المندوب السامي في العراق • وقد استقبل من وجهاء بغداد ثم خطب الشاعر « جميل صدقي الزهاوي » بين يديه صدرها بيتين :-

عد للعراق واصلح منه ما فسدا

وابث به العدل وامنح اهله الرغدا

اشعب فيه عليك اليوم معتمد

فيما يكون كما قد كان معتمدا (٣)

وبعد ان رحب به اجمل ترحيب عااد وتكلم عن الثورة العراقية فقال :-

(انها حركة ذمها المفكرون في ابانها) (٤) • ثم هاجم الثوار هجوما

(١) راجع : القضية العراقية ج ١ ص ٥٠-٥١

(٢) عبدالرزاق الحسيني - الثورة العراقية الكبرى - ص ١٨٤-١٨٥

(٣) راجع : جريدة العراق الصادرة في الثاني عشر من تشرين الثاني

عام ١٩٢٠ ، ديوان الزهاوي ص ١١٠ ، ١٤٥ ، ٣٢٠ طبعة القاهرة •

(٤) الغريب في الامر أن لجميل قصيدة عامرة في رثاء أبطال الرميثة

مطلعها :

ماذا بوضاحية - الرميثة فجمن غطارفة ججاج (٧)

جرح فيه كرامة الشهداء • وما كاد « كوركس » يستقر ببغداد حتى اصدر بيانا بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٢٠ جاء فيه : « ان فخامة » السير يرسى كوكس « يعلن لجميع افراد العشائر وطوائف العراق ، بأن حكومة بريطانيا العظمى انتدبه ليعود الى العراق لتنفيذ مقاصد الحكومة الثابتة ، بمساعدة رؤساء الامة ، ولتشكيل حكومة وطنية في العراق » (١) • وقد استسلم اكثر الثوار لهذا البيان ، وهكذا انتهت الثورة بعد حرب دامت اكثر من خمسة اشهر « ٣٠ حزيران عام ١٩٢٠-٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٢٠ » بعد ان كلفت الجانبين خسائر في الارواح والاموال ، لكنها وان اخفت عسكريا فانها نجحت سياسيا لايقاظها الحس القومي للمطالبة بالاستقلال ، وتشكيل حكومة اهلية فيما بعد ، لكن السياسة البريطانية رأت نتيجة للضغط الشعبي ان تشكل حكومة اهلية برأسها « الامير فيصل » لتثبيت نفوذها كما ظهر من محادثات وزير المستعمرات « ونستون شرشل » مع « الامير فيصل » و « لورنس » في اواخر عام ١٩٢٠ على ان يتعهد الامير بتوقيع تحالف مع بريطانيا • وبناء على هذا مهدت بريطانيا السبل لتتويجه •

٣ - العهد الملكي :-

من تزوير الاستفتاء • فتوج « فيصل » ملكا على العراق في الثالث والعشرين من آب عام ١٩٢١ فكان التاج خير منحة للرجل (٢) •

وهكذا تم تشكيل حكومة اهلية يكمن وراءها الانتداب البريطاني كما يقول محمد رضا الشيبسي : « مستقلة ذات سيادة في الظاهر ولكنها لم تكن كذلك في الواقع فلاستقلال كان استقلالاً مثلوما وناقصا نقصا فاضحا ، بل كان الحكم ثانيا بين الانكليز وبين فريق من صنایعهم ••• وكان الغنم

(١) عبدالرزاق الحسني - الثورة العراقية الكبرى - ص ١٨٤-١٨٥

(٢) لتفصيل ذلك راجع : - أيام فليبي في العراق - ترجمة جعفر

خياط ، لبنان ١٩٥٠ •

• نيلسا ، ص ٦٧ (٦)

• للسلطة البريطانية وصنائعها والغرم على الشعب العراقي « (١) »

لكن الاحرار ثابروا « على التنكر لتلك الخطة الاستعمارية المرسومة
وتعددت الانتفاضات والثورات طوال الحكم الاهلي ، وندد قادة الرأي
بأساليب الحكم والحكام ، ووقفوا منها موقف المعارض من الاول الى
الاخير .. » (٢) •

وهكذا ظل العراق مكافحا للملكية وحليفها الاستعمار ، حتى
قيض الله له - العراق - ان يتخلص من الاضطراب السياسي وقيود
الاستعمار والملكية صبيحة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ •
هذه هي الحالة السياسية عرضتها بعهودها الثلاثة ، العهد العثماني ،
والعهد البريطاني ، والعهد الملكي من « ١٨٦٩-١٩٢١ م » •

(١) جريدة الايام عدد (١٢٤) في العاشر من ايلول عام ١٩٦٢ •

(٢) المصدر السابق •

الحالة الاجتماعية

١ - في العهد العثماني :

نقصد بالحالة الاجتماعية ، مجموعة التقاليد والافكار التي ألفها الناس في مختلف شؤون الحياة ، الاخلاقية والقانونية والدينية والخرافية .

والمتبع لهذه الحالة في العراق أبان القر التاسع عشر يجد ان اكثر المؤرخين لم يعطوا الصورة الواضحة للملامح المجتمع العراقي ، وانما كانت هذه الملامح تأتي عرضاً « لحاجة سياسية اقتضت الاشارة اليها » (١) . ولعل ما كتبه الرحالة وغيرهم ، على ندرته ، يعطينا الصورة التقريبية لذلك المجتمع . فما كان مألوفاً قبل القرن التاسع عشر هو نفسه خلال هذا القرن لا سيما في القرى والارياف والبوادي ، وتكاد تكون نفسها في اوائل القرن العشرين . ومما يجدر ذكره ان اكثر القبائل ، العراقية لا تزال ، كما كانت في العهد العثماني ، تعتن بالكرم والصرافة وحمل السلاح والشجاعة وغيرها .

وقد كان العراق مدة خضوعه للحكم العثماني « يعيش في شبه عزلة اجتماعية . فكان الناس فيه ، الا القليل منهم ، لا يعرفون عن الحضارة الحديثة واحداث العالم الخارجي الا النزر اليسير » (٢) . وكان هذا المجتمع العراقي في حالة من الانحطاط والتردي والتفسخ ، يعمه الجهل وتسيطر عليه الخرافات ، مرتعاً للصوف ، وملجأً للعصاة ، فسادت حياة هذا العصر الفوضى وعمه الاضطراب .

(١) ابراهيم الوائلي - الشعر السياسي العراقي - ص ٧١ بغداد عام ١٩٦١ .

(٢) علي الوردي - طبيعة المجتمع العراقي - ص ٣٣٩

ومن المؤسف ان بعض الولاة كانوا يحرضون الاشرار على تكبير صفو الامن لكي يستولوا هم على ما بأيديهم ، فخشي الناس سطو اللصوص وانكمشوا في قراهم ، تاركين الزراعة والتجارة ، وظهر نقصان الغلال واضحا^(١) فقصوا بذلك على موارد رزقهم الضئيلة •

يقول الدكتور علي الوردي : « كانت الحكومة العثمانية تحرص كل الحرص على ان تحافظ على هيبتها في أعين الناس ، فهي لا تبالي ما يفعل الناس بانفسهم ما داموا يحترمونها ويبدون مظهر التزلف أمامها وقد صار ذلك من التقاليد الاجتماعية في المدن العراقية »^(٢) • ولقد تجاوز الامر الى القتال بين العشائر فكانت لهذه الظاهرة الاجتماعية اسبابها :- اما النزاع حول الاراضي أو النزاع بدافع الاحقاد والثارات ، لان أغلب سكان العراق هم من القبائل التي اتبعت نظاما قبيليا يقوم على الاعتزاز بالنسب واتباع نظام معين في جميع شؤونها الاجتماعية من ثار ودييات • اما سكان المدن فكانوا اكثر استقرارا لانصرافهم الى بعض الصناعات الاولية ، والعلم والتجارة الداخلية والخارجية ، فكانوا ينقلون بضائعهم من العراق الى الخارج على ظهور الجمال لانعدام وسائل النقل الحديثة • أما في داخل العراق فكانت بواسطة (الاكلاك)^(٣) و (الشمخاير)^(٤) التي تسير في نهري دجلة والفرات •

ولم تكن المواصلات البرقية والتلغرافية موجودة وقد انشئت عام ١٨٦١م حيث تم الاتصال بين بغداد واستانبول •

(١) راجع : يوسف عزالدين - الشعر العراقي الحديث -

ص ١٥-١٦

(٢) علي الوردي - طبيعة المجتمع العراقي - ص ٣١١

(٣) تصنع من القرب الجلدية تربط مع بعضها ويوضع فوقها

الخشب لتوضع عليها الاحمال •

(٤) القوارب النهرية الكبيرة

اما موارد الرزق :- فكانت ضئيلة جدا ، ومصادر كسب القوت تافهة وعلى الرغم « من ضآلة هذه الموارد ، وانحطاط مستوى المعيشة ، كانت الدولة تثقل كاهل الناس برسوم الاحتساب والضرائب المتعددة (١) . والى جانب هاتين الطبقتين اي - سكان القرى والمدن - طبقة الاتراك والمماليك « الذين احتلوا وظائف الدولة وقيادة الجيش يحفون بالوالي ، ولا هم لهم الا استرقاق الناس والاساءة الى ابناء الشعب » (٢) .

اما الزراعة :- فقد كانت بدائية لاستعمال الفلاح الطرق القديمة ، وكانت المناطق الزراعية عشائرية يسودها النظام القبلي ، وحياتهم ساذجة تتميز بالولاء والتفاني للعشيرة . وقد اهملت مشاريع الري فلم تهتم الحكومة بها مما ادى الى اندراسها فلم تعد صالحة للارواء (٣) .

اما الناحية الصحية :- فقد بلغت أسوأ دركات الانحطاط « اذ تفشت الامراض وفتكت بالكثير من ابناء العراق لعدم وجود المستشفيات والمؤسسات الصحية » (٤) .

اما المرأة :- فهي في المدن اسيرة بيتها ، وقد نظروا اليها نظرة احتقار ، وشددوا عليها الحجاب اذا ما خرجت من بيتها ، ولكنها في الريف تعاون الرجل في الرعي والزراعة . وقد حرمت حق اختيار زوجها في الارياف والمدن على السواء وانما كان وليها يفرض عليها زوجا لم تراه ولم تعرف عن اخلاقه شيئا ، مما ادى الى كثرة الطلاق ، وزعزعة نظام البيت والاسرة واثرت في تربية الاطفال وتوجيههم ، فكانت المرأة اشبه بالسلعة تباع وتشترى في سوق الزواج . وقد نعتوها باشع النعوت وكانوا يخجلون من

(١) عباس العزاوي - العراق بين احتلالين - ج ٨ ص ١٢٥

(٢) أبو الثناء الالوسي - غرائب الاغتراب - ص ١٩٩

(٣) راجع : يوسف عز الدين - الشعر العراقي أهدافه وخصائصه -

ص ٢٠ .

(٤) في غمرة النضال ص ٥٣ .

ذكر اسمها ، واعتبروها عبثاً ثقيلاً يجب التخلص منه •

ومن الطريف هنا ان نذكر : انه اذا توفي لاحدهم زوجته كان يقال له في العزاء : « فراش جديد » اشارة الى ان الله هياً له بموتها فراشا جديداً^(١) •

وكانوا يفرحون اشد الفرح اذا بشر احدهم بالذكر لاعتقادهم بان (ألف ولد مجنون ولا فد بنت خاتون)^(٢) • وقد احييت بتقاليد صارمة حتى حرموها من تعليم القراءة والكتابة ، لانها تؤدي الى فسادها « •• فاما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله منه ••• فانهن لما كن مجبولات على الغدر ، كان حصولهن على هذه الملكة من اعظم وسائل الشر والفساد ••• فالليب من الرجال هو من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى ، فهو اصلح لهن وانفع •• » ثم يقول : « ان المرأة اذا تعلمتها توصلت بها الى اغراض فاسدة وامكن توصيل الفسقة اليها على وجه اسرع وابلغ •• »^(٣) •

في هذا المجتمع المفكك الذي عمه الجهل واقعده الفقر ، مع تحكّم الاستبداد فيه اجيالا طويلة ، اصبح بحالة فقد معها التمييز بين الضار والنافع واختلط فيها الخير بالشر ، وضاعت المقاييس ، فأصبح المتملق للوالي ذا مكانة ، والمخلص ممقوتا وهو معرض في كل لحظة الى السجن والتشريد ، ويجلب على نفسه السخط • ومع هذا الوضع المزري أنعدم الاحساس والشعور نحو الجماعة ، لان روح الجماعة لا تكون في اي مجتمع الا حيث تكون ثقة الناس بعضهم البعض الآخر اولا ، وثقة الناس بحكامهم ثانيا ، والحديث عنها في مثل هذه الاوضاع حديث بلاهة ، والحديث عن التضحية

(١) محمد جميل بيهم - المرأة في حضارة العرب - ص ٣١٣ •

(٢) مثل عراقي شائع •

(٣) خيري الدين نعمان الالوسي - الاصابة في منع النساء من الكتابة

هي الاخرى حديث سخرية ، لان الحكم الفاسد قضى على روح الجماعة فأقلبت المثل العليا ، وأثر ذلك في سلوك الناس فتهاكوا على من ييدهم الحل ، وتقربوا الى الموظفين لقضاء حاجاتهم ، فشاع في الناس الدجل والرياء • ولعل خير وصف لتصوير فساد الحياة الاجتماعية ما يقوله سليمان البستاني : « ولكن هذا الجسم ^(١) ، على قوته الكامنة وان شئت فقل على ضعفه الظاهر ، لم يقو على تحمل اذية الحكومة ••• يساق الناس فيه سوقا ••• فنكس الرؤوس وذل النفوس ، استبداد لا مرشد له الا التعتن عن هوى تميل اليه النفس الى حيث لا تدري ولا شرع له ولا وازع ، يحلل اليوم ما يحرمه غدا » ^(٢) •

فقد كان الحكام مستبدين يتخذون من الدين وسيلة لبقاء سلطانهم وقوتهم • ولما كان العثمانيون من السنة الحنيفة فقد اتخذوا التفرقة بين السنة والشيعة وسيلة لاضعاف العراقيين وابقاء سيطرتهم عليهم • وقد اضطهدوا ابناء الشيعة حتى لجأوا الى حرمانهم من الوظائف الحكومية ومنعوا ابناءهم من دخول المدارس الحكومية ، مما اثر في الناحية الاجتماعية •

وقد حدثني الدكتور مصطفى جواد :- ان هذه التفرقة فرضوها على العراق بينما نرى اتراكا من المشيعين المعروفين « بالبكتاشية » في تركيا نفسها لهم مراكز حساسة في الدولة وقد تفاضوا عنهم لانهم أترك • استغلت هذه النعرة الطائفية مما ادى الى التناحر وتردي العلاقات بين ابناء الطائفتين « السنة » و « الشيعة » لم تكن في صالح الامة • فلانقسام الذي حدث بين الطائفتين « كان ذا تأثير كبير في طبيعة المجتمع العراقي •• فبعد ما كانت هاتان الطائفتان فرقة واحدة في أول الامر ، اصبحتا مختلفتين في كثير من العقائد والطقوس » ^(٣) ، كانت نتيجة ذلك تضاربا في الاهواء

(١) يقصد به الدولة •

(٢) سليمان البستاني - عبرة وذكرى - ص ١٨-١٩ •

(٣) علي الوردي - طبيعة المجتمع العراقي - ص ٢٢٨ •

واختلاف في العادات أدى بكل طائفة من الطائفتين الى التجمع في اماكن معينة فالسنة مثلا يعيشون في مناطق معينة من العراق والشيعة كذلك في مناطق اخرى ، بل ادى الامر الى تكتلهم في محلات واحدة ضمن المدينة الواحدة، مما حدا ببعض العناصر الاخرى من غير العرب كالترك والاكرد وبعض الاقليات الاخرى ان تحذو حذوهم لانها خضعت لتلك المؤثرات^(١) فكثير الدجالون والمشعوذون الذين استخدموا الدين لاغراضهم الخاصة .

يقول صاحب « تاريخ الطب في العراق » : « اصبح العراق ميدانا فسيحا لعبت الدجالين والمشعوذين ومرتعاً للمتطيين واصحاب الخرافات . كما كان بعض المرتزقة من المشعوذين يستخدمون الدين لاغراضهم ، فينتشرون في ارجاء البكد بيزات رجاله يبيعون الادوية والرقى والطلاسم وكانت لهم ، لجهل الشعب وفقره ، سوق رائجة ومجال فسيح »^(٢) .

ولكي نعرف مبلغ ما وصل اليه العراق من تدهور حضاري ، ان بغداد لم يكن فيها اي شارع معبد الا في بداية عام ١٨٧٠ في عهد « مدحت باشا » .

وفي عام ١٩١٠ فتح اول شارع في بغداد في عهد « ناظم باشا » سمي « شارع النهر » الذي عرف فيما بعد باسم « شارع المستنصر » . وان ازقة بغداد قاطبة لم تكن مضاءة وقد بدأت الحكومة باضاءها عام ١٨٧٩ حيث وضعت فيها فوانيس نفطية^(٣) .

الواقع ان الاساليب والعادات البالية التي ورثها العراقيون منذ اجيال

(١) للتوسع في هذا الباب راجع - طبيعة المجتمع العراقي - فصل (الدولة العثمانية في العراق) .

(٢) الدكتور هاشم الوتري ، والدكتور معمر خالد الشايبندر - تاريخ الطب في العراق - ص ٥٧ بغداد عام ١٩٣٩ .

(٣) راجع : - طبيعة المجتمع العراقي - ص ١٢٢ .

بقيت تؤثر في المجتمع ، وما ظنك بمجتمع يحقر الناسج والحائك وزراع
الخضر وصياد السمك^(١) ؟

يحدثنا الدكتور علي الوردي فيقول :- « هناك اربع فئات محقرة
واكثر هذه الفئات احتقارا هم « الحاكمة » ويأتي بعدهم « الحساوية » اي
الذين يزرعون الخضر ، ثم « البربرة » اي - الذين يصيدون السمك
بالشبكة - واخيرا يأتي « المعدان » وهم الذين يعيشون على تربية
الجاموس »^(٢) .

مما يدل على تدهور الحضارة ، والناس لا زالوا يعيشون في مجتمع
مغلق من جميع وجوهه .
هذا ما كان عليه الوضع الاجتماعي في العراق في العهد العثماني .

٣ - في عهد الاحتلال البريطاني :-

وبعد زوال الحكم العثماني وعلى وجه التحديد بعد الحرب العالمية
الاولى التي تعتبر بحق نقطة تحول هائل ، انفتحت بها آفاق جديدة
للعراقيين لم يكن لهم بها عهد من قبل ، اذ كانوا في عزلة تامة كما قلنا
سابقا . فعندما دخلت قوى الاحتلال ، ورأى العراقيون جنوده وما هم
عليه ، استيقظ الفكر العراقي اذ دهسته الحضارة بقوة شديدة ، ورأوا فيها
من عجائب المخترعات والنظم ما بهر عقولهم حيث انفتحت بها آفاق لم
يعرفوها من قبل ، وحدث ذلك تغيرا كبيرا في المجتمع ، وهزه هزا عنيقا ،
انقسم الناس الى طائفتين طائفة : مجددة تروم الاقتباس ، وطائفة : محافظة
على ما الفت من عادات وتقاليد، زادتها الدعاية العثمانية القائلة : « ان الانكليز
جاؤا ، لتحطيم الخلافة ومحق الاسلام »^(٣) قوة وعنادا لكل ما هو جديد .

(١) في تفصيل هذه الحوادث راجع شاكر مصطفى سليم
- الجبايش - بغداد عام ١٩٥٦ .

- (٢) طبيعة المجتمع العراقي ص ١٥٨
- (٣) طبيعة المجتمع العراقي ص ٣٤١

ولما كانت هذه المظاهر الاجتماعية الجديدة جاءت مصاحبة للاحتلال
الانكليزي ظن المحافظون ان الحضارة من صنعهم وصنع امثالهم من الكفار •
وكان لرجال الدين اثرهم الواضح في ذلك ، اذ اعتبروا كل من يأخذ
بأسباب هذه الحضارة خارجا عن الملة ، ورددوا قالة عرف بها المحافظون
(التشبه بالكافر حرام)^(١) • فحرموا واستكروا كل ما هو جديد ولو
كان مشروعا او نافعا ، فدخلوا المدارس حرام ، وقراءة الجرائد حرام ،
وتعلم اية لغة اوربية حرام ، والتوظيف حرام ، والسفور حرام !

هذا ما كان من امر الناس في الفترة الاولى من ايام الاحتلال • ولكن
ما ان مضت فترة وجيزة وعملت الحضارة عملها في العقول والنفوس حتى
رأينا اكثر الذين استكروا الدخول في المدارس ، والتوظيف ، والسفور
والتجديد ، عاشوا ليروا ابناءهم يدخلون المدارس ، ويتسمنون الوظائف في
مراكز الدولة • فقد جرفتهم المدنية الحديثة وجعلتهم يبيحون ما كانوا
حرموه على انفسهم • فقد تغيرت القيم الاجتماعية وفق منطق التطور •
وهكذا شرع المجتمع العراقي يخطو خطوات موفقة نحو التقدم والتطور
منفتحا بعدما كان مغلقا على نفسه •

(١) طبيعة المجتمع العراقي ص ٣٤٢ •

الحالة الثقافية

بقي العراق ، بحكم سياسة الدولة العثمانية الاستمرارية ، بعيدا عن التيارات الحديثة • فقد حال النفوذ التركي دون ما يسمى ثقافة حديثة • اعتمدت الدولة على جعل العراق عثمانيا بكل مظاهره ، ليقطعوا كل صلة بما هو عربي •

وفي دراستنا للحالة الثقافية في هذا العهد لا بد لنا ان نتعرف على الامور الآتية :

١ - المدارس وانظمتها وطرق التعليم فيها •

٢ - التأليف •

٣ - الأدب واتجاهاته •

١ - المدارس :

بدأ العثمانيون بانشاء المدارس التركية في بغداد في منتصف القرن التاسع عشر • ففي سنة (١٨٦٨ م)^(١) تم انشاء (مكتب رشدي) أي (مدرسة ابتدائية) في بغداد ثم أسست ثانوية للبنين سنة (١٨٧٠ م) في زمن (مدحت باشا) وكان اهتمامه منصبا على فتح المدارس العسكرية ، ففتح سنة (١٨٧٢ م) ثانوية عسكرية •

وقد أعرض الناس عن هذه المدارس ، لقلّة كفاءة المعلمين ولأنّ مناهج دراستها لا تفي بالقصد ، ولأنّ قواعد اللغة العربية كانت تدرس بالتركية لذا كان الطلاب (يتخرجون ولا يعرفون الكتابة حتى باليسير من

(١) جريدة الزوراء عدد «٥٨٥» السنة السابعة .

• اللغة العربية (١)

وكانت هذه المدارس مهملة ، ولم تقم الحكومة باصلاحها • وقد استفادت الدولة العثمانية (من هذه الفترة بارسال موظفين اتراك ، ومعلمين الى العراق) (٢) •

لذلك فكرت الطوائف (اليهودية) و (المسيحية) في انقاذ ابناءها من هذه المدارس • وقد أسس (اليهود) أول مدرسة لهم في بغداد سنة (١٨٦٥م) واستقدموا لها خيرة الاساتذة من (أوروبا) (٣) •

اما المسيحيون فقد قاموا بتأسيس المدارس في بغداد والموصل ، ويعود الفضل في تأسيسها بالدرجة الاولى الى المبشرين الامريكان ، والانكليز ، والفرنسيين •

وكان يدرس فيها مختلف العلوم واللغات (٤) • وقد أدت هذه المدارس خدمات جلي في تثقيف ابناء هاتين الطائفتين ، ولذلك تهافت عليها الطلاب لمستواها الرفيع •

اما المسلمون : (فقد بقوا في جهلهم وانحطاط مداركهم ، وكانت القبائل أشد السكان انحطاطا وجهلا حتى بمبادئ القراءة والكتابة) (٥) وتقلصت اللغة العربية وشاعت اللغة التركية في بغداد ، وتدفق سيل جارف من الالفاظ التركية والايبرانية ، وكثرت الرطانة كأن لم تكن بغداد عربية ولم يكن اهلها عربا ! •

(١) اربعة قرون من تاريخ العراق ص ٢٠٣ •

(٢) العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٣١٥ •

(٣) راجع جريدة الزوراء العدد (٢٢١) السنة الثالثة •

(٤) راجع : ابراهيم الوائلي - الشعر السياسي العراقي في القرن

التاسع عشر ص ٩٨ •

(٥) المصدر السابق ص ٩٨ •

ولقد صدق (أحمد بك الشاوي) حينما يقول في المعارف :
الجهل اجمعه بدا نرة المعارف مستدير
أعضاؤها ورئيسها في الجهل ليس اهم نظير (١)
واقى النذير بعزلهم يا حبذا ذاك النذير (٢)

وللرصافي قول شبيه بهذا :

معارف بغداد قد جاءها مدير من الطيش في مسرح
حمار ولكنه ناطق وطفل ولكنه ملتحي
فيا ايها العلم عنها ارتحل ويا ايها الجهل فيها اسلح (٣)

ذكر الدكتور (جون فانيس) : (عندما جاء الى العراق في عام ١٩٠٣ ، انه ادرك بأن المجتمع العراقي في حاجة ماسة الى مدارس حديثة يجرى التعليم فيها باللغة العربية ، وليس باللغة التركية التي كانت سائدة في مدارس ذلك العهد ، ولما فاتح الوالي بقصده أجابه الوالي متهمكا : (ما انت واضاعة وقتك في تعليم الحمير) (٤) . هذه هي السياسة التعليمية التي رسمها الاتراك لتعليم ابناء العراق .

ولولا مدارسنا العلمية القديمة وخزائن كتبها الثمينة لما بقي أثر للثقافة العربية في العراق . فقد اتبعت هذه المدارس في تعليمها الطريقة الموروثة وهي :

أن يتعلم الطالب القراءة والكتابة والقرآن الكريم في الكتاب ، ثم ينتقل الى الجامع أو الصحن حيث يتعلم النحو والصرف ، فيدرس

(١) في الاصل « له » .

(٢) راجع عباس العزاوي - العراق بين احتلالين - ج ٨ ص ٣١٥ .

(٣) ديوان الرصافي شرح مصطفى السقا ص ٥٣١ ، طبعة دار الفكر

العربي عام ١٩٥٣ .

(٤) راجع : علي الوردي - طبعة المجتمع العراقي ص ١٣٧ .

(متن الاجروية) ويحفظها بنصها دون ان يهمل منها حرفاً ، ثم يدرس كتاباً مختلفة اخرى ، مثل (قطر الندى وبل الصدى) و (شذور الذهب لابن هشام) • واذا ما انتهى من النحو وما يتعلق به من صرف واشتقاق يكلف بدراسة شيء من علم الفقه ، ثم يتناول بقية العلوم التي تتصل بالعربية والدين وبقية كتب التاريخ واللغة • وكان يدير هذه شيوخ العصر سواء كان ذلك في المساجد أم في بيوت الشيوخ الخاصة •

وقد تخرج في هذه المدارس أكثر ادباء العراق الذين ساهموا في الحركة الثقافية وكان لهم الفضل في انشاء طبقة من الشعراء والمؤلمين العراقيين في خضم الحكم العثماني !

فاذا اراد الشاب العراقي أن يتم تعليمه بعد ذلك فليس امامه الا الذهاب الى (الاستانة) حيث المدارس العليا التي يتخرج فيها ضابطاً أو مهندساً أو طبيباً • لأن مثل هذه المدارس العليا لم يكن لها وجود في العراق الى ما قبل نهاية الحكم العثماني بفترة وجيزة •

ولذلك لم يهتم بهذا التعليم العالي غير الطبقة الموسرة التي تستطيع الانفاق على ابنائها في (الاستانة) لهذا الغرض ، وقد درس معظم هؤلاء في مختلف الكليات وبالاخص في الكليات العسكرية وكانوا النواة الاولى في تأسيس الجيش العراقي فيما بعد (١) •

ولا بد لنا ان نذكر هنا ان حزب (الاتحاد والترقي) الحاكم قد اسس في العراق كثيراً من المدارس الابتدائية ، لم يكن الهدف منها ثقافياً وانما للدعاية السياسية فقط • وقد تدخلوا في شؤون التعليم واتخذوه وسيلة للتبشير بمبادئهم مما ادى في الاخير ان ينصرف عنها أكثر ابناء العراق ، وهكذا استمر العراق يتعثر في دياجير الجهل •

(١) راجع : في غمرة النضال ص ٥٧ •

يقول البستاني عن فساد نظم التعليم ، الذي حرّمته الرقابة من كل علم نافع وضيقت فيه على العقول ، (حتى حار المعلمون في امرهم وكانوا وهم يلقون ولو مسألة نحوية أو حسابية صرفة يخشون ان تصدر منهم اشارة الى عدد يوافق اعداد سني الظلم ، أو فتحة أو كسرة تشير الى فتح الاعين وكسر القيود)^(١) . حتى بلغ بهم الامر الى تشديد الرقابة على الصحف خشية ان توظف الحس العراقي . فقد قطعوا كل صلة بين كل قطر عربي وآخر من ذلك ما قاموا به من منع دخول الصحف العربية سواء أكانت مؤيدة أم معارضة (وكان عقاب من يقتنيها السجن أو النفي)^(٢) .

٢ - التأليف :

خشى الناس بطش الحكام والاعوان ووشاياتهم فأصرف أكثر الناس الى كتب الدين ، والفقه ، وكتب الاقدمين يتدارسونها ويلتمسون منها العبرة والذكرى . فانكمش التأليف لأنه يدخل المؤلف في مشاكل هو في غنى عنها .

ولقد خشى الناس حتى من المؤلفات التي كانوا يحتفظون بها في بيوتاتهم خشية الوشاية ، وكثيرا ما فشتت الدور لهذا الغرض ، فكان اصحابها يلقون بها في النهر أو النار للتخلص منها . وقد ضاعت أكثر الكتب الثمينة عن هذا الطريق . واذا اراد احدهم ان يؤلف كتابا وبعبارة أدق أن يجلب الشر على نفسه فعليه أن يعرض مؤلفه على لجان تنظر في كل كلمة ومدلولها وقد يطول الانتظار شهورا في منحه الاجازة بطبعه . ومن ينظر في تلك الكتب المؤلفة تجابهه في مقدمتها تلك الادعية الطنانة للسلطان والتسيح بحمده وعدله .

يقول (سليمان فيضي) : (اما التأليف فكان على ندرته محفوفاً

(١) عبرة وذكري ص ٣٦ .

(٢) في غمرة النضال ص ٥٠ .

بالمخاطر • فكانت المؤلفات تعرض قبل طبعها على « مجلس المعارف الاعلى »
وويل المؤلف أو الطابع أن تغير في الكتاب حرف أو زيدت كلمة ، وويل
له اذا قلل من الدعاء للسلطان (١) •

اما الجمعيات والاندية الادبية فكانت خاضعة لرقابة أشد فلم يكن
يسمح باجازتها الا ما كان منها خيراً محضاً ، وكانوا يخافون حتى من
اسمائها ولم يكن يسمح فيها لا للبحوث ولا للخطابات •

٣ - الادب واتجاهاته :

مر الأدب في هذه الحقبة بفترتين متباينتين لكل منهما مميزاتها وهما :

١ - فترة الجمود والعزلة •

٢ - فترة التطور والتجدد •

وتبدأ الفترة الاولى : على وجه التقريب من منتصف القرن التاسع
عشر حتى اعلان الدستور عام ١٩٠٨م وتوصف هذه الفترة بان العراق
كان في عزلة عن اكله اهو اجنبي من حضارة أو ثقافة ولما كان الاتراك
قد استأثروا بالحكم والتوجيه السياسي فقد عزف أكثر ابناء العراق عن
السياسة وانصرفت جهود ذوى المواهب منهم الى الادب • وكانت ثقافتهم
عربية بحتة اتخذت من العامل الديني طابعاً يميزها ، فقد اتخذ الادباء
وبالاحص الشعراء من مآسي آل البيت وسيلة للتنفيس عما يملأ صدورهم
من مشاعر الظلم والجبروت وذلك في صور حماسية وذكر للبطولات وفي
ثناياه دعوة الى النضال والاعتزاز بالعقيدة والاشادة بالامجاد (٢) •

تطرق الشعراء الى مختلف الفنون :

(١) في غمرة النضال ص ٥٠ •

(٢) راجع : مجلة الهلال القاهرية - الكتاب الذهبي - « الادب

والادباء » ص ١٢١-١٢٤ عام ١٩٤٢ •

ومن أشهر شعرائهم في ذلك الوقت (ابن معتوق) و (الكمي)
و (ابن معصوم) ويليهم في المنزلة (حيدر الحلبي) و (عبدالغفار
الاحرس) و (عبدالباقي العمري) وغيرهم .

غير انه يلاحظ في الطبقة الاخيرة من هؤلاء الشعراء انهم انحرفوا
عن طريقة من سبقهم من الشعراء فمدحوا الولاة وموظفي الدولة ،
والصقوا بهم صفات هم ابعد الناس عنها ، خشية بطشهم ورغبة في تملقهم
فجاء مدحهم ممسوخاً سداه كذب التجارب الشعورية ولحمته الضعة
والهوان (١) .

واخذ جميع من ذكرناهم من الشعراء يقلدون السابقين في طرائقهم
فكنا نسمع ذكر الاطلال والربوع والوقوف عليها ومساءلتها عن الحبيب
الغادي والدعاء لها بالسقي والرعي ، كما أن الالفاظ القديمة شاعت في
شعرهم فالشيخ والقيصوم والعقيق وغيرها كثر تردادها .

وقد تعدى ذلك الى التشبيهات فالصدغ بالعقرب ، والحاجب بالنون ،
والردف بكثيب الرمل ناهيك عن حشر هذه القصائد بالمحسنات فكأن
القصيدة (معرض) لهذه الأنواع البديعية ، وربما ضحى الشاعر بالمعنى
الذي اندفع من اجله في سبيل الوصول الى مثل هذه المحسنات
وتجويدها (٢) .

وخلاصة القول : ان الشعر كان تقليداً للسابقين من الشعراء باجلى
مظاهره ، ومما هو معروف أن المقلد دون المقلد درجة واول رتبة ، لذلك
لم يصل ادبهم الى ما كان مرجوا منه .

(١) راجع : يوسف عز الدين - خيرى الهنداوى حياته وشعره -
ص ١٠ - ١٦ .

(٢) راجع : ناصر الحانتي - الادب العربي - ص ٢٧ بغداد عام
١٩٤٤ م .

٤ - فترة التطور والتجدد :

وتبدأ باعلان الدستور عام ١٩٠٨م حتى اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م • وفي مستهل هذه الفترة اطلقت الحريات ، حرية الرأى والقول والاجتماع • ودخلت البلاد في يقظة فكرية لا عهد لها من قبل تجلت في كثرة الاندية والجمعيات والصحف والمجلات •

وقد مال أكثر الكتاب والشعراء الى التجديد لا الى التقليد ، والى الابتكار لا الى الاتباع • فشاع الشعر الاجتماعي والسياسي وعبر الادباء عن مساوىء الاستبداد ، وتغنوا بالحرية وقيم الفضائل ومكارم الاخلاق • وفي اخريات هذه الفترة ظهرت الدعوة القومية الى استقلال العرب واخذ مكائتهم (وكانت هذه الدعوة - القومية - ليس لها ما يميزها أو اطار يحدد معالمها)^(١) قبل اعلان الدستور فكانت (تكبت حينما اكرا ما للرابطة الاسلامية وتظهر حيناً)^(٢) وقد امتازت هذه الفترة في التطور في أدب العراق نظماً ونثراً وفي أخرياتها أصبحت رسالة الادب قومية بحتة بعد ان زاد الاتحاديون في امعانهم وخرقهم للدستور • وهكذا استمر الادب بالتقدم والثقافة في تطور الى ان اعلنت الحرب العالمية الاولى واحتلال الانكليز البصرة عام ١٩١٤ •

• هذه هي الحالة الثقافية في العهد العثماني •

اما الحالة الثقافية في عهد الاحتلال البريطاني :

فقد اهتمت السلطات المحتلة أول الامر بتثبيت دعائم الامن ، وترسيخ اقدامها في العراق • ونظرت الى الناحية الثقافية والانظمة السائدة فعمدت الى هدمها • وبدأت تبني في بطن نظاما ثقافيا جديدا ، فكلفت السلطات المحتلة أحد الانكليز المدعو (مستر دوبس) - مدير

(١) يوسف عز الدين - خيري الهنداوى حياته وشعره - ص ١٦ •

(٢) المصدر السابق ص ١٥ •

الإدارة المالية - بدراسة المشكلة الثقافية عام ١٩١٥م وتقديم اقتراحاته ،
الا انه جوبه بقله المعلمين مما دعاه ان يقول : (لولا الضرورة القصوى
في تهيئة العرب للوظائف الحكومية ولتجنب اتهام الادارة البريطانية بانها
لا تميل الى ايجاد التسهيلات الثقافية فانه - دويس - يميل الى عدم فتح
مدرسة واحدة في الستين القادمتين ...) (١) .

ولا بد لنا هنا ان نشير الى ما قلناه سابقا من ان العراقيين قرنوا كل
شيء يقوم به المحتل - ولو كان نافعاً - بالكفر فرغبوا عنها .

ولم يفتح من المدارس في العراق حتى نهاية عام ١٩١٥ سوى
مدرستين ابتدائيتين وفي نهاية عام ١٩١٨م فتحت عشرون مدرسة ابتدائية
وفي عام ١٩١٩م فتحت احدى وعشرون مدرسة اخرى . ثم توالى فتح
المدارس وتهافت عليها الطلاب بعد ان زالت الدعايات القائلة : (التشبه
بالكافر الحساد) . وعاش من حرّموا على الناس دخول المدارس ليروا
ابنائهم وهم يرتادونها . وقد بلغ عدد المدارس عام ١٩٢٠ ثمانين مدرسة
للبنين ، وخمس مدارس للبنات (٢) .

الحالة الثقافية في الحكم الاهلي :

وبعد أن تأسست الحكومة الاهلية تحت اشراف السلطة المحتلة
في الثالث والعشرين من آب عام ١٩٢١ ، أخذت الحركة الثقافية تسير
بطء . اما المناهج التعليمية فقد هدف واضعوها لخدمة اغراض المحتل
ولخدمة الحكومة في تهيئة طبقة من الموظفين العراقيين للوظائف الكتابية .
وقد بقيت المناهج على هذه الوتيرة مدة طويلة بعيدة كل البعد عن حاجات
البلد ومتطلبات التقدم . ولعل اسباب هذا الجمود (قد تسبب في الدرجة
الاولى عن الوضع السياسي القلق ونموذج الشخصيات التي تعاقبت على

(١) راجع : داود سلوم : تطور الفكرة والاسلوب - ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق - ص ٤٣ .

كرسي وزارة المعارف - التربية - وتأثير السياسة الأجنبية على
الحكومة (١) •

كما وان من تولوا وزارة التربية آنذاك قد تثقفوا وفق برامج
المدرسة القديمة التي أشرنا إليها ، مما اثر في التعليم اذ جعل الهدف
الاسمي من التعليم يتلخص في فتح المدارس الاكاديمية واهمال المدارس
الصناعية • اما الخطط التربوية فكانت هي الاخرى اشد اضطرابا لانها
كانت تسير وفق هوى الوزير ، وهذا يعني ان كل وزير يتسهم الوزارة
يهمل كل ما بدأ به سلفه ، فكان (هناك تبادل مستمر في الخطط التي
توضع لخلق اسس ثقافية احسن مما قبلها ولايجاد طرق احسن في خلق
جيل فعال مثقف) (٢) •

وقد عنيت الحكومة العراقية بعد تشكيلها عناية فائقة بتثقيف الشعب ،
فكثرت المدارس الابتدائية لمكافحة الامية واستت عدة دور معلمين ، كما
اتجهت العناية كذلك لتعليم الفتيات •

ومما يذكر ان حكومة (الملك فيصل الاول) عنيت بفتح مدارس
للبنات قد انتفض الشعب وتظاهر وكان ينادى (المقبرة ولا المدرسة) (٣)
لكن الشعب العراقي فيما بعد عرف قيمة الحركة التي تهدف الى تعليم
البنات ، فكثرت مدارس البنات في مختلف الوية العراق •

ثم اهتمت بعد ذلك بنشر التعليم العالي فاستت عدة كليات بعد
سنوات للطب والهندسة ، والصيدلة في بغداد • وما زالت الكليات تتوسع
فقد عمت أكثر الوية العراق وسيأتي اليوم الذي تنتشر فيه الكليات في
جميع الالوية وتلك أمنية نصبو لها جميعاً •

(١) تطور الفكرة والاسلوب - ص ٤٥ •

(٢) أمين الريحاني - قلب العراق - ص ٢٣٣ •

(٣) محمد جميل بيهم - المرأة في حضارة العرب - ص ٣١٢ بيروت

الفصل الثاني
الصحافة نشأتها وتطورها

الصحافة ، نشأتها ، وتطورها

(١٨٦٩ - ١٩٢١)

قبل المضي في الكلام عن تاريخ الصحافة العراقية في فترة البحث ،
يجمل بنا ان نتكلم عن :-

تاريخ الطباعة في العراق :

تأخر ظهور الفن المطبعي في البلاد العربية بصورة عامة والعراق
بصورة خاصة ، وذلك للعزلة التي فرضتها الدولة العثمانية على البلاد
العربية في كل ما هو حديث ، خشية ان تهب الشعوب العربية اليرازحة
تحت سيطرتهم مطالبة بالحرية والحياة الكريمة ، فتأخرت البلاد ثقافيا
وبقيت خالية من الطباعة مدة طويلة رغم انتشارها في معظم الاقطار
الاجنبية . وللبنان الفضل الاول في ادخال المطابع فقد اسست مطبعة
(دير قزحيا)^(١) عام ١٦١٠م فكانت أول مطبعة عربية في بلاد الضاد^(٢) .

اما العراق :

فقد دخلته في منتصف القرن التاسع عشر مطبعة حجرية اسست
في (لواء كربلاء) عام ١٨٥٦م استقدمت من ايران في عهد (محمد
رشيد باشا) وتعتبر أول مطبعة عرفها العراق . وفيها طبعت طائفة من
رحلات (ابي الثناء شهاب الدين محمود الألويسي) مفتي بغداد . وفي

(١) « قزح » سريانية الاصل وتعني « الكنز » و « حيا » تعني
« الحياة » ، ويحتمل ان يكون معناها « القسيس الحي » . راجع : انيس
فريحة - اسماء المدن والقرى بيروت عام ١٩٥٦ .

(٢) راجع : رفائيل بطي - مجلة منبر الاثير - العدد الثالث ص ٢٣
بغداد ١٩٤٥ .

عام ١٨٦١م أسست مطبعة (التبريزي) الحجرية المجلوبة من ايران
ايضا ، اسسها احد كبار الفرس يدعى (الميرزا عباس) وكانت تفي بحاجة
السكان لقله عدد القراء والكتاب آنذاك .

وفي الموصل انتشرت المطابع على أيدي (المبشرين الدومنيكان)
الذين استوطنوها عام ١٨٥٦م فقد جلبوا معهم مطبعة حجرية ثم ابتاعوا
عام ١٨٥٩م مطبعة كاملة ، وفي عام ١٨٦٠م وهبت (جمعية مدارس الشرق
بباريس) مبالغ طائلة وحروفا متنوعة للمبشرين (الدومنيكان) ، واول
كتاب طبعته هو (رياضة درب الصليب) عام ١٨٦١م^(١) . استمرت مطابع
الدومنيكان في النشر الا ان السلطات العثمانية ، اثناء الحرب العالمية الاولى ،
صادرتها بدعوى تبعيتها لدولة معادية وضمت الى (مطبعة الولاية) . وعندما
ولي (مدحت باشا) أنشأ (مطبعة الولاية) - الزوراء - التي جلبها من
فرنسا ، وعلى أثر افتتاحها اغلقت مطبعة (التبريزي الحجرية) ابوابها ،
كما احضر مع مطبعة الولاية (مطبعة حجرية) سميت (بمطبعة القيلق)
- المطبعة العسكرية - تقوم بطبع مطبوعات الجيش المختلفة ، وهي مطبوعات
سرية لا يطلع عليها الا كبار الجيش . وقد أدت مطبعة الولاية عملها
باشراف مديرها (أحمد مدحت أفندي) ، الذي اصطحبه مدحت باشا ،
حيث بدأت بطبع جريدة (الزوراء) الجريدة الرسمية .

أخذت هذه المطبعة في النمو بعد عزل (مدحت باشا) عام ١٨٧٢م .
وفي عام ١٨٩٣م (أصبح فيها تسع طابعات ، واحدة منها تدار بالبخار واثنان
تداران باليد واربعة طابعات حجرية وآلة واحدة لتحسين الاقمشة واخرى
لعمل المظاريف ، وقد اصدرت في هذه الفترة « سالنامه » أي الولاية)^(٢) .

(١) راجع : دكتور خليل صابات - تاريخ الطباعة في الشرق العربي -
ص ٢٨٤ مصر ١٩٥٨ ، ورفائيل بطي - مجلة منير الاثير - العدد السادس
١٩٤٥ .

(٢) الدكتور خليل صابات - تاريخ الطباعة في الشرق العربي -

وقد أسست (مطبعة الولاية) في الموصل عام ١٨٧٥م وقامت بطبع
الاوراق الرسمية والتقاويم التركية المعروفة (موصل سالنامه سي) وطبع
جريدة (الموصل) ، ولم تكن هذه المطبعة مقصورة على طبع المطبوعات
الحكومية وانما كانت تطبع كل ما يقدمه اليها الاهالي من مطبوعات •

وهنا لا بد لنا ان نذكر ان هذه المطابع تفتح وسرعان ما تغلق ، لقلّة
عدد من يشتري مطبوعاتها حتى أن مطبعة الولاية نفسها كادت تتوقف عن
العمل لولا أن استأجرها أحد الافراد لحسابه الخاص (١) •

ومجمل القول : ان الطباعة في العهد العثماني كانت متأخرة • ولما
جاءت الحرب العالمية الاولى اصيبت الطباعة بنكسة ، لقلّة الورق فاضطرت
بعض المطابع الى اغلاق ابوابها واستمرت مطابع اخرى تشتغل يوما
وتتعطل اياما حتى انتهت الحرب • الا ان الثورة - ثورة العشرين -
ما لبثت أن اندلعت وهب العراقيون يدافعون عن حريتهم المسلوبة وارضهم
المحتلة ، فكان للثورات العراقية أثر في تأخر حركة الاصلاح الطباعي
بعض الوقت •

وعندما تأسست الحكومة الاهلية عام ١٩٢١م عكف العراقيون على
بناء دولتهم الجديدة ، وكان من الطبيعي ان تساهم الطباعة في هذه
الحركة • فأخذت المطابع تزداد واستأنفت المطابع القديمة عملها لاجياء
تراثنا الادبي والثقافي وما زالت في ازدياد مضطرد الى يومنا هذا •

الصحافة قبل ظهور المطبعة :

مرت الصحافة بادوار خلال العصور المختلفة حتى ظهرت بشكلها
الحاضر بظهور الطباعة • والصحافة قديمة قدم الانسان تنطق بلسانه
وتعبر عن آرائه واتجاهاته • فهي مرآة تنعكس عليها مشاعر الجماعة

(١) الدكتور خليل صايات - تأريخ الطباعة في الشرق العربي -

ص ٢٩٥ •

وآراؤها وخواطرها بوسائل تعبيرية تختلف من مجتمع الى آخر ومن زمان الى زمان •

فللعراقيين القدماء (كالبابليين) صحف تسجل فيها الحوادث يوميا •
والتاريخ يحدثنا ان الملك (حمورابي) كان يذيع اوامره على رعيته للحضور الى بابل للاشتراك في الاحتفالات الموسمية المعينة ، فقد دلت التحريات الاثرية في نينوى - قرب الموصل - وما وجدته في مكتبة (آشور بانيبال) على سجلات مفصلة ومنظمة بحسب تواريخها وحوادثها وبالاخص حروب الملوك وفتوحاتهم •

كما اكتشفت مديرية الآثار العراقية في اطلال (عقرقوف) - قرب بغداد - طقما - حجرا - مقسما الى اثني عشر جدولا باسماء الأشهر البابلية مينا ما يتحتم على الشعب عمله وذلك اشبه بما تقوم به صحف اليوم من بلاغات ومراسيم صيانة الامن وسلامة الدولة •

وقد اتخذت الاقوام (الاشورية) صورة اخرى لهذه الصحافة فقد كانوا يرقمون حوادث انتصاراتهم على الحجر والطين وبجانبا يصورون بالالوان صورا للاسرى فيها مشاهد تصور التمثيل بهم ، وكانوا يعرضونها في شوارعهم العامة وقصورهم الخاصة ، لذلك يعتبر (الاشوريون) أول من أوجد الصحافة المصورة^(١) •

وقد اجتازت الصحافة اطوارا قبل اختراع الطباعة منها :-

طور الصحافة الشفوية :

حيث كانت الاخبار تلقى مشافهة ولنا من تاريخ الادب العربي في مختلف ادواره دليل على الصحافة الشفوية ، فالرواة والشعراء والخطباء انما كانوا صحفيين ، لهم منزلتهم في مجتمعاتهم وتأثيرهم فيها •

(١) راجع : رفائيل بطي - مجلة منير الاثير - العدد الثالث ص ٢٢

• عام ١٩٤٥ •

فالشاعر والخطيب كانا لسانها الناطق وقلبها النابض وليس غريبا أن تقيم القبائل قديما الولائم والافراح بخطيب يظهر وشاعر يبنغ فكانوا كصحف حزبية يدافعون عن القبيلة وينددون بخصومها ويشيدون بفرسانها ايام الحروب ، فهم اشبه بصحفنا اليوم • فحسان بن ثابت يعتبر صحيفة الاسلام والاخلط صحيفة بني امية والكميت بن زيد صحيفة آل البيت والطرماح صحيفة الخوارج وهلم جرا •

وبعد طور المشافهة يأتي :

طور الصحافة الخطية :

فقد مضى الناس يستسخون هذه الاخبار • وقد شاعت صناعة النسخ في بلاد الرافدين في العصور الوسطى ولا سيما في البصرة والكوفة وبغداد • وقد ازدهرت الوراقة والنسخ ومارسها (نبغاء لمع اسمهم كأبي حيان التوحيدي فهو لم يتفوق في نسخ الصحف حسب بل كان كاتباً مبدعاً يلي الجاحظ ان لم نقل يفوقه في أسلوبه الصحافي)^(١) • فكان هؤلاء صحفي عصرهم • وليس من المغالاة في شيء اذا قلنا ان (الجاحظ) يعتبر شيخ صحافة زمانه •

يقول الدكتور عبداللطيف حمزة : (ولك ان تتصور معي رجلا من كتاب القرن الثالث الهجري كالجاحظ - ما اجدره ان يكون اول صحفي ممتاز لو عاش في عصر كالذي نعيش فيه ! بل ••• كان بالفعل ذلك الصحفي الناجح الذي لم ينقصه يومئذ غير الاسم • لذلك نظرت الى الادب الجاحظي كله على انه صحافة كاملة لذلك العصر)^(٢) •

(١) رفائيل بطي - مجلة منير الاثير - العدد الثالث ص ٢٢ عام

١٩٤٥ •

(٢) الدكتور عبداللطيف حمزة - مستقبل الصحافة - ج ١ ص ١٤

عام ١٩٦١ •

استمرت الصحف الخطية الى ان اخترعت المطبعة فكان ظهور الصحف مقرونا بظهور المطبعة فغلبت الصحف المطبوعة على الصحف الخطية .

واول جريدة ظهرت في عالم النشر بعد ذبوع الطباعة (سميت - غازيتا - وذلك في عام ١٦١٠م في مدينة البندقية)^(١) ومنها انتشرت الى اوربا . يقول المفكر الفرنسي - الفيكونت دافيتل - : (ان الجريدة في نشأتها الاولى عند بدء اختراع الطباعة كانت تطبع في ورقة واحدة في كل اربع وعشرين ساعة حاوية كل الاخبار الهامة ، وكان نشر الاخبار هو الفكرة الاولى لانشاء الصحف ثم تطورت الصحافة حتى أصبحت الجريدة هي الصلة بين الزعماء والشعب والوسيلة لنشر الدعايات والافكار الجديدة)^(٢) .

اما الشرق العربي : - فقد عرف الصحافة الحديثة على يد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م اذ جلبوا معهم مطبعة كبيرة لطبع المنشورات التي كانوا يوزعونها ليشبوا بها لاهل مصر حسن نيتهم في حملتهم هذه وصاروا يطبعون جريدتهم المشهورتين (بريد مصر) و (العشرية المصرية) أثناء اقامتهم من ١٧٩٨-١٨٠١م^(٣) . ثم نظموا طبع جريدة عربية هي « جريدة التنبيه » التي تعد أول صحيفة في العالم العربي على رأي بعضهم ، الا أن « الدكتور ابراهيم عبده » أثبت أنها لم تصدر وان صدر المرسوم بانشائها^(٤) .

(١) رفائيل بطي - مجلة منبر الاثير - العدد الثالث - ص ٢٢ عام ١٩٤٥ .

(٢) راجع : عبدالله حسين - الصحافة والصحف - ط ١ ص ١٨ مصر عام ١٩٤٨ .

(٣) راجع : ناصر الحاني وجماعته - الادب العربي - ص ١٤ - ١٥ بغداد عام ١٩٤٤ .

(٤) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٩ ، مجلة منبر الاثير العدد الثالث ص ٢٢ عام ١٩٤٥ .

لكن المسلم به أن جريدة « الوقائع المصرية »^(١) هي أول جريدة عربية عامة صدرت ، أنشأها « محمد علي الكبير » عام ١٨٢٨م ونظم صدورها بعده « اسماعيل باشا » • وكان يحررها فطاحل أبناء مصر أمثال « محمد عبده » و « سعد زغلول » • ويقول الدكتور عبداللطيف حمزة : « وأن كان مؤرخو الصحافة المصرية يذكرون أن هناك صحيفة مصرية سبقت (الوقائع المصرية) الى الظهور وهي صحيفة (جورنال الخديوي) • غير أنه تبين للوالي (محمد علي) بعد ذلك أن هذه الصحيفة لا تخدم أغراضه بما فيه الكفاية ، ولذلك فكر في انشاء (الوقائع المصرية) لخدمة هذه الاغراض ، ولكي توزع منها نسخ كثيرة تكفي أعضاء الاسرة المالكة وموظفي الحكومة وطلبة المدارس في الداخل والخارج ، وبعض أفراد الشعب المصري بالاضافة الى ذلك »^(٢) •

أما العراق :-

فقد شهد ميلاد صحافته على يد الوالي « مدحت باشا » الذي أنشأ أول جريدة في العراق المسماة « الزوراء » عام ١٨٦٩م لا لغرض ثقافي قصده ، وانما لنشر آرائه الاصلاحية و (الفرمانات السلطانية) • وأحقاقاً للحق أنها نبهت الشعب الى أن هناك صحافة وأوامر ، وهناك شكاوي فضلاً عن الاخبار الاخرى •

وقد ظلت الجريدة الرسمية لولاية بغداد الى أن احتل الجيش البريطاني بغداد عام ١٩١٧ فاحتجبت - الا أن (رزوق عيسى) يذكر في مجلة

(١) كان اسم الصحيفة سابقاً « غازيتا » لكن « أحمد فارس الشدياق » غيره فأطلق عليه اسم « صحيفة » أما اسم « مجلة » فقد اصطلح عليه « الشيخ ابراهيم اليازجي » • راجع هامش ص ١٥ من كتاب « الادب العربي » لناصر الحاني بغداد عام ١٩٤٤ •

(٢) محاضرات الدكتور عبداللطيف حمزة بقسم الصحافة بجامعة بغداد عام ١٩٦٥-١٩٦٦م •

« النجم » الموصلية في عددها السابع :

« ورد في بعض أسفار رحالي الأفرنج ومنهم الانكليز تلميحات و اشارات الى أن أول صحيفة ظهرت في بغداد كانت تعرف باسم (جورنال العراق) أنشأها (داود باشا الكرجي) عندما تسنم منصب الولاية عام ١٨١٦م ، وكانت تطبع بمطبعة حجرية • بيد أن الكاتب المحقق لا يليق به أن يجزم بصحة ما طالعه في كتب الرحالة الاجانب ما لم يعثر على نسخة من تلك الصحيفة • ومن المحتمل أن لفظة (جورنال) يراد بها سجل العراق الرسمي (كالسانامه) وليس جريدة بالمعنى المعروف اليوم «^(١)» • ولو سلمنا بهذا الرأي لوجدنا لهذه الجريدة أثرا أو نسخة منها في دور الكتب في بغداد وما جاوره امن البلدان ، كما أن المطابع الحجرية لم تدخل العراق كما قلنا سابقا الا في عام ١٨٥٦م لهذا تبقى اليد في انشاء أول جريدة رسمية في العراق « ملدحت باشا » باصدار الزوراء • وبعدها كثرت الصحف الرسمية فقد تلت « الزوراء » ، « الموصل » المؤسسة عام ١٨٨٥م وتبعتها « البصرة » عام ١٨٩٥م • وهذه الصحف استمرت تنشر مرة كل اسبوع باللغتين العربية والتركية حتى توارت عن الانظار على اثر الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٧م •

وقد مرت الصحافة العراقية منذ نشوئها عام ١٨٦٩م حتى بوادر الاستقلال عام ١٩٢١م بأدوار ثلاثة يتميز كل دور عن الذي يليه بميزات مختلفة ، تجلت فيها اختلات سياسة الهيئة الحاكمة واتجاهاتها فانعكس هذا الاختلاف على الصحف عامة من حيث أهدافها ، وسياستها العامة ، وتقدمها حينا ، وتأخرها ثانية • والصحافة مثلت الادوار المختلفة التي مرت بها ضمن واقعها السياسي والفكري ، والدور الذي لعبته باعتباره جزءا من التاريخ السياسي للعراق وهذه الادوار هي :

(١) رزوق عيسى - تاريخ الصحافة في العراق - مجلة النجم الموصلية ص ٢٤٩ عام ١٩٣٤ •

١ - الدور الاول :

ويبدأ منذ نشوء الصحافة عام ١٨٦٩م الى اعلان الدستور عام

١٩٠٨م .

٢ - الدور الثاني :

ويبدأ من اعلان الدستور عام ١٩٠٨م الى احتلال القوات البريطانية

البصرة في كانون الاول من عام ١٩١٤م .

٣ - الدور الثالث :

ويبدأ ببدء الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤م حتى بواذر

الاستقلال عام ١٩٢١م .

وستتكمّل عن هذه الادوار بشيء من الايجاز .

١ - الدور الاول « ١٨٦٩م-١٩٠٨م » :

يعتبر (مدحت باشا) كما قلنا سابقا أول من وضع الحجر الاساس في خلق الصحافة العراقية بتأسيسه جريدته الرسمية (الزوراء) عام ١٨٦٩م . وكان العراق قبل هذه الفترة محروما من الصحافة . فقد كانت تصل اليه الصحف من عاصمة السلطنة استانبول (حيث عرفت السلطنة العثمانية الصحافة أول الامر عام ١٨٣١م عندما اصدر (السلطان محمود) أمره بتأسيس جريدة (تقويم وقائع) التركية ، فكانت الجريدة الوحيدة التي تصل العراق وكان العراقيون يعرفون التركية قراءة وكتابة أكثر من لغتهم العربية لانها لغة الدولة الرسمية ولغة التعليم كما سبق ذكره . اما الجرائد العربية فكانت معدومة آنذاك ولعل جريدة (الجوائب) (لأحمد فارس الشدياق) التي ظهرت في الاستانة عام ١٨٦٠م أكثرها انتشارا في العراق فيما بعد^(١) .

(١) راجع رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ١٣

وعندما صدرت (الزوراء) الرسمية سعى مؤسسها لايجاد مجتمع عراقي يضاهي المجتمعات المتقدمة ، كما هو معروف عنه ، متخذاً من (الزوراء) وسيلة لفهام العراقيين أن هناك حكومة وأنظمة ، وقوانين مما هياً الأذهان الى الاستقرار ، والقضاء على عوامل التذمر ، وشجع الناس على نقد الولاة والحكام ، اذ كان الهذة الجريدة الحربية الكافية في نشر مطالب الشعب وشكاواهم ، وانتقاد اعمال الحكومة ، ومأموريها مطالبة بالاصلاح . الا أن هذه الحال لم تدم طويلا فقد عزل (مدحت باشا) عام ١٨٧٢م واعقبه ولاة كثيرون عمدوا الى طمس معالم الاعمال الاصلاحية التي قام بها . فتغيرت خطة (الزوراء) وفق اهواء الولاة ، ودخلت معمعة السياسة ، واتخذت لكل وال لبوسا يتفق ووجهته التي يرومها ، وجعلت المصانعة ديدنها ، واصبحت جريدة تركية ليس فيها ما يهم الناس ، وبالاخص عندما تسلم (عبدالحميد) سلطنة الدولة العثمانية (١٨٧٦م - ١٩٠٩م) ضيق على الصحافة في انحاء الدولة العثمانية وخشي سوء عاقبتها وسار ولاته في بقية الاقطار العربية على نهجه ، فاصبحت الصحافة في العراق (شأنها في ذلك شأن بلاد الامبراطورية العثمانية الاخرى ، معدومة الوجود تقريبا تحت ظل حكومة السلطان عبدالحميد) (١) .

يقول (فيليب دي طرازي) : (كانت الصحافة مطلقة الحرية تنشر الانباء على علاقتها وتنقد اعمال الحكومة ومأموريها حتى انها لم تشفق على السلطان نفسه فكانت تنشر المقالات الضافية عن مواقع الخلل بل انها كتبت صريحا عن مقتل الوزراء في دار الخلافة غير ان السلطان عبدالحميد لم يكن يهمنه من امور السلطنة الا صيانة حياته خشي سوء العاقبة من دولة الجرائد وصولا كتابها . فاصدر

(١) عبدالله الفياض - الثورة العراقية - ص ٥٧

أمراً بتقييد حريتها وضيق عليها المراقبة (١) • عاش العراق وصحافته فترة اضطهاد ، وطورد كل كاتب عراقي حر ، لهذا كانت الصحافة الرسمية التي تمثلها الصحف العراقية الثلاث في هذه الفترة ، الزوراء ، والموصل المؤسسة عام ١٨٨٥م ، والبصرة المؤسسة عام ١٨٩٥م ، إضافة الى مجلتيهما (اكليل الورد) المؤسسة عام ١٩٠٢م ، و (زهيرة بغداد) المؤسسة عام ١٩٠٥م (٢) أقول الصحف الثلاث الرسمية صحف مدهاة وتملق فما كانت تشر سوى ما يطيّب للسلطان وولاته من الفاظ التفخيم والتعظيم رغم مظالمهم جميعا وسوء اداراتهم • وكانت الصفحات الاولى من هذه الصحف تبدأ بالدعاء للسلطان ، كما يقول سليمان فيضي ، بهذه العبارات :-

(اطال الله عمر مولانا أمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، خادم الحرمين الشريفين ، وخاقان البرين والبحرين ، السلطان بن السلطان ، والخاقان بن الخاقان عبدالحميد خان ادام الله عزه وأعز جنده واسعد عهده ونشر على بلاد الاعداء راية نصره ••• الخ) (٣) •

ثم يقول : (ولم تكن الحكومة لتمنح امتيازاً لأية صحيفة أخرى مهما كان نوعها غير انه كانت تصدر « جريدة الاقبال » لصاحبها « عبدالباسط الأنس » ، ولعلها كانت الصحيفة الوحيدة التي كانت تصدر في البلاد العربية ، وقد استطاع صاحبها ان يحتفظ بامتيازها بكثرة دعائه للسلطان والاشادة بذكره) (٤) •

وقد منع الولاة دخول الصحف من الخارج سواء أكانت معارضة أم

(١) فيليب دي طرازي - تاريخ الصحافة العربية - ج ٢ ص ٧

(٢) راجع : عبدالرزاق الحسن - تاريخ الصحافة العراقية - ج ١

ص ١٧ النجف عام ١٩٣٥ •

(٣) سليمان فيضي - في غمرة النضال - ص ٤٩

(٤) سليمان فيضي - في غمرة النضال - ص ٥٠

مؤيدة ، ومن وجد بحوزته صحيفة من هذه الصحف المنوعة كان مصيره
اما السجن أو النفي الى الخارج أو الى مناطق نائية من العراق ابقاء على
عزلة العراقيين التي ارادها العثمانيون •

حدثني الاديب العراقي ناجي القشطيني^(١) : (ان زميله أحمد
الشواف لاحظ ابنه - عبدالله - ذات يوم يدخل غرفته ويسدها سدا
محكما على غير عادته - لينعم بقراءة الغازيتا - فما كان من الاب الا ان
داهم الغرفة ، فوجد ابنه يقرأ - الغازيتا - فأرعد وازبد وانهاه على ابنه
بالضرب المبرح قائلا له : « لقد خربت بيتي بادخالك الغازيتا » فاذا بالابن
المسكين يسرع الى احراقها خشية العيون والرقباء) •

وفي هذا الباب يحدثنا (سليمان فيضي) ويقول :- (ان الشيخ
مبارك الصباح ، أمير الكويت ، كان مشتركا في جريدة (الخلافة) التي
اصدرها في لندن بعض احرار الترك ، وعندما وشي جاسوس بوكيله
في البصرة (عبدالعزيز سالم البدر) بأنه دفع اشتراك هذه الجريدة ،
كسبت داره ، وتحققوا من دفاتره ، وحكموا عليه بالنفي الى ديار بكر
عشر سنوات)^(٢) •

وهكذا استهتر السلطان وولاته باقدار الصحف •

يقول (سليمان البستاني) :-

(فكم من جريدة الغيت أو اوقفت لزم من محدود أو غير محدود •••
بل كم من مرة تاجأ الجريدة أمر بتعطيلها ، وظل صاحبها يبحث اشهرًا
فلا يعلم لذلك سببًا •••)^(٣) •

(١) شاعر وأديب عراقي معروف من شعراء ثورة العشرين •

(٢) سليمان فيضي - في غمرة النضال - ص ٥٠

(٣) سليمان البستاني - عبرة وذكرى - ص ٢٧ مصر عام ١٩٠٨

كثيرهم الصحفيون الذين سجنوا ، وعذبوا لاستعمالهم كلمات أتت
عفو البديهة وفيض الخاطر انسجاماً مع ما كتبوا (فكم من مرة انقضت
الصواعق على رأس الصحفي لجهله أن هذه الكلمة أو تلك قد انتزعت
بحكم الاستبداد من معجم الالفاظ الكتابية كالثورة والاضفاف
والحرية ، وان عبارة أو جملة وجب حذفها من ابواب الانشاء كقولك ،
العدل اساس الملك ، والظلم مرتعه وخيم ، والحرية منتهى غايات
الامم)^(١) .

ومجمل القول : ان الصحافة في هذا الدور كانت لسان السلطان
واعوانه ، به تشيد ، وبلسانه تنطق ، فقد عزفت عن الشعب ، بل تخلت
عنه نهائياً ، ولم تعر لرغبانه اية أهمية . وأن خير وصف لهذه الحالة ما
اثبتته الدكتور (عبداللطيف حمزة) :

(. . . . على الصحافة ان تتوخى التعبير عن هذه الشعوب أما
اذا تخلت الصحافة عن هذا الواجب - الواجب المقدس - آراء الشعوب -
فانها في هذه الحالة تخلي الطريق امام الحاكم المستبد فيطش بها وبامته
ويستعيدهما تماما)^(٢) .

وهذا ما حدث بالفعل للصحافة والشعب ، فقد ظل كلاهما ميتاً
بصورة حي ، وظلت الصحافة بالذات أسيرة السلطان ، تشر وفق ما
يوعز ، لهذا ليس من التعسف في شيء اذا ما اطلقنا على هذا الدور دور
الاستبداد .

٢ - الدور الثاني « ١٩٠٨م - ١٩١٤م » :

لم يكد ينشق فجر الحرية في الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م أثر

(١) المصدر السابق ص ٢٨

(٢) الدكتور عبداللطيف حمزة - مستقبل الصحافة - ج ١ ص ٢٣٠

القاهرة عام ١٩٦١ .

اعلان الدستور حتى قام فريق من ادياء العراق ومفكره ، واخذوا
ينشرون الصحف على اختلاف نزعاتها ، وانطلقت الاقلام من عقالها ،
وخرج المفكرون يستشقون غير الحرية • وأول من أقدم على ذلك
(مراد بك) شقيق (محمود شوكة باشا) - قائد الانقلاب - فأصدر في
العاصمة العراقية جريدة (بغداد) عام ١٩٠٨ م • وتعتبر هذه الجريدة
باكورة الجرائد الشعبية السياسية ، ثم حذا حذوه (عبدالجبار باشا
الخياط) فأصدر في مستهل كانون الثاني من عام ١٩٠٩ م جريدة (العراق)
ثم قام بعده (عبداللطيف ثيان) فأنشأ جريدة (الرقيب) في الثامن
والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٠٩ م (١) •

ثم توالى اصدار الجرائد الشعبية ، وأخذت تكتب بصراحة وبحرية
لا حد لها •

يقول رفائيل بطي : (اخذت الصحف تكتب ما كان يعز كتابته أو
التطرق اليه في العهد المباد فلبست الصحافة ثوباً زاهياً من المقالات الحرة
والأقوال الصريحة) (٢) •

وقد خفت الرقابة على الصحف ، وتمتع الناس وبخاصة الصحفيين
منهم بنوع من الحرية لم يألفوها من قبل ، ولا سيما في الفترة الواقعة بين
عامي (١٩٠٨ - ١٩٠٩ م) تلك الفترة التي ساد فيها التبليل السياسي
وظهور بوادر الوعي القومي في العراق • اذ اخذت تهز وجدان الشعب
العراقي نزعتان : نزعة الرابطة الاسلامية ، والاتجاه نحو الدولة العثمانية ،
والدفاع عن استقلالها ، ونزعة ثانية تدعو الى الاستقلال ضمن اطار الدولة
العثمانية • نتيجة لهذا خاضت الصحف في هذه الموضوعات ، واتجهت الى

(١) راجع : رزوق عيسى - تاريخ الصحافة العراقية - مجلة الحرية
البغدادية المجلد الاول ص ٤٢٢ •

(٢) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٢٠

الجدل السياسي والحزبي مع نقص الخبرة في الصحافة والسياسة معا ،
فظهرت (في انهرها مهارات شخصية يندى لها الجبين)^(١) .

يقول محرر جريدة العرب البغدادية : (كانت محتويات تلك الصحف
الانتقاد بلهجة شديدة قارصة تدل على تهور وانتقام وسوء أدب وقد يقحم
في عباراتها السب والشتم)^(٢) .

هذه الصحافة الشعبية ظهرت على أيدي نفر من الصحفيين استغلوا
الحرية الممنوحة لهم ، فهبوا يتراشقون بالكلام البذيء ، والتهم الرخيصة ،
وكان المفروض في هؤلاء الصحفيين أن يحتضنوا هذا المولود الجديد
- الصحافة الشعبية - لخدمة مجتمعهم وتوجيهه الى سبيل الاصلاح لان
الصحفيين زعماء امتهم لا يتاجرون بمقدرات بلادهم .

وكم هو خليق بالاشفاق على ذلك الشعب - العراقي - الذي دنس
فضيلة صحافته هدف مادي أو غرض شخصي ، وفي هذا المعنى يقول
الدكتور عبداللطيف حمزة : (اذ المفروض في الصحافة أن تكون مرآة
للرأي العام الذي عاشت في احضانه مرتبطة بمصيره)^(٣) .

فالصحفي ، كما هو معروف في أي زمان ومكان ، تقع عليه مسؤولية
الامانة ، والدقة ، وتحري الحقائق والهباب شعور المواطنين للمطالبة بحق
اغتصبه غاصب أو استهتر به مستهتر ، لكن شيئاً من هذا لم يكن له وجود
في تلك الصحف ، بل من المستحيل ان يكون هذا ، لأن الولاة كانوا
يعتمدون على ضروب مختلفة من الفساد والافساد الصحفي وشراء
الضمائر وقلب للحقائق ، بل كم من مرة حرضت الدولة اعوانها ، من ذوى

(١) رفايل بطي - الصحافة في العراق - ص ٢٠

(٢) جريدة العرب البغدادية عدد ٤٤ في ٢١ ايلول عام ١٩١٧

(٣) الدكتور عبداللطيف حمزة - الصحافة والمجتمع - ص ٤ القاهرة

عام ١٩٦٣ .

الاقلام المأجورة ، على الصحف التي تجاهر بالحق كما حدث للمرحوم
(عبداللطيف نيان)^(١) .

بعدت الصحافة عن المجتمع وانزلت في متاهات لا حد لها . وانصافاً
للمواقع يتحتم علينا ان نذكر في هذا الباب ثلاثاً من الصحف هي : الرقيب ،
والرياض ، وصدى بابل ، عرفت واجبها وادت الامانة الصحفية على أتم
وجه فقد كانت تعالج موضوعات ذات أهمية . فمجريده (صدى بابل)
نشرت في عددها الثالث عشر الصادر في الخامس من تشرين الثاني عام
١٩٠٩ مقالا طالبت فيه باستخدام اللغة العربية في الدوائر الرسمية
جاء فيه :

(كثيرا ما لهجت جرائدنا الوطنية وغيرها من الصحف والمجلات
بطلب اتخاذ لغتنا العربية رسمية في ديارنا هذه . وقد افاض ابناء العرب
في هذا البحث بما لديهم من الدليل والتعبير عن خواطرهم . . . فأقول
ولا اخشى معترضاً انه قد يستحيل في جميع الاصقاع - يقصد العراق -
ان يرى بين ذلك الشعب الغفير من يحسن كلمة من التركية ما خلا افرادا
في المدن يعدون على الاصابع) ثم ختمت المقال بقولها : (فقد بلغنا من
الخدمة ما هو علينا . فرض واجب وضربة لازب) كما نشرت في العدد
السابع عشر عام ١٩٠٩ مقالا آخر طالبت فيه باستعمال اللغة العربية في
المرافعات وقالت : (ان الحكومة التركية ان أصرت على استعمال اللغة
التركية فانها تقيم قائمة أولاد العرب عليها) .

ثم نشرت في العدد الخامس والسبعين قصيدة عنوانها (الندبة
العراقية) تعاتب فيها نواب العراق في (مجلس المبعوثان) على خمولهم ،
وجبنهم في مطالبتهم بحقوق العراقيين جاء فيها :-

(١) راجع : رفائيل بطي - الصحافة العراقية - ص ٢٦

فقولوا لنواب العراق اما لكم تشاغلتم عنا باعلى المراتب
يشق علينا جبنكم وخمولكم ولو كنتم نسل الكرام الاطياب (١)

اما جريدة (الرقيب) : - فقد عرفت بالجرأة والشعور بالواجب
وكان صاحبها (عبداللطيف ثيان) شاهراً قلمه ، فما كان حسنا اطراه
وما كان خطأ انتقده . جاء في عددها (١١٥) مقال بعنوان (كتاب لأنظار
والي الولاية المحترم) تحدث فيه عن الاصلاح واستتباب الامن في بغداد
مخاطبة (ناظم باشا) : - (يا حضرة الناظم المحترم تجاسرنا على مقامك
السامي قبل هذا بكتابين على اعمدة جريدة الرقيب وقد جئناك اليوم
بثالث كما سنعقبه برابع وخامس الى اخره . فنأمل منكم الاصغاء التام لأن
هذا لسان الامة وهي ترجمان افكارها . ايها الناظم المحترم ندعوك اليوم
لإجراء أمر مهم لا يوازيه أمر غيره الا وهو الامن لأن الامن لا يقاس به
أمر مهما كان عظيماً فأرنا همتك واشرفنا عدلك . وفقك الله لما
يصلح البلاد ويريح العباد أجمعين) (٢) .

وقد كلفت هذه الصراحة صاحب الرقيب وصدى بابل ثمنا غاليا ، اذ
حرضت الحكومة اصحاب الاقلام المأجورة والصحف المرتزقة على
مهاجمتها مما أضطر صاحب الرقيب الى تعطيل جريدته ، وفر من خصمه
الوالي واعوانه الى الشام . اما صاحب صدى بابل فوقف يقارعهم بالحجة
بالحجة ويندد بخصومه . فقد كتب مقالا بعنوان (لو ذات سوار لطمتني)
جاء فيه :

(كل يعلم السبب الذي ألجأ حاتما في ارساله هذا المثل) . ونحن
نصدر به عبارتنا هذه الى (مرقعة الهندي) (٣) - بمعنى لو ذو علم

(١) جريدة صدى بابل عدد ٧٥ ك ٢ عام ١٩١١ م

(٢) جريدة الرقيب عدد ١١٥ عام ١٩٠٩ م

(٣) جريدة عراقية خاصمت صاحب « صدى بابل »

ناظرني - •

لقد عثرت بطريق الصدفة على الجزء من تلك المرقعة ، ووقفت على تطاوله وخروجه عن حدود الادب وسنة الكمال وتعلقه بأذيال اسمال السفاهة • ولم اعجب لشأنه لان لكل امرىء من دهره ما تعودا فذكرني حالة قول الاسكندر (لموتحة) (١) عند رجوعه عن النساء اللائي برزن لمحاربتة حيث قال :

(هذا جيش ان غلبناه فما لنا فيه من فخر ، وان غلبنا ، كما غلبنا حضرة صاحب المرقعة بديء الكلام ، فذلك فضيحة الدهر) • فهيناً لك أيها السادر في خيلائه قد غلبتني فانك بالسب احذق لأني ، وحق حرمة ادبك ، لم اتعود ذلك منذ دبت حتى شبت ، فكيف اتعوده وقد وخطني الشيب ، فإن السفه ليس من شأني ولا سلكت له صراطا • فاكرر التهانني لحضرتك انك بالسب احذق • كيف لا اهنتك وحضرتك لم تزل متنافساً بهذا الخلق الذميم . . . فوالحق يقال : لقد حزت في ميدانه قصب السبق وكل واحد يمكنه أن يقول :-

ان عادت العقرب عدنا لها وكانت النمل لها حاضره
على أن آدابي لا تسوغ لي ذلك وعند هذا أمسك القلم عن الجرى
في هذا المكان فتكون فيه خاتمة الكلام والسلام) (٢) •

(١) أحد قواد الاسكندر المقدوني •

(٢) جريدة صدى بابل عدد ٣٣ في ١٩ آذار عام ١٩١٠ •

جاء في مجمع الامثال للميداني ج ٢ ص ١٧٤ - تحقيق محمد محي الدين - المطبوع بمصر عام ١٩٥٩ أن المثل « لو ذات سوار لطمتني » لم يقله حاتم ، وانما قال : « لو غير ذات سوار لطمتني » كما ورد في ج ٢ ص ٢٠٢ من المصدر نفسه • ويروي الاصمعي المثل على هذا الوجه ، وذلك أن حاتما الطائي مر ببلاد « عنزة » في بعض الاشهر الحرم فناده أسير لهم : يا أبا سفانه أكلني الاسار والقمل فقال : ويحك أسأت اذ نوهت باسمي في غير

فقد اساءت الصحف استعمال معنى الحرية وفي هذا يقول محرر
جريدة العرب :

(ظن الناس أن عهد الحرية أقبل وأن صباح النور انبثق ، فأخذ
الكتّاب والشعراء ••••• يدبجون المقالات ••••• حتى انهم تعدوا طورهم
واجروا الاقلامهم في ابحاث حادوا فيها عن سواء السبيل وخاضوا في مسائل
تأباها الاداب وتبذها الاديان وتمقتها الحرية الصادقة نفسها) (١) • مرّ
على هذه الفوضى القلمية حوالي خمس سنوات والصحف الوطنية تنبه الى
الخطر الجسيم الذي يكمن وراء هذه المهاترات • فقد كتبت جريدة
(صدى بابل) مقالا بعنوان (تقدم بلادنا وتأخرها) جاء فيه :

(••••• أن من أكبر دواعي تأخرنا هو الانشقاق الداخلي ••••• فأتنا
والحق يقال لا نهدأ ولا نمل من أن نرشق بسهام القذف والطعن من هو
أقرب منا من الاخوان ، ولا ننفك معهم عن تصويبها نحو غيرنا • وهكذا
لم تزل كل امة تتحامل على اختها ، ويقذف قوم بنبال التنديد غيرهم •
ويطعن آخرون ••••• حتى كثر الشقاق واتسع الخرق وتفاقم الخطب •
فكيف يرجى - ناشدتم الله - التقدم والنجاح لقوم هذا دأبهم وديدينهم ؟!
••••• وكيف نرجو اذا تقدمنا ونحن امة منشقة تحارب نفسها بنفسها ؟!
فهذه هي حالة الخراب التام والدمار العميم فيا للشقاء • وللداهية
والمصيبة) (٢) •

بلاد قومي ، فساوم القوم به ، ثم قال أطلقوه واجعلوا يدي في القيد مكانه
ففعّلوا ، فجاءته امرأة ببعير ليفصده فقام فنحره ، فلطمت وجهه فقال :
« لو غير ذات سوار لطمتني » • يعني : اني لا أقتص من النساء ، ففدى
نفسه فداء عظيما •

(١) جريدة العرب عدد ٤٤ في ٢١ ايلول عام ١٩١٧ م •
(٢) جريدة صدى بابل العدد التاسع في ٨ تشرين الاول عام ١٩٠٩ م

وكتبت أيضا مقالا بعنوان (الحرية والاصلاح) جاء فيه :- (يا ابناء الوطن ليس الدستور الا سوادا على بياض واوراقاً مطبوعة لا يجدى الملة في شيء أن لم تقم هي نفسها بتعزيز أركانه واخراجه الى حيز العمل به وتخدم وطنها خدمة صادق حر شفيق على شعبه واهله • وليعلم بنو قومنا اننا لو بقينا على ما نحن عليه ••• لم تقم لنا بعدئذ قائمة ولم نحظ بشيء من ذلك أبداً حتى نتجرع أكاس المنية ونشرب حمياها ونخسر بالصققة ونخب بالنهضة في حاضرنا ومستقبلنا) (١) •

الا أن الصحفيين لم ينفع معهم نصيح أو ارشاد ، وقد استمروا في طيشهم (مما جعل الرجعيين يقفون على فريسة باردة ، فخرجوا من أوجارهم ، وطفقوا ينددون بحرية الصحافة التي خلعتها الدستور على الاقلام غير المدربة والصحافيين الهوج) (٢) •

ولابد لنا أن نرجع سبب هذه الكارثة الى كثرة الجرائد والمجلات التي صدرت عند اعلان الدستور ، واكثرها كانت هزيلة • وهذه الجرائد التي صدرت هي :-

- ١ - بغداد ٢ - العراق ٣ - الرقيب ٤ - الارشاد ٥ - الانقلاب
- ٦ - التعاون ٧ - الروضة ٨ - الحقيقة ٩ - صدى بابل ١٠ - الزهور
- ١١ - بين النهرين ١٢ - الرياض ١٣ - مصباح الشرق ١٤ - سبيل الرشاد وغيرها (٣) فقد بلغت الاشباع فصار يتولى التحرير فيها أى شخص بغض النظر عن ثقافته ومؤهلاته ، ولا يتحاشى أى شخص في اصدار آية صحيفة • الا ان الانراك رأوا في هذه الصحف خطرا يهدد كيان دولتهم ،

(١) المصدر السابق العدد الخامس في ١٠ ايلول عام ١٩٠٩م
(٢) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٢١
(٣) راجع : فيليب دي طرازي - تاريخ الصحافة العربية - ج ٤ ص ٨٠ بيروت عام ١٩٣٣م •

فحظروا نشر الجرائد ما لم تكن مرخصة من الاستانة أو بأمر خاص من
الوالي ، فضاق الخناق على الصحافة حتى أصبحت الحرية خيراً من
الاجبار . وقبل اعلان الحرب العالمية الاولى زاد الاتحاديون في مطاردة
كتاب الصحافة واصحابها ، فمنهم من قتل أو نفي أو منع من اصدار
الجرائد ، واصبح كل موظف تركي أشد استبدداً من (عبدالحميد)
الذي ضرب به المثل بحكمه المطلق . وهكذا انتهى هذا الدور وقد جنت
منه الصحافة والصحافيون أنواعاً من الحرية والاضطهاد في وقت معا .

٣ - الدور الثالث « ١٩١٤م - ١٩٢١م » :

قبيل الحرب العالمية الاولى - كما قلنا سابقاً - زاد الاتحاديون امعانا
في ملاحقة الصحف ومحرريها ، بل ادى بهم الحقد على الصحافة العراقية
ان قتلوا وسجنوا وعذبوا الصحفيين الاحرار لمعارضة اكثر الصحف
العراقية الحزب الحاكم « الاتحاد والترقي » لا سيما صحف البصرة التي
كانت تتمتع بنوع من الحصانة ، مكتسبة من هيئة زعيم المعارضة هناك « السيد
طالب باشا النقيب » .

يقول رفائيل بطي : « وجدت الحكومة ان صحف البصرة تتمتع
بنوع من الحصانة ، مكتسبة من هيئة زعيم المعارضة هناك - طالب باشا
النقيب - وتأثيره على السلطة مما يجرىء هذه الجرائد على الامعان في النقد
والمقاومة » (١) ، مما الجأ وزارة الداخلية في الاستانة الى ابلاغ والي البصرة
في اخريات عام ١٩١٣م « باقفال جميع الصحف الموجودة والامسك عن
منح امتياز اية جريدة جديدة » (٢) .

ويخيل الينا ان حكومة الاستانة خشيت الروح القومي الفياض الذي

(١) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٣٨

(٢) المصدر السابق ص ٣٩

طفي في الصحف لئلا يشجع ذلك بقية الصحف الاخرى في بقية انحاء المملكة العثمانية للجهر بقوميتها والدعوة الى استقلالها • فعمدوا الى كم الافواه « ومنعوا الناس عن الجهر بالقول ، وحرّموا الصراحة في الكلام ، واصبحت خبرا من الاخبار ، فأخذ الناس يتعدون عن هذا الميدان » (١) • اما القلة من الصحفيين فقد صمدوا امام هذا الارهاب ، متمسكين بعقيدتهم القومية مطالبين باستقلالهم •

وقد انتهز الحاكمون المتمون الى حزب « الاتحاد والترقي » اعلان الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ م فرصة للايقاع بالصحفيين المعارضين والتكيل بهم • فعملوا الصحف ولاحقوا الصحفيين المعارضين من ذوي النزعة القومية العربية ، فنفا « داود صليوا » صاحب جريدة « صدى بابل » و « الاب استاس ماري الكرمللي » صاحب « مجلة لغة العرب » و « ابراهيم صالح شكر » صاحب « مجلة الرياحين » (٢) • وطاردت السلطات العثمانية البقية الباقية بحجة ظروف الحرب الاستثنائية ، لذلك اقلت جميع الصحف الشعبية الا جريدة واحدة هي « الزهور » لصاحبها « محمد رشيد الصفار » لمواتها للحكومة ، وتأييدها سياسة الحاكمين حتى نهاية الحرب العالمية الاولى واحتلال الموصل بعد ان غير اسم جريدته فأسمها « دعوة الحق » • غير ان العثمانيين رأوا ابان الحرب ان يستعينوا بالصحافة في بث الدعاية لهم والتشجيع بخصومهم الانكليز ، فأنشأوا لهذا الغرض جريدة يومية في بغداد في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩١٥ م (٣) اسموها « صدى الاسلام » تنشر باللغتين العربية والتركية ، وغني حزب « الاتحاد والترقي » بها عناية فائقة فأختار لها خيرة كتاب الصحافة العراقيين مثل : ابراهيم

(١) عبدالرزاق الحسيني - تاريخ الصحافة العراقية - ج ١ ص ٩ •

(٢) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٥٥ •

(٣) راجع : عبدالرزاق الحسيني - تاريخ الصحافة العراقية - ج ١

حلمي العمر ، والشاعر خيري الهنداوي ، والشاعر عبدالرحمن البناء ،
والشاعر جميل صدقي الزهاوي •

وقد نشرت - صدى الاسلام - الفتاوى العديدة لرجال الدين في
تحريض المسلمين العراقيين على الثورة على أعداء الاسلام - الانكليز - •
ولما احتل الانكليز البصرة في غرة كانون اول من عام ١٩١٤ م ،
اتجهوا الى الصحافة كعادتهم ليوطدوا بها سلطانهم ويرسخوا سيادتهم
فكان اول عمل قاموا به الاستيلاء على « مطبعة الولاية » الرسمية بالبصرة ،
ثم اتباع المطابع الاهلية ليخلو لهم الجو في النشر والاعلام ، وتوجيه الرأي
العام العراقي • فأخذوا ينشرون نشرة يومية باديء الامر باللغتين العربية
والانكليزية تذيع في الناس أبناء المارك الدائرة في جبهات القتال ، ثم
أصبحت فيما بعد جريدة يومية اطلق عليها اسم « الاوقات البصرية » •
ظهر عددها الاول في عام ١٩١٥ م باربع لغات ، العربية ، والتركية ،
والفارسية ، والانكليزية وكانت خير اداة للاعلان عن سياستهم • وقد
لعب « المستر جون فليبي » السياسي الانكليزي المعروف دورا هاما في
تحريرها • ولم تكف القوات البريطانية بهذه الصحيفة ، بل اصدرت
مجلة اسبوعية مصورة اسموها « العراق في زمن الحرب » الى جانب
جريدتهم المشهورة • وقد ضمت هذه المجلة صوراً للوقائع الحربية مع
صور للشخصيات العراقية الموالية لسياسة الاحتلال البريطاني لا سيما
شيوخ القبائل (١) •

هذا ما كان من امر الصحافة في البصرة •

اما في بغداد : فقد اهتم الانكليز بأمر الصحافة ، فلما دخلوها
منتصرين عام ١٩١٧ م استطاعوا ان ينشئوا جريدة « العرب » في الرابع من

(١) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٤٣

تموز في نفس العام • وكان الهدف من اصدارها محاولة فرض الرأي الاستعماري على جماهير العراقيين تحت شعارهم المعروف « جئنا محررين لا فاتحين » • وقد عهد الى « مستر جون فليبي » ادارة سياستها وتحريرها •

اما هيئة تحريرها فقد تولاها الادباء العراقيون (من الاصدقاء المقربين للحكومة الانكليزية) كما تقول (مز بل)^(١) وهؤلاء الاصدقاء المقربون هم نخبة من رجال العلم والادب في العراق اغرتهم السلطات المحتلة بانها جريدتهم لبث الفكرة القومية ، وخدمة اللغة العربية ، وثقيف الشعب • وقد اجزت لهم الاجور العالية • والغريب في الامر ان اكثر هؤلاء المحررين كانوا ينشرون مقالاتهم باسماء مستعارة ، وللقاريء اللبيب ان يدرك المغزى من هذا •

ثم توالى الصحف والمجلات بالظهور مثل « الاوقات العراقية » ظهرت في غرة كانون الثاني من عام ١٩١٨ م ، وجريدة « دار السلام » في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩١٨ م ، ومجلة « دار السلام » في السادس من تشرين الاول عام ١٩١٨ م ، ومجلة « النادي العلمي » في الخامس عشر من كانون الثاني عام ١٩١٩ م ، وجريدة « العراق » في مستهل حزيران من عام ١٩٢٠ م • وهذه الجرائد والمجلات جميعها كانت تماليء القوات المحتلة والسير في ركابها •

يقول عبدالرزاق الحسيني :^١ « لما استولى الانكليز على العراق اخذوا ينشرون في البلاد بعض الصحف التي تروج مبادئهم وتحسن الى الناس سياستهم »^(٢) •

ولا بد لنا ان نذكر هنا ان الظروف السياسية ، مدة الاحتلال البريطاني

(١) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٤٣

(٢) عبدالرزاق الحسيني - تاريخ الصحافة العراقية - ج ١ ص ٩

للعراق ، عملت على كبت الشعور الوطني بمساعدة هذه الجرائد الموالية ، فقد استغلت الناحية القومية لبث روح الحقد والكراهية على الاتراك ، وكانت لطخة سوداء في جبين الصحافة العراقية في هذه الفترة ان تقود الرأي العام العراقي أيد هي ابعدا ما تكون عن الامانة الوطنية • غير ان المخلصين من ابناء العراق شعروا بالمرارة لارتواء اكثر الصحفيين في احضان المستعمر ، فنشأ نتيجة لهذا تياران متصارعان : هما التيار الصحفي الموالي للقوات المحتلة ، والتيار الثاني : هو التيار القومي الذي يروم الخير لامته ولشعبه • وقد عانى هذا التيار الاخير من التعسف والاضهاد من السلطات المحتلة غير انه صبر باصرار وعناد وكانت ثمرة صبره ايقاظ الشعور الوطني للقيام بثورة العشرين ، فأنعشت الصحافة عند قيام الثورة ، ولعبت دورها الفعال بفضل جهود المجاهدين العراقيين الذين استطاعوا قبل اعلان الثورة بالتمويه على السلطات المحتلة للحصول على امتياز لاصدار مجلة شهرية ، في مظهرها « مجلة تاريخية ادبية مصورة » وفي حقيقتها سياسية لبث الروح القومي • وهذه المجلة هي « مجلة اللسان » عام ١٩١٩ • وقد لاقت رواجاً منقطع النظير لعنايتها بالقضية العربية بصورة عامة ، والقضية العراقية بصورة خاصة •

وكذلك فطنت الاحزاب السرية العراقية قبيل ثورة العشرين الى اهمية الصحف في الاعداد للثورة • يقول رفائيل بطي : « قرر فرع حزب العهد العراقي بالاشتراك مع بقية الاحزاب الوطنية ، وهم يتدابرون الخطط للثورة على المحتل الغاصب ، اصدار جريدة تتابع حركة الايقاظ ، والحوار على حكومة الاحتلال في طلب الاذن بجريدة باسم « الاستقلال » فمنحتهم امتيازها بعد تردد ومماثلة في الثامن والعشرين من ايلول عام ١٩٢٠ م » (١) • وقد عملت هذه الجريدة بفضل صاحبها « عبدالغفور

(١) رفائيل بطي - الصحافة العراقية - ص ٥٨

البدرى » ، احد اعضاء حزب العهد ، وجهوده لتهيئة الجو للثورة في انحاء العراق كافة .

اما مركز قيادة الثورة في النجف : فقد اتخذ الثوار من جريدة « الفرات » المؤسسة في الخامس عشر من ايلول عام ١٩٢٠م وسيلة لبث روح التألف ، وتشجيع الثوار ، وشرح تعاليم الثورة ، ونشر مساويء الاحتلال . ثم رأى الثوار ان يؤسسوا مكتبا للدعاية والاخبار المتعلقة بالثورة ، فقدموا طلبا للقائم مقام المنصب من قبل الثوار بأصدار جريدة في النجف بأسم « الاستقلال » فوافق على ذلك ، فصدرت في الثامن عشر من ايلول عام ١٩٢٠م طافحة بالمقالات وآراء المجتهدين من رجال الدين وفتاواهم . وان تاريخ الكفاح العراقي ليسجل لهذه الجريدة صفحة ناصعة رغم قصر عمرها . وهذه الصحف جميعا توارت عن الانظار بعد ان قضي على الثورة . الا ان الصحافة لاقت بعد هذا فترة من الجمود .

ولما تألفت الحكومة الاهلية بانتخاب فيصل ملكا على العراق عام ١٩٢١م اخذت الصحف تنشر في طول البلاد وعرضها ، واقبل الكتاب ورجال الادب على اصدار الصحف فأتعشت الصحافة في هذه الفترة وبدأت الحاجة اليها ماسة لاداء واجبها القومي .

يقول رفائيل بطي : « سارعت الحكومة في منح الاذن بها . . . وطفقت الاقلام تدعو الى استقبال الصفحة الجديدة من حياة العراق بعودة الملك الى اهله الشرعيين » (١) .

وقد صدرت جرائد عديدة نذكر منها :-

- ١ - الفلاح « في ٢٠ حزيران عام ١٩٢١م » لعبد اللطيف الفلاحى .
- ٢ - دجلة « في ٢٥ حزيران عام ١٩٢١م » لداود السعدى .

(١) رفائيل بطي - الصحافة العراقية - ص ٥٨

٣ - الرافدان (في ٢٦ أيلول عام ١٩٢١م) لسامي خوند (١) .
 بيد ان هذه الجرائد التي ظهرت في هذا العهد الملكي ، كان معظمها
 قصير العمر للعداء المستحکم بين الحكام والصحفيين الاحرار . فكانت
 الصحافة بين الالغاء والتعطيل وقد اتخذ الحكام من قانون المطبوعات
 العثماني الصادر في السادس عشر من تموز عام ١٩٠٩م سيفا مصلتا على
 رقاب الصحافة . ذلك القانون الذي ذاق منه الصحفيون العراقيون الامرين ،
 وقد بقي هذا القانون ساري المفعول حتى عام ١٩٣١ حيث حل محله
 « قانون المطبوعات المرقم ٨٢ لعام ١٩٣١م » . وقد عدل هذا القانون عدة
 مرات (٢) .

يقول الحسني : « اما الصحف الادبية فلم يكن هناك قانون يحميها
 أو سلطة شعبية تدافع عنها ، فكانت تحت رحمة الموظف المسؤول يستحب
 امتيازها متى شاء او يأمر بتوقيف اصدارها اذا اراد » (٣) .
 ورغم كل ما لاقته الصحافة من ضروب الاضطهاد ، فان قسما من
 هذه الصحف بقي دائب الخدمة والجهاد ، كما وان الصحافة واجهت
 المزيد من التحديات ، كما واجهت في الماضي . ولكنها في النتيجة انتصرت
 على اكل التحديات ونالت حريتها لان حرية الصحافة في الحقيقة لا تعني
 حرية الاجهزة القائمة على اخراجها بقدر ما تعني حرية الجماهير . وهي
 ليست ملكا للحكام كما ظن العهد الملكي المباد الذي اراد خنقها والحد
 منها ، وانما حرية الصحافة تعني حرية الناس وحقهم في الاطلاع على
 كل ما يدور في اوطنهم العربي الكبير وفي العالم اجمع . وهذا ما حققته
 ثورة تموز عام ١٩٥٨م بالفعل .

(١) راجع : عبدالرزاق الحسني - تاريخ الصحافة العراقية -
 ج ١ ص ٦٢ .
 (٢) راجع : عبدالرزاق الحسني - تاريخ الصحافة العراقية -
 ج ١ ص ١١ .
 (٣) المصدر السابق ص ١١

الفصل الثالث

أهم الصحف

(١٨٦٩م - ١٩٢١م)

(١) ...

(٢) ...

أهم الصحف

(١٨٦٩م - ١٩٢١م)

لم يكن في العراق قبل اعلان الدستور العثماني غير الجرائد الرسمية : الزوراء ، والبصرة ، والموصل . فما كاد يعلن الدستور عام ١٩٠٨م حتى هب العراقيون على مختلف نزعاتهم وميولهم الى اصدار الصحف والمجلات في مختلف انحاء العراق . متخذين من الحرية التي منحهم اياها الدستور المذكور وسيلة للتعبير عن آرائهم وعمما يجول بخواطيرهم . فقد كان في هذه الفترة بإمكان اي فرد يملك ثمن الورق والطبع ولو لعدد واحد ان يصدر جريدة ، وكان صاحب الجريدة يجمع في شخصه المالك للجريدة ، ورئيس تحريرها ، والمخبر ، ومدير ادارتها ، وقد يكون الموزع في اكثر الاحيان (١) . كما ان اكثر الذين زاولوا مهنة الصحافة اعوزتهم الثقافة في اسط قواعدها ، مما ادى الى ضعف مستواها الفني ، والكتابي وخاصة في مناقشتها السياسية . فآدى ذلك في النهاية الى اكسادها ، ثم غيابها عن الانظار .

يقول المؤرخ العراقي رزوق عيسى :-

« ان معظم تلك الصحف توارت عن الانظار . . . لقلة الرواج الذي صادفته لان الشعب العراقي لم يكن مستعدا في ذلك الحين كل الاستعداد لتلاوة الصحف ومطالعتها كسائر الاقطار الراقية هذا فضلا عن ان فن الصحافة اكان حديث العهد في ربوعنا وان طائفة من ارباب الصحف لم يكونوا يحسنون لغة اجنبية تساعد على تعريب مقالات سياسية ونقل شذرات ادبية واجتماعية الى العربية ودرجها في اعمدة صحفهم » (٢) .

(١) راجع فصل - كتاب الصحافة -

(٢) مجلة الحرية البغدادية المجلد الاول ص ٤٢٢ سنة ١٩٢٥ .

والظاهرة الغربية في صحفنا في فترة البحث انها تظهر الى الوجود وسرعان ما تختفي دون أن يعرف الناس عنها شيئاً • وقد وصف هذه الحالة « عبدالرزاق الحسيني » بقوله : « تصدر عدة جرائد ومجلات من وقت لآخر وفي فترات متقاربة جداً بأسماء متباينة وتحت مسؤوليات مختلفة واكثرها يصدر ويختفي ولا يعرف الناس عنه شيئاً ••• فهي تصدر ولكن لا تلبث الاكثر من بضعة ايام حتى تبلي بمرض افلاسي او اجرامي فندهمها المنية فتميتها » (١) •

ولعل الآفات التي اصيبت بها الصحافة العراقية من المهارات الصحفية واتخاذ الطعن والسب وسيلة للتنكيل بعضهم البعض الآخر مما جعل الناس يفقدون الثقة بالجرائد وعدم الركون الى لهجتها فعمها الكساد وادى الى زوالها •

جاء في جريدة العرب البغدادية :-

« ان هذه الصحف كانت بضاعة كاسدة والقراء أقل من القليل وقد نفق بعضها في عهد الاتراك ، لان اغلبها تصدر بلغتين نصفها بالعربية والنصف الثاني بالتركية ••• وعندما يمضي عليها شهر وعرف فكر صاحبها ملت والقيت بين النفايات » (٢) •

وقد احصى (فيليب دي طرازي) عدد الصحف التي صدرت من (١٨٦٩م - ١٩٢١م) في الجزء الرابع من كتابه الصحافة العربية على النحو الآتي :-

(٥٨) صحيفة في بغداد ، (١٦) صحيفة في البصرة ، (٦) في الموصل

(١) عبدالرزاق الحسيني - تاريخ الصحافة العراقية ج ١ ص ١١ سنة ١٩٣٥ •

(٢) جريدة العرب البغدادية عدد ٤٤ في ٢١ ايلول سنة ١٩١٧ •

• وواحدة في كركوك ، وواحدة في النجف وواحدة في كربلاء « (١) •

كما أحصي أيضا عدد المجلات خلال الفترة نفسها :-

« ١٥ مجلة في بغداد ، وواحدة في النجف - العلم للشهرستاني -
وواحدة في كركوك - كوكب المعارف - والأنتان في الموصل - اكيل
الورود والنادي العلمي - » (٢) •

وقد اعتمد « دى طرازي » في احصائه هذا على « رزوق عيسى »
صاحب مجلة العلوم • يقول رزوق عيسى : « نشرت سنة ١٩١٠ لمجلة
باسم العلوم وبعت بعدها الاول الى فيليب دى طرازي لطلب الي ان اكون
مراسلا للصحف التي تصدر في العراق فليت الطلب لما يترتب على ذلك
من الخدمة الادبية للعراق في نهضته الادبية ••••• فكنت ادون تاريخ كل
صحيفة تنشر والخص مقدمتها وخطتها والغاية التي ترمي اليها » (٣) • يتبين
لنا مما تقدم ان اكثر الصحف كانت قصيرة العمر بحيث اصبحت العادة
لكل جريدة عندما تقرظ جريدة جديدة ان تدعو لها بالحياة الطويلة لثلا
تكون كسابقتها في الاختفاء • وفي بحثنا هذا سنتناول الصحف التي ظلت
دائمة الخدمة والاثر في احد العهود الثلاثة : العهد العثماني ، والاحتلال
البريطاني ، والحكم الاهلي ، سواء أكانت صحيفة رسمية ام شعبية ،
والتي خدمت البلد على الصعيدين الرسمي ، والشعبي لما لذلك من أثر هام
في تأريخ صحافتنا العراقية خاصة والصحافة العربية عامة •

(١) فيليب دي طرازي - تاريخ الصحافة العربية - ج ٤ ص ٨٠

بيروت سنة ١٩٣٣ •

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ١٤٨ •

(٣) مجلة النجم - السنة السادسة - العدد السابع ص ٢٤٩ عام

١٩٣٤ م •

جريدة الزوراء

(١٨٦٩م - ١٩١٧م)

عين مدحت باشا عام ١٨٦٩م واليا للعراق وله الرغبة الصادقة في
الاصلاح والاخلاص في العمل . وقد ولّى الرجل وجهه شطر مختلف
شؤون العراق فرأى الجهل ، والفقر المدقع ، والمرض المتفشي . لذلك
قرر ان يصدر صحيفته الرسمية - الزوراء - لتنبه الشعب الى ما يروم
القيام به الوالي وما يجب على الشعب عمله . فكانت هذه البادرة خير
موقف للشعب ، فأصاع الناس الى آرائه وتوجيهاته كما انهم من ناحية
ثانية أسسوا عن طريق الزوراء من ان هناك حكومة وقوانين ، وهناك
اصلاحا فعليا ، ومراقبة على الموظفين من قبل الحكومة . حتى بلغ الامر
بهذا الشعب أن يتجرأ على نقد حكامه على صفحات الزوراء بجرأة وصراحة
وقد كان من قبل محروما منها . وكان مدحت باشا « يتحقق عن أكل من
عرف عنه سوء حالة من الموظفين ليضرب على يده . عزل قائمقام راوندوز
بسبب ارتشائه ، وهكذا فعل بمدير ناحية عنه ، كانوا قد اخذوا بعض
المبالغ باسم الرسوم ، وسيق هؤلاء للمحاكمة ، وصار الموظفون يخشون
أن يعثوا بالامن لما يجري من مراقبة فكان الناس بمأمن . . . » (١) .

وقد اعد الوالي العدة قبل ان يصدرها فأصطحب المحررين من
الاستانة وعلى رأسهم الكاتب التركي المعروف - أحمد مدحت افندي -
وجلب لها المطبعة المسماة - مطبعة الزوراء - «الولاية» من فرنسا وما أن
تمت كل الترتيبات حتى صدر عددها الأول يوم الثلاثاء في الخامس من

(١) الزوراء - العدد الثاني - السنة الاولى سنة ١٨٦٩م .

ربيع الاول من عام ١٢٨٦ هـ الموافق السادس عشر من حزيران عام ١٨٦٩م باللغتين العربية والتركية وقد جاء في ترويضتها « هذه الغازيتا تطبع في الاسبوع مرة يوم الثلاثاء وهي حاوية لكل نوع من الاخبار والحوادث الداخلية والخارجية » •

وقد نشرت في هذا العدد صورة الفرمان العالي لمدحت باشا بتوليته ولاية بغداد وهذه بعض فقراته المترجمة الى اللغة العربية بلغة ذلك العهد :-

« وزيرى سميى الدرابة مدحت باشا :-

تويعى الهمايونى الرفيع اذا وصل يصير معلوماته من المستغنى عن الوصف والبيان والايضاح والبيان ، خطة ولاية بغداد الجسيمة من اعظم القطع المركبة من الممالك المحروسة من دولتى العلية ومن اقتضاء ارضها ووضعها قابلة لكل نوع من الاعمار والترقى وهذا شىء من المسلمات وبناء على كل نوع لاجل استحصال اسباب اعمارها اعز الآمال والمطالب عند سلطتى الهمايونية اقتضى انتخاب وتعيين ذات مقتدر بمنه تعالى بايصال الفعل الى حيزه فى رأس ادارة ذلك المحل وفق آمالى الهمايونية وانت الى الآن بوقوفك ووجودك فى خطوط سلطتى السنية مع اتصالك بالغيرة والاقدام والدرابة وحسن ابراز خدماتك ان شاء الله الملك المعين تقدر على ايفاء مطلبى المستصحب للميمنة والخير • فقد صدرت ارادتى السنية المزينة لسنوح المواهب احالة وتقويض ادارة امور ملكية وعسكرية الولاية المذكورة اعتبارا من اليوم الثانى من شهر ذى القعدة سنة الف ومائتين وخمسة وثمانين كعهدة لياقتك » •

وفى هذا العدد الاول تحت عنوان (المقالة) ورد خطاب مدحت باشا الذى القاها فى الاحتفال بقراءة ذلك الفرمان العالى يكاد يكون اشبه بالمنهاج الوزارى فى عهدنا الحاضر وفى ثيابه الصورة الواضحة لشخصية

الرجل ، وميله الى اثاره النفوس للعمل وهذا نصه كما ترجمته الزوراء :
« قد علم من يعرف التركية حكم هذا الفرمان العالي السلطاني ،
ومن لم يعرف وجب عليه أن يعرف من غيره ، وان جل مقاصد سلطاننا
ان ينال الاهلون الرفاه والسعادة وفي ظل العدل والرافة سواء كانوا
مسلمين أو غير مسلمين وان ينالوا الحد اللائق من استكمال ذلك
والمحافظة عليه ، وان اول واجب الموظفين أن يخدموا هذه المهمة ويقوموا
بها خير قيام »

ثم ينتقل الوالي بعد هذا الى وصف حالة العراق وتأخره وماوصلت
اليه الحال والى فطرة اهله وشهرتهم فيقول :-

« وهنا الاراضي تقبل كل نوع من العمارة والاهلون لائقون
لكل تعليم ، وفطرتهم معلومة واستعدادهم مشهور ، فيستطيعون أكثر من
غيرهم التقدم ، لينالوا حظا من الثروة والحضارة لكن الخراب
المستولى ، وعدم النشاط تاجم من تقصير الاهلين لولا منجاة من هذه
الورطة الا بالانقياد للمتبوع الاعظم ونأمل ان نصل الى الغاية المطلوبة
فنرى الآثار النافعة وثمار المساعي في اقرب مدة » وبعد هذا يطب مدحت
باشا في وصف الغنى ويذكر العراقيين بحالة العصر وتقدمه ويقول :-

« وليعلم ان الغنى لا يراى به جمع النقود ووضعها في الصناديق
او الخزانات وحبسها هناك وانما النقود المطلوبة هي ان تتداول بين الناس
وان يراعى فيها وجائب العصر وحالاته ، وان تراعى التجارة والزراعة
كما يقتضيه العصر »

وبعد هذا ينتقل الى تحديد مسؤولية الموظف ، ويبين رأيه في الهيئة
الادارية وما يعملها الناس تجاه الموظف فيقول :-

« وليعلم كل موظف انه لم يعمل لنفسه ، وانما يعمل في حدود

وظيفته للقيام بخدمة الاهلين وسلامتهم وسعادتهم ، وليعاون الاهلون الموظفين فهم في حاجة الى تسهيل هذه المهمة التي يقومون بها ، وليتحملوا المشاق في هذا السبيل فيما لم يدركوا نتائجه ، وهو مما يعود للكل بالخير .»
وفي الاخير يجمل الوالي خطابه بقوله :-

« والحاصل ان كل ما يعمل لا يقصد منه الا راحة الاهلين وسعادتهم وسلامتهم فمن واجبه الانقياد والطاعة التامة . ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لما يرضي السلطان من الخدمات ، وان يؤديها بنجاح ، وان ينجيننا من الخطأ جميعا آمين » .

كانت الزوراء تنشر في اعدادها مختلف شؤون الولاية والانباء الرسمية والمعاهدات ورسائل من مختلف انحاء العراق . والمتصفح لاي عدد من اعدادها يجده مرتبا على هذا النحو :-

اخبار داخلية - تحتل الصدارة - فاخبار خارجية ، وأوامر سلطانية ، وكلمات ثناء واطراء على سياسته والتسبيح بحمده كما انها لم تهمل السياسة الدولية ، وما يحدث من تغيرات فيها من ذلك قولها :-

« نظرا للاخبار المأخوذة بواسطة التلغراف ان الماسكين طرف الحكومة في باريس قد غلبوا على الجمعية الاشتراكية والنفوس التي قد قبض عليها منهم اليوم وهم في السجن مغلولين يتجاوز عددهم عن ستين الف نفس . فاذا كانت هذه الاخبار صحيحة فيكون أمن فرنسة قد عاد والاختلال الظاهر قد اندفع وارتفع » (١) .

كما انها تقتنص الاخبار الخارجية التي تثير الهمم في نفوس الجنود ليتخذوا منها العبر اسوة بغيرهم في الدول الاخرى ، من ذلك ما جاء في عددها « ١٥٨ » :-

(١) الزوراء العدد ١٤٥ السنة الثانية في ٨ مايس سنة ١٨٧٠ م .

« قرأنا في الجرائد ما فحواه : ان نياشين « المدالية » التي تعطى لعساكر المانيا الذين كانوا في محاربة فرانس قد تقرر اعمالها من نحاس المدافع التي اخذت من فرانس وان يتحرر على صفائح هذه النياشين هذه العبارة فعلى الصفحة الاولى « قد عمل من نحاس المدافع التي اخذت من الاعداء » وعلى الصفحة الثانية « لله الشكر فان جانب الحق قد صار معيننا » (١) . وقد يكون في العدد الواحد اكثر من خبر خارجي . ففي العدد السابق نفسه خبر خارجي آخر جاء فيه :- « مما طالعناه في اوراق الحوادث ان التامينات التي اعطتها دولة ايطاليا للبابا من جهة اتخاذها بلدة روما مقرا الكرسى حكومتها قد كتبت في درج خط نفيس وطلبت اطرافها بالذهب تصدق اعلاها بأمضاء قرار ايطاليا البارلمنتو وشورى الدولة وقد ارسلت مع مأمور مخصوص الى روما لاجل التقديم » (٢) .

هذا فضلا عما تضمنته اعدادها من ارشادات عامة ، ومقالات صحفية تنبه الجمهور الى الاهتمام بالصحة العامة ، واتخاذ الاحتياطات اثناء انتشار الاوبئة ، حفظا لسلامة الناس ، وهو شبيه بما تفعله صحفنا اليوم من وسائل التوعية الصحية اثناء انتشار الامراض . من ذلك قولها تحت حقل « مواد خصوصية » :-

«... بمناسبة ظهور القولبرا - الكوليرا - في بندر ابو شهر كانت قد اتخذت التدابير المقتضية حسب القاعدة التحفظية بحق من يأتي من هناك الى البصرة لكنها كيف ما كان ظهرت احيانا في المحل المسمى - القورنة - وبعد الدوام بها كم يوم زالت واندفعت فقط مقتضى ما اخذناه من الاشعارات التلغرافية انه بهذا الدفعة ظهرت ايضا في البصرة بصورة شديدة حتى ان يوم الثامن من شهر مارت توفي من الذين عرض لهم هذا الداء اربعة عشر

(١) الزوراء العدد ١٥٨ السنة الثالثة في ٢٢ حزيران سنة ١٨٧١م

(٢) المصدر نفسه .

نفرنا وثاني يوم سبعة عشر نفرا وهؤلاء الذين قد توفوا اكثرهم من الاعجام «
ثم بعد هذا تنتقل الزوراء الى وصف الاحتياطات التي اتخذتها الحكومة
لمنع انتشارها « . . . بناء على ذلك فقد لزم . . . اجراء التدابير الاحتياطية
واعطيت الاوامر المقتضية من جانب الحكومة الى المأمورين بان علة
القوليرا هذه ما دامت باقية ان لا يدعوا - وابورا - او سفينة تمر لذلك
الطرف وكل من يأتي يوقفونه في القورننة لاجل اجراء - القرنتينة -
- الحجر الصحي - » ثم بعد هذا تذكر الجريدة الموطن الاصلي لهذا
المرض واسبابه : « . . . وسبب علة القوليرا التي تظهر هنا بكل سنة في اكثر
الاقوات هي سارية من ممالك ايران لان تلك الممالك هي منبع لها لما فيها
من الاوساخ والقاذورات . . . »

ثم تختتم الزوراء هذا المقال بحث الناس على التحفظ من هذا
المرض : « . . . وفي ابتداء الظهور منها يعنى في التدابير التحفظية حسب
الامكان وفي اسرع وقت . . . » (١) .

كما انها كانت تراقب الموظفين ، واعمالهم ، وتحذرهم من مغبة
التماهل في وظائفهم ، وتذرهم مما ادى الى سير الامور بصورة متقنة جاء
في العدد « ١٣٠ » :-

« لا يخفى ان تنظيف محلات مدينة بغداد هو محوّل الى بعض
الخدمة والمأمورين والمعاش الذي يعطى لهم في كل شهر يبلغ الى (ستة او
سبعة آلاف غرشا) ومع ذلك فالنظافة المطلوبة غير صالحة . . . وهذا الامر
انما هو حاصل من عدم دقة المأمورين . . . » (٢) .

هذه اللهجة الصريحة ، وهذا القول الحق مما زاد في تعلق الناس
بصدق ما تقول وترشد .

(١) جريدة الزوراء العدد ١٢٩ السنة الثانية ١٣ اذار سنة ١٨٧٠م

(٢) جريدة الزوراء العدد ١٣٠ السنة الثانية ١٦ اذار سنة ١٨٧٠م

الواقع ان جريدة الزوراء حوت الكثير من اخبار العراق ، واحواله السياسية ، والثقافية ، والتاريخية . فهي اعظم موسوعة يرجع اليها في هذا الشأن .

يقول مؤرخ الصحافة العراقية رزوق عيسى : « وفيها من النبذ التاريخية النفيسة ما لا توجد في مصحف من مصاحف التاريخ العراقي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري » (١) .

استمع الى احصائيتها لسكان بغداد عام ١٨٧٠م حيث تقول :-

« لا يخفى أن بلدة بغداد مع انها تحتوي على مقدار ثمانية عشر ألف دارا واهاليها وسكنتها يصل مقدارهم الى مائة وخمسين الف نفس » . وفي العدد نفسه تستطرد الى وصف ما ألفه الناس ، وما اعتادوه في شؤونهم المعاشية حينذاك فتقول : « . . . فالحنطة التي تطحن لمأكولات هذا المقدار من النفوس قد انحصرت اما في الرحى التي تدار بالبعال او باليد حتى ان اجرة طحينة الحنطة تصل الى ثلث ثمن الحنطة وما عدا ذلك فالحنطة التي تطحن لا تصير وفق المطلوب بل بعض الطحين يخلط ويفسد وهذا هو من الامور الثابتة بالتجربة فالآن جعلت الحكومة السنية علاوة على الهمة التي بذلتها في حقوق العموم من استكمال راحة الجميع يعني انها قد تشبثت في جلب ماكنة للطحين » (٢) .

والمبصيح لاعداد الزوراء في أيام مدحت « ١٨٦٩م - ١٨٧٢م » يخرج نتيجة : هي انها اتخذت الحق ديدنها ، والمصلحة العامة رائدها غير انها غيرت لهجتها عندما اقصي مدحت باشا من ولاية بغداد فدخلت معمعة السياسة ، ولبست لكل دور لبوسه ، واصابها ما اصاب الصحافة في

(١) مجلة الحرية البغدادية المجلد الاول ص ٤٢٤ عدد تموز سنة

١٩٢٤م .

(٢) الزوراء العدد ١٤٥ السنة الثانية ٨ مايس ١٨٧٠م

العهد الحميدي من الضغط ، والتشديد عليها ، وخنق حريتها ، الا انها استمرت في الصدور .

جاء في جريدة العرب البغدادية « كان في كلامها شيء من الجرية والمجاهرة بالحق في ايام مدحت ، ولما غادرها جعلت المصانعة ديدنها » (١) .

وقد سجلت الزوراء في سنواتها الثلاث بدقة كل ما قام به المصلح مدحت باشا من أعمال ، وأصلاحات بحيث تعتبر خير مرجع لتأريخه في العراق كما يقول رفائيل بطي (٢) استمرت الزوراء تنشر باللغتين التركية والعربية زهاء أربعين سنة . وعندما اعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨م وظهرت جرائد عربية في بغداد طوى قسمها العربي ، وصارت تكتب باللغة التركية وحدها . فأحتج على ذلك فريق كبير من العراقيين من ذوي النزعة القومية فأذعنت الحكومة لطلبهم ، ثم عادت تنشر باللغتين اعتباراً من العدد (٢٤١٨) الصادر في ١٢ تموز عام ١٩١٣م (٣) . وقد حرر فيها أول الامر بعض موظفي الولاية ممن لم يحسنوا العربية لذلك اصاب القسم العربي منها (التباين في الاسلوب فكانت ركيكة سخيفة أحياناً) (٤) اذ المؤلف ان تكون هذه الجريدة ذات صلة وثيقة بمن تخاطب من العرب الذين يتكلمون العربية ، وتعتبر تعبيراً صادقاً في الفاظ معروفة ومعاني سائدة ، لكن هذا ما لا نجده في الزوراء الرسمية التي تصدر في بلد عربي هو العراق بلد الادب واللغة . فقد عفي عليهما حتى كأنك تقرأ رطانة

(١) جريدة العرب العدد (٤١) ٢١ ايلول سنة ١٩١٧م

(٢) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ١٥

(٣) راجع مجلة الحرية البغدادية : المجلد الاول ص ٤٢٥ عدد تموز

١٩٢٤م .

(٤) مجلة متبر الاثير - العدد السادس - ص ٥ سنة ١٩٤٥ .

لا صلة لها بالعربية وتردد الفاظاً مبتذلة عامية تشعر وانت تقرؤها أشبه بالغريب في لغتك ومصطلحاتك • اقرأ معي هذا المقال تحت عنوان : « عريضة مخصوصة الى جريدة حقايق الوقايح » : - « بينما انا في مطالعتي الى نسخة جريدتكم التي نمرتها « ١٦٩ » الواردة بهذه المرة مع البوستة قراءتي الى صورة المكالمة التي جرت بين الصلح والحرب واذا ورد جاسوس خيالي الذي كنت قد ارسلته مقدما الى تجسس الافكار وحيث انني قد امرته بالذهاب الى الجبهة الشمالية وفي رجوعه سألته عن من رأى ومع من تلاقى هناك ••• وحيث انني لاحظت ان هذه الافادة لا تخلو من فائدة ••• وصرت مجبوراً على تقديمها وعرضها لديكم بمعرفة جريدة الزوراء حيث انه ليس لي واسطة غيرها الى تقديم ذلك اليكم » (١) ثم اورد الكاتب بعد ذلك محاوره خيالية بين شخصين احدهما يدعى (حرب) والثاني يدعى (خيال) • وقد كنى بالآخر عن الجاسوس الذي بعث به جبهة القتال • وهي محاوره يخرج منها القاريء بفكرة ضد الحرب •

واقراً مقالا آخر تحت عنوان - مواد عمومية - :-

(••• لا يخفى ان الدولة التي تملك على أورمانات (٢) واسعة فلا شك ان هوائها يكون معتدلاً ويكون ذلك سبباً مستغلاً لادخار النقود • اما ممالك السلطة السنية حال كونها مملوءة من هذا الجوهر • فحدوث الغوائل المتبادية كانت حاسيلة عن ذلك وبقت تلك الثروة مرمية على الارض •••) (٣) قد يعترض معترض فيقول : ان هذا شيء مألوف في كل جريدة حيث يظهر في اعدادها الاولى هذا النوع • ومع ايماننا بوجاهة هذا الرأي الا ان الجريدة انحطت كذلك في اواخر أيامها • فقد قال عنها

(١) جريدة الزوراء العدد ١٢٨ السنة الثانية ١٨٧٠م

(٢) « أورمان » اسم للأجمة باللغة التركية •

(٣) جريدة الزوراء العدد - ١٣١ - السنة الثانية ١٨٧٠م •

الاب انستاس ماري الكرمليني :- « واما مواضعها فلا تستحق الذكر •
وا أسفاه على ولاية بغداد ان تكون جريدتها الرسمية بهذه الصورة
الدينية » (١) • اذ المفروض فيها - الزوراء - وفق منطق التطور أن تبدأ
بسيطة ساذجة ثم تنمو ، وتزدهر حتى تتكامل لكن هذا لم يحدث •

يقول رفائيل :- « وقد انتقد الزوراء بعض ادباء العرب في العالم
العربي ، وقد نعوا عليها هذه الركافة الفاضحة والغلط المزري » (٢) •
وقد تداركت السلطة هذا الامر فأناطت تحرير قسمها العربي « بجماعة
من رجال العلم والادب من العراقيين منهم احمد عزت باشا الفاروقي
الموصليني » وقد كان ينشر فيها ما تجود به قريحته من شعر •

قال مادحا السلطان عبدالعزيز « ١٨٦١م - ١٨٧٦م » :-

سلطاننا عبدالعزيز بعدله

قد عمّر الدنيا واطراف الفلا

حتى لقد نصّت لهاة الطف في

سكانها والضيق فيها استفحلا

والكرب منهم والبلا في كربلا

قد حلّ حتى لا خلاء ولا ملا

وغداة قد ضاق الخناق بأهلها

والصحن منها بالزحام قد امتلى

صدرت ارادته السنية في بنا

أرض تكون وسيعة لحمي الملا (٣)

(١) مجلة المسرة اللبنانية عدد شباط سنة ١٩١١م •

(٢) مجلة منبر الاثير العدد السادس ص ٥ سنة ١٩٥٤م •

(٣) جريدة الزوراء العدد - ٢١٩ - السنة الثالثة سنة ١٨٧١م •

ويظهر لنا ان هذا الشعر ركيك برغم انه قيل في مدح السلطان
عبدالعزیز * غير ان له قصيدة اخرى في تهنئة الوالي مدحت باشا بالسيف
المرصع المهدي له من الباب العالي ، وقد جاءت جزلة في كثير من ابياتها ،
وبعيدة عن الركافة التي وصفت بها الايات السابقة ومنها قوله :-

لله سيف لاح وهو مذكر
في حده غدت الايادي تحجر

سيف ترصع بالجلال وانه
يخشاه من هذا الهلال الخنجر

والنار كامة بصفحة حده
والماء من افرنده يتفجر

فتظنه قد سال من اطرافه
ماء به نار الصواعق تسعر

الى ان يقول :-

يا ايها المولى المشير ومن به
بدر الوزارة يستتير ويزهر

عمرت اطراف العراق وانه
لولاك ما كان الولاية تعمر

انت الذي اوليت ما اوليتنا
من نعمة عظمت على من يشكر

انت الرشيد وهذا كرخنا
والفضل يحيى والطلبة جعفر

كم خضك السلطان منه بصارم
لا زال يذكر في الانام وبشهر

ورآك اهلا للسوف لانه
اصبحت سيفاً غمده لا يكسر
فهو النذير غدا بكفك قائماً
نعمانه يجري وانت المنذر (١)

ثم تولى تحرير الزوراء بعد الفاروقي اخوه علي رضا • وقد حرر فيها كذلك الشاويون ، عبد الحميد ، واحمد ، وعبدالمجيد ، والاستاذ طه الشواف ، والعلامة محمود شكري الالوسي الذي كان لمقالاته اثر في تحريك الجو الادبي (٢) • لذلك يلاحظ القاري في اعدادها المختلفة ان لغتها ، واسلوبها يصلان تارة الى الذروة فيجد في عباراتها حسن السبك ، وجزالة اللفظ ، وسلامة التعبير ، واخرى يهبطان الى ارك من الركائفة فيرى عبارات عقيمة ، غامضة ، ضحلة ، وممنشأ كل ما سبق يعود الى اختلاف ثقافة محرريها ، وقابلياتهم المتباينة •

عاشت هذه الجريدة مدة «٤٩» عاماً ، وبلغت اعدادها « ٢٦٠٦ » •
وقد نشر عددها الاخير عام ١٩١٧م ثم توارت عن الانظار اثر احتلال الانكليز بغداد •

وهكذا استطاعت الزوراء ان تقدم للعراق اجل الخدمات في الميادين الثقافية ، والاجتماعية ، وان تكون صورة للفكر العراقي ، والادب العراقي في الفترة التي عاشتها •

(١) جريدة الزوراء العدد - ١٨١ - السنة الثالثة ١٨٧١م
(٢) راجع : مجلة منبر الاثير العدد السادس ص ٥ عام ١٩٤٥م

جريدة الرقيب

(١٩٠٩م - ١٩١٠م)

ما كاد ينشق فجر الحرية بأعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م حتى قام فريق من الادباء العراقيين ، ومفكريه من المعينين بالشؤون العراقية بأصدار الصحف عملا بما أعلنه الدستور بإطلاق الحرية للشعب . فظهرت لأول مرة في تاريخ العراق الجرائد الشعبية وفي طليعة من اقدم على ذلك - مراد بك - الذي أصدر في العاصمة العراقية جريدة بأسم «بغداد» (١) وتعتبر هذه الجريدة باكورة الصحف الشعبية ثم حذا حذوه «عبداللطيف ثيان» احد الادباء العراقيين المعروفين فأصدر جريدة « الرقيب » .

ظهر عددها الاول في الثامن والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٠٩م . وقد جاء في ترويضتها انها : « جريدة عربية تركية خادمة لترقي الوطن بكمال الحرية » . صدرت في اول امرها مرة واحدة في الاسبوع . لغاية عددها الحادي عشر من السنة الاولى . غير ان قراءها ألحوا على صاحبها بأصدار « الرقيب » مرتين في الاسبوع فلبى طلبهم وقد جاء فيه : « بناء على اصرار اغلب القراء الكرام علينا بأصدار الجريدة مرتين في الاسبوع التزمنا أصدارها اليوم بصورة فوق العادة لانا قد ذكرنا في العدد الاول : اننا لا نصدرها مرتين او اكثر في الاسبوع الا بعد وصول مطبعتنا الخصوصية ولكن اصرار الموما اليهم التزمنا بتكرارها وأملنا بالله تعالى المعونة بعد ورود المطابع على اصدارها مرتين او ثلاث مرات . ومنه

(١) وقد تبين بالبحث أن هذه الجريدة مفقودة ولا وجود لعدد من أعدادها في مكتبات بغداد .

لتوفيق» (١) • كانت تصدر باللغتين التركية والعربية غير ان القسم التركي كان صغيراً جداً بالنسبة للقسم العربي الذي يشغل معظم صفحاتها وقد رحبت الرقيب كزميلاتها بتأييد المشروطة - الدستور العثماني - على أمل انه يحقق الحرية كما اعلنها الدستور • جاء في مقال لها تحت عنوان - تأييد المشروطة والاشتراك فيه - : « لا يخفى على عموم اخواننا العثمانيين ما كنا نلاقه في الدور السالف من انواع الظلم والتعدي والاستبداد والاستعباد وما كنا نثن تحت ثقله ••• حتى قيص الله سبحانه لهذه الملة المظلومة من قام بنصرتها وهم « جمعية الاتحاد والترقي » الذين طالما ذكرنا فضلهم على الامة ونوهنا بذكورهم وحمدنا الله عز وجل على انهم تمكنوا بمعوتته تعالى من قلب ذلك الدور النحس •• » (٢) •

وقد سجلت هذه الجريدة مواقفها الجريئة ، وصراحتها لهجتها ، ومجاهاة الحكام بقول الحق • ولك ان تقرأ خطتها في عددها الاول وما التزمت به قولاً وعملاً لتجد صلابتها ، وسلامة نهجها : « لاح لنا ان نذكر لقراء « الرقيب » خطة حركته التي لا يمكن ان يروغ عنها او يزيغ فيما يأتي ، الا وهي التعقيب لما يتمكن من تعقبه من احوال المأمورين والاهالي على اختلاف مللهم وتباين نحلهم وتضاد اهوائهم فيذكر الحسن منه ويطريه ليقترن به ويذكر القبيح ويستهجنه ليتجنبه الغير ••• فلذلك جعلنا خطة الرقيب خطة حرة الى آخر درجة تذكر المسيء وتقبح فعله مهما كان •• وتذكر المحسن وتقدر احسانه ••• » (٣) • وقد كان لجريدة الرقيب تأثيرها في المجتمع ومكانة مرموقة بفضل صدق قلم صاحبها ، واخلاصه لوطنه ، وصراحته في معالجة قضايا العراق يوم كانت معالجة مثل تلك القضايا من اصعب الامور واشقها على الكاتب ، كما ان الدولة

(١) الرقيب - العدد (١١) السنة الاولى ١٩٠٩ م

(٢) الرقيب - العدد (١٧) السنة الاولى ١٩٠٩ م

(٣) الرقيب العدد الاول السنة الاولى ١٩٠٩ م

لا تتورع من ان تكيل التهم لمن يصارحها من الوطنيين العراقيين فقد تتبع
ثنيان غير هيباب من سجن او نفي اعمال الحكومة وخططها فما وجد منه
الخير للعراق اشاد بذكره ، واثني عليه وما كان خطأ ، استهجنه وندد به .
من ذلك قوله في مدح « رشدي بك » احد الموظفين الاثراك بمقال
تحت عنوان « الرجال صناديق مقللة » جاء فيه :-

لقد صدق من قال :-

ان الرجال صناديق مقللة

وما مفاتيحها الا التجارب (١)

نعم قد صدق ولم يقل ذلك الا بعد ان عرك الزمان وعرف الرجال
واحوالهم واطوارهم لان الرجال بصفتهم رجالا لا يتميز بعضهم على بعض
في الخلقة والحركات ولا يمكن ان تعرف اخلاقهم الا بعد التجارب
ولعمري لا تجربة احق واصوب من تجربته بعد ما تسند اليه الوظائف
المهمة (٢)

الى جانب هذا المدح ، نجد في العدد « ٩٧ » تحذيرا للحكومة في
مقال تحت عنوان - لحضور مقام الولاية الجليلة - جاء فيه :- « جناكم
اليوم راجين على السنة العموم . . . الامر بصورة الجذ والاهتمام في اجراء
توحيد الاوزان والمقاييس في الولاية وتوابعها . . . فان لم تقوموا بذلك
وتفتش امور البلدية بيد الحازم رشدي بك فلا يمكن ان يطبق هذا الامر
على أهالي العراق . . . وتكونون السبب في أبقاء الفقراء معدورين ولا يمكن
أن ترضوا ذلك . . . والله الموفق والميسر » (٣) وقد ادت هذه الجريدة

(١) في الاصل : ان الرجال صناديق مقللة وما مفاتيحها الا التجارب

(التجارب) لابد ان تكون (التجارب) لتقييم الوزن .

(٢) الرقيب العدد (٩١) السنة الثانية في ٨ شباط ١٩١٠ م .

(٣) الرقيب العدد (٩٧) السنة الثانية ١٩١٠ م .

الامانة الصحفية التي عقدها عليها العراقيون ، وقد صبت جهدها على توجيه الصحفي النزيه لانه القائد الموجه . فكانت « الرقيب » منارا ينير الطريق للصحفيين الاحرار يومذاك ، منددة باولئك الصحفيين الذين اتخذوا من الصحافة بضاعة تباع وتشترى في سوق المداجنة والمداهنة ساجدين على أعتاب الظالمين ، مسبحين بحمدهم سعيا وراء الجاه ، والمنصب ، والمال .

جاء في مقال تحت عنوان (الصحافة والصحافيون) :- « الصحافة مضمار لا يجول فيه الا من كان فارساً هانت عليه نفسه وصغرت في عينه حياته فأصبح يرى الموت في خدمة وطنه وقومه حياة لا تماثلها حياة .

والصحافي ذلك الفارس ذو البأس الشديد . يوقف الصحافي نفسه على الجوانب في هذا الميدان الفسيح ايثارا للعمل في مصلحة قومه وتوصلا لغاية هي اسمى الغايات . . . هي أن يجعل وجهته نحو وطنه وامته ويعلم أنه مدين لهما بحق يجب وفؤؤه وواجب يلزم قضاؤه . . . ومن كانت هذه وجهته في عمله وتلك أمنيته من دنياه فلا يكون محاييا مداجيا اخذا بالوجوه يسجد لأولي الامر لنيل أبتسامته منه وأن كان من الظالمين ويسبح بحمد ذي الجاه والمنصب وان كان لوطنه عدوا ميينا « (١) .

لشدة عناية (الرقيب) بالصحافة والصحفيين فقد كانت تقتبس شذرات في هذا الموضوع من صحف عربية أخرى ، وتدرجها الى اعمدتها من ذلك ما اقتبسته من جريدة الاخاء العدد «٢٩» تحت عنوان - الصحافة - جاء فيه :-

« اكبر ضربة على الامة ان يكون صحافيها سفيا » .

يقول الشاعر :-

شاتمني عبد بني مسمع

فصنت عنه النفس والعرضا

(١) الرقيب عدد (١٣٠) السنة الثانية ١٩١٠ م .

وتم اجمعه لاحتقاري له
من ذا بعض الكلب ان عضا

••• السفاهة عاز ولو في عالم الرذيلة فكيف بها في عالم الصحافة •
الصحافة في الامة تنير العقول ، وتهذب الاخلاق ولكن امة صحافيا سفيه
خليقة بكل شفقة ورحمة • أن حلمي لا يتزعزع اذا عابني السفيه ولكني
اشفق على فضيلة الصحافة التي تشوهها السفاهة •

اذا الكلب لا يؤذيك عند نباحه

فذره الى يوم القيامة ينبح

قد يكون الصحفي السفيه موقفا بعض الاحيان وهذا لا يمنع من ان
يكون حمارا «^(١)» • وقد عالجت هذه الجريدة - الرقيب - مختلف
القضايا • فلها صولات في السياسة ، والاجتماع ، والثقافة ، وبخاصة مشاكل
التربية والتعليم كما عالجت مسائل لغوية هامة • فكانت من أقوى الجرائد
العراقية ، وأقدرها على تكوين الرأي العراقي عن طريق نشر الاخبار ،
والتعليق عليها بروح متجردة عن المصالح الشخصية • كما أنها أبدعت كل
الابداع في نقدها لبعض الشؤون التي كانت من عوامل تأخرنا • كل ذلك
بأسلوب حسن سهل المأخذ ولغة فصيحة يفصح عن وجهة نظرها وسلامة
طويتها يقول رفايل بطي : « ومما انفردت به جريدة الرقيب انها كانت
تعلق على كثير من الشؤون والقضايا تعليقا يتضمن رأي الجريدة في
الموضوع الذي تعالجه على خلاف ما كانت تفعله اكثر الصحف من نقل
مقالات الغير وآرائهم »^(٢) •

أستمع الى الرقيب في معالجتها التواحي السياسية حيث تقول تحت
عنوان « الاستقلال الشخصي » :-

(١) الرقيب العدد (١٧٢) السنة الثانية ١٩١٠م •

(٢) رافائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٢٦ •

« الامم التي يوجد لها فاعلية وليست فيها قابلية ليتحقق معنى الاستقلال يجب أن تربي ويث فيها روح النشاط والحياة الاجتماعية حتى اذا تمكنت منها تلك الروح نشطت واستعدت والامم التي يوجد فيها قابلية وليست لها فاعلية تؤثر فيها وتنهض بها يجب أن ينصرف أفراد منها لتلقي العلم ودرس الحرية الصحيحة لعمل الاعمال المفيدة والصناعات حتى اذا تمكنوا من كل ذلك رجعوا الى قومهم يبثون فيهم ما درسوه ويوحون اليهم ما تعلموه وليست القابلية الا الاستعداد للشيء وليست الفاعلية الا طائفة من كل امة امتازت برجاحة عقلها وسمو مداركها ووفرة معارفها . . . فعلى هؤلاء يتوقف رقي الامم ونجاحها . . . »

وبعدها ينتقل الكاتب الى علاقة الشعب بالحكومة فيقول :-

« وكذلك يجب ان لا يرتقب الشعب المساعدة من الحكومة بل يجب عليه ان يساعد هو الحكومة بماديته وادبياته لان الشعب الذي يكون عالة على الحكومة يثقل كاهلها أما ان لم تعتمد الامة على الحكومة . . . فانها ترقى في يسير من الزمن حتى تستكمل الشروط المطلوبة للرقى » (١)

ثم أستمع الى مقارنتها بين ما هو حاصل في الغرب وما هو عليه في العراق فقد جاء تحت مقال - الفرق بين متدييات الغربيين ومجتمعاتنا العمومية - :-

« لا يمضي يوم الا وتحمل لنا الجرائد الاجنبية من اخبار متدييات الغربيين ونتيجة اجتماعاتهم ما لا نكاد نصدقه فيوما تقرأ بان الشركة الفلانية قررت مد سكة حديد بين حلب وبغداد الخ من هذا يظهر لنا جليا انهم لا يضيعون فرصة اجتماعاتهم سدى دون ان يتفقوا على مشروع وبينما هم كذلك لا نزال نحن غافلين نواصل الليل بالنهار في اللعب واللهو مستأنسين بذكر الخرافات والترهات انا لا انكر انه

(١) جريدة الرقيب العدد (٩١) السنة الثانية ١٩١٠م .

يوجد نفر يتحدثون عن المعارف والسياسة غير ان احاديثهم ليست منطقية على ما يقولون لانها جمل حفظوها من غير ان يفقهوها... فأنهضوا بنا يا رجال الاداب ويا انصار المعارف... فقد كفانا سباتا وآن لنا ان نفيق ونتحذ ونسير في نيل بغية واحدة وهي تعزيز الامة ورقى الوطن» (١) • وقد أهتمت الجريدة كما قلنا بالناحية اللغوية ، وفي ارجاع الالفاظ الى اصولها • فالتصفح لاي عدد من اعدادها يجد فيها حقلا في كل عدد من اعدادها بعنوان - الالفاظ المستعملة عند النصارى - وتكاد تكون مرتبة على النحو الآتي : كما جاء في عددها «٩٥» :-

المائدة : عند بعض النصارى الهيكل الذي يجعل عليه الكاهن ما يقده بعد نقله من المذبح •

المار : لفظة سريانية معناها سيد وقد تستعمل بمعنى قديس •
المارون : أسم قديس والنسبة اليه ماروني •

المجامع : المجموع موضع الجمع : ويطلق الجمع على جماعة من رؤساء الاديان يجتمعون لاجل النظر في مسائل دينية •

المجد : العز والرفعة ونبل الشرف واصل المجد الكثرة وربما استعملته النصارى لسعادة القديسين في دار الآخرة ولقب المسيح بـ « مجد الاب » لانه يظهر به مجده اي عظمته للعالم •

المخلص : أسم فاعل ولقب المسيح عليه السلام عند النصارى (٢) •
وجاء كذلك في العدد «٩٩» تحت نفس العنوان :

المعمدان : بضم الميم الاولى وكسر الثانية عند (النصارى) الذي يعمد ، وبه لقب يوحنا الحضور لتعميده •

(١) جريدة الرقيب العدد (٩١) السنة الثانية ١٩١٠م •

(٢) جريدة الرقيب العدد (٩٥) السنة الثانية ١٩١٠م •

المعمودية : عند النصارى سر من أسرارهم وهي غمس الطالب بالماء
بأسم الاب والابن وروح القدس وهي بمنزلة الختان عند الاسلام .
المقدس : اسم فاعل لراهب .

« الملكية » : بفتح الميم واللام طائفة من النصارى لقبوا به لاتباعهم
الملك ويطلقون ملكي غالبا على تبعة الكنيسة الرومانية من الروم « (١) » .
وهذا كثير نكتفي بما ذكرناه .

وقد كانت الرقيب حريصة كل الحرص على اللغة العربية بموادها،
والدعوة الى احياؤها بعد ما اراد الاتراك القضاء عليها ليسهل عليهم تتريك
العناصر العربية وهذا ما أعلنته جمعية الاتحاد والترقي . فهب « ثيان »
يطالب الولاة الاتراك بأستعمال اللغة العربية في المدارس كما جاء في
الرقيب :-

« طلبنا من اعضاء مجلسنا العمومي ان يبذلوا جهودهم ويحصرروا
فكرهم في السعي وراء تشييد دعائم لغتنا العربية وان يجعلوا التعليم في
اللغة العربية محضا في المكاتب الابتدائية . . . » (٢) وقد وقف « ثيان »
وقفة رجل شهدت له المحافل في مقارعة « ناظم باشا » حينما أصدر الاخير
اوامره بحظر تقديم العرائض الى الدوائر الرسمية باللغة العربية كما ان
مصارحته لناظم باشا في حفظ الامن هي الاخرى تعطينا المثل الاعلى في الجرأة
والشجاعة . جاء في مقال له تحت عنوان - كتاب لانظار والي الولاة - :-
« . . . يا حضرة الناظم ان اطراف الولاية لا يمضي فيها يوم تقريبا
بلا وقوع جرح أو قتل أو سرقة أو نهب فلا يمكن ان يبقى الحال على
ما هو عليه بأيامك ونحن بأشد الانتظار لهذا الامر . . . » (٣) .

-
- (١) الرقيب - العدد (٩٩) السنة الثانية ١٩١٠ م .
(٢) الرقيب - العدد (١٢) السنة الاولى ١٩٠٩ م .
(٣) الرقيب - العدد (١١٥) السنة الثانية ١٩١٠ م .

وكان لمقالات الرقيب الاثر الواضح في الاوساط الشعبية ، ولاقت من الاقبال والرواج ما لم تنله اية جريدة في ذلك الوقت • فتلهف الناس على قراءتها غير ان الوالي ناظم باشا لم يتحمل صراحة هذه الجريدة فأستدعى ثيان وهدده بقصم ظهره اذا تعرض لانتقاد اعمال الحكومة • والظاهر ان الوالي عرف تأثير ثيان في الرأي العراقي ووطنيته الصادقة • يذكر عباس العزاوي في كتابه العراق بين احتلالين : « ان ناظم باشا أوقف معروف الرصافي وعبد اللطيف ثيان لاشتراكهما في مظاهرة ضد حزب الاتحاد والترقي » (١) •

رغم كل هذه التهديدات فإن الدولة العثمانية ويمثلها « ناظم باشا » استجابت لأكثر ما طالب به على صفحات جريدته • اسمعه يزف البشرى الى ابناء العروبة في العراق عن عزم الدولة العثمانية على جعل اللغة العربية لغة رسمية في دوائر الحكومة ، تحت عنوان - بشرى - :-

« نرفها الى الامة العربية ان الحكومة العثمانية عازمة على جعل اللغة العربية لسانا رسميا لها كالتركية • وربما تقرر هذا في القريب العاجل وحينئذ تكون الحكومة العثمانية ذات لسانين رسميين • ولعمري انه لخبر هام يهش له كل عربي بحت اذ جعل العربية لسانا رسميا للحكومة مما ينهض بتلك اللغة الشريفة نهضة يخضر بها عودها وترعرع اغوارها ونجودها وتتم بها حياة الامة العربية اذ لا ريب ان حياة كل امة بحياة لغتها » (٢) • وكثيرا ما كانت الرقيب كما قلنا تقبس غرر القصائد من الصحف العربية ، وتشرها على اعمدتها لا يفاظ الهمم ، ونشر الوعي ، وتنبه العرب الى ما حاق بهم ، وما هم عليه • من ذلك ما نقلته عن جريدة الاقبال « عدد ٣٣٤ » قصيدة لحافظ ابراهيم مخاطبا الامة المصرية بل الامة الشرقية جمعا :

(١) عباس العزاوي - العراق بين احتلالين - ج ٨ ص ١٦٤ •

(٢) جريدة الرقيب - العدد (٩٦) السنة الثانية ١٩١٠ م •

اروني بينكم رجلاً
ركبنا واضح الحساب
اروني نصف مخترع
اروني ربع محاسب
اروني ناديا حفلا
بأهل الفضل والادب
وماذا في مدارسكم
من التعليم والكتب
وماذا في مساجدكم
من التبيان والخطب
وماذا في صحائفكم
سوى التمويه والكذب
حصائد السن جرت
الى الويلات والحرب
فهبوا من مراقدكم
فإن الوقت من ذهب (١)

ولم تكف بهذا ، بل كانت تنشر القصائد التي تبين سوء الاوضاع في العراق ، من ذلك ما نشرته في العدد الحادي عشر تحت عنوان - تبليغات العدالة - جاء فيه :-

« نرجو بأسم الانسانية والبشرية من كل ذي حمية وغيره على ابناء وطنه وقومه ... من رؤساء المحاكم ومعاوني مدعي العموم ومأموري الملكية في

(١) جريدة الرقيب - العدد (٩٦) السنة الثانية ١٩١٠ م .

الولاية ... اجراء كمال الدقة وغاية المهمة في الاسراع باجراء التبليغات والاحضار التي ترسل بواسطتهم لان بتأخيرها تطول مدة الحبس على المساكين ولا شك ان فيهم ممن تتأخر براءته المحققة مدة لسبب تأخر التبليغات وكثير منهم مظلوم فتأخيره في ذلك الحبس الذي هو اشبه بالقبر هو تأخير التبليغات ولقد احسن في وصفه كل الاحسان شاعرنا المطلق معروف افندي الرصافي حيث يقول :-

هي الساحة النكراء فيها تلاعبت
مخاريق ضيم تخلط الجد بالدد

ثلاثون مترا في جدار يحيطها
بسمك زهاء العشر في الجو مصعد

تواصلت الاحزان في جنباتها
بحيث متى يبيل الاسى يتجدد

تصعد من جوف المراحيض فوقها
بخار اذا تمرر به الريح تفسد

★ ★ ★

مقابر بالاحياء غصت لحدودها
بخمس مئين انفس او بأزيد

وقد عميت منها النوافذ والكوى
فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود

تظن اذا صدر النهار دخلتها
كأنك في قطع من الليل أسود

فلو كان للعباد فيها اقامة

لصلوا بها ظهرا صلاة التهجد^(١)

لذلك كله لم يستطع الوالي ناظم باشا^(٢) ومن والاه من الصحفيين احتمال صراحة هذه الجريدة الحرة وصاحبها فقد تكالب عليه الصحفيون من ذوي الاقلام المأجورة والصحف المرتزقة بتحريض من الوالي مما اضطر ثيان الى مهاجمتهم غير انهم اتعبوه واساؤا اليه والى الصحافة الزبينة • أسمعته يخاطب هؤلاء الصحفيين :-

« لا بد هنا ان نشير الى بعض العمال والموظفين الذين انتقدنا اعمالهم • انهم على خطأ من سوء ظنهم بنا ورميهم ايانا بالشذوذ عن الحق فيما انتقدناهم زاعمين انه كان تشفيا منهم لذنوب جنوه علينا • وانه وذمة الحق لبهتان عظيم • انا والله يعلم والملائكة شاهدة على ما نقول ارفع من ان تدنى لثل هاته الدنيا أو نمد لها يدا • ومن عرفنا عرف منا نزاهة القصد وشرف الغاية في كل ما نقول ونكتب • على انا ما تعودنا المحاباة في زمن كان السعيد فيه من يجابي او يداجي حتى تعودها في وقت اصبح المجابي فيه ممقوتا مردولا والله يؤيد بحجته اقوالنا ويحقق بعنايته آمالنا ويوردنا موارد الحكمة في اعمالنا ويهدينا سواء السبيل »^(٣) •

واخيرا اضطر ثيان الى تعطيل جريدته ، والفرار من الوالي ناظم باشا واعوانه الى الشام ثم الى الاستانة • وبقي فيها الى ان عزل ناظم باشا عام ١٩١١م ثم عاد ثيان الى بغداد متجها الى الادب الى ان توفاه الله في ٢١ نيسان من عام ١٩٤٢م • بعد ان وقف وقفات مشهورة وصولات سجلتها ، له ولجريدته الرقيب ، الصحافة العراقية في ميدان خدمة العراق واستقلاله •

(١) جريدة الرقيب - العدد (١١) السنة الاولى ١٩٠٩م •

(٢) عين هذا الوالي عام ١٩١٠م وعزل عام ١٩١١م •

(٣) جريدة الرقيب - العدد (١٣٠) السنة الثانية ١٩١٠م •

جريدة صدى بابل

(١٩٠٩م - ١٩١٤م)

جريدة عربية سياسية • اصدرها في بغداد « المعلم داود صليوا » •
ظهر عددها الال في الثالث عشر من آب سنة ١٩٠٩م • استمرت في الصدور
مدة تقرب من ست سنوات • جاء في ترويضتها انها :- « صحيفة سياسية
تجارية ادبية اخبارية خادمة لترقي الوطن تصدر في الاسبوع مرة مؤقتا »
وقد زين كل عدد منها بيتين من الشعر :

قد اعلنت بالنداخود المعارف من

اصقاع غرب وخالصت صباحها سفرا

نادت بها امها من شرقها سحرا

زفا صدى بابل حي اسمعي الخبرا

وهذان الينان ركيكان وكان في استطاعة صاحب الجريدة ان ينظم
خيرا منهما للاعلان عن جريدته • وقد شرحت خطتها في عددها الاول
جاء فيه :-

« ••• هذه جريدتنا صدى بابل نرفها الى اخواتنا الكرام ومواطنينا
الفخام بل نوقفها على قدم خدمتهم في سبيل العلوم والفنون والاداب فضلا
عما تجلو لحضراتهم عرائس الافكار السياسية على منصة البيان ••• وستكون
دليلا يرشد الى نهج الفضل والفضيلة في كل ناد فتصبح خير جليس
والطف انيس »^(١) • ولهذه الجريدة الفضل الاكبر في تسيه الرأي العام

(١) صدى بابل العدد الاول في ١٣ آب ١٩٠٩م •

العراقي الى انشاء المنظمات والجمعيات التي أغفلها زما طويلا . فقد كانت تعقد المقارنات الكثيرة على صفحاتها بين غفلة الشرق وسباته، وتقدم الغرب، ونهوضه ، وتسوق الامثلة ، والادلة الكثيرة . من ذلك قولها :- « الفوا - تقصد الغرب - ابداع القصص والطف الحكايات والنوادر والفكاهات ، فكانت خير مثقف للاخلاق والعادات ، سيما التمثيل على المسارح ، فاستهجنوا القبيح وتشبثوا بالمليح سبقونا فلحقهم » (١) .

وفي مقالاتها المتسلسلة - تقدم بلادنا وتأخرها - كانت من العوامل المنبهة والحافزة للاخذ بكل اسباب التقدم . فقد بينت هذه الجريدة للشعب العراقي مواضع القيص ، وأرشدته الى طريق الاصلاح . استمع اليها في مقال تحت عنوان « الحرية والاصلاح » :-

« ان الامة اذا لم تكن مستعدة للاقدام في العمل ولا متصدية الى الى التهيوء للفضل . . . فليت شعري فأى فئدة تعود عليها من اعلان الدستور أم أية منفعة ترجع اليها من اطلاق الحرية . . . » (٢) . وقد وقفت هذه الجريدة وقفات مشرفة في ظل الحكم العثماني الغاشم في اثارها ابناء العراق بالمطالبة بجعل اللغة العربية في العراق لغة رسمية . جاء في مقال تحت عنوان « اللغة العربية والمحاكم » :-

« كثيرا ما لهجت جرائدنا الوطنية (٣) وغيرها من الصحف والمجلات يطلب اتخاذ لغتنا العربية رسمية في ديارنا هذه . . . على اني لا اري لي مندوحة عن السكوت في ان انشر ما عرض للخاطر الضئيل من الرأي . . . ومهما يكن فلا يخفى ما للامة العثمانية الشرقية من قلة البضاعة في سوق

(١) جريدة صدى بابل - العدد (١٩) في ٤ آذار ١٩١٠ م .

(٢) جريدة صدى بابل - العدد (٥) في ١٠ ايلول ١٩٠٩ م .

(٣) هذا التعبير يتكرر في اكثر صحف العراق في تلك الفترة تفريقا

لها عن الصحف الموالية للحكم العثماني .

اللغة التركية •• ولما كانت هي اللغة الرسمية لحكومتنا فلم تر بدا من ان تقيم في مناصب الاحكام رجلا من الاثراك ممن يتخرجون في هذه اللغة ولكن فاتها - اعزها الله - ان تنظر الى وعورة هذا المسلك في بلادنا الشرقية لما اسلفنا من قلة مختبري هذه اللغة في هذه البلاد - يقصد العراق - ••• فأقول ولا اخشى معترضا انه قد يستحيل في جميع تلك الاصقاع ان يرى بين ذلك الشعب الغفير من يحسن كلمة من التركية ما خلا افرادا في المدن يعدون على الاصابع على حين ليس في بلاد جزيرة العرب من ينطق بحرف تركي • هنا اذن نسأل مستفهمين من ارباب الحل والعقد اية طريقة يتخذها الحاكم التركي للتفاهم بينه وبين العربي الذي لا يحسن التركية وكلاهما اعجميان في نفس كل منهما؟ •••^(١) وقد ادركت هذه الجريدة كل الادراك قيمة الصحافة في خلق الامة وتوجيهها وتكوين المثل العليا والتمسك بها • وقد حافظت مدة صدورها على مبادئها هذه واخلصت لاهدافها عن طريق ما تسوق الى ابناء العراق من احاديث وتوجيهات تبثها في كل نبرة من كلماتها ، واثرت ذلك في توثيق روابط المحبة بين ابناء العراق على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم • أستمع اليها في مقال تحت عنوان « الحرية روح الانسانية والمساواة مدنيتهما والاخاء قوامها » جاء فيه:

« ••• هذا موضوع طالما •• اشتاق يراعى بلغاء العرب والانصار الى الخوض في عباب بحره المتلاطم الامواج ووصف ما لهم من الرغبة التي ليس وراءها من مزيد ، الذي جلبهم ضحوا بانفسهم قربان فداء على مذبح الانسانية والغيرة في سبيل منح الحرية •• وقدموا ذواتهم ضحية استشهاد لئيل هذا المطلب العزيز بأخلاص كي تمتطي الحرية اوج عزها •• وتجري العدالة مجراها وتسري الى القلوب محبة المساواة والاخاء سراها : ولكن واأسفاه لقد قضاوا ولم يقضوا من منيتهم وطرا •

(١) جريدة صدى بابل - العدد (١٣) في ٥ تشرين الثاني ١٩٠٩ م •

بانوا ولم يقض زيد منهم وطرا . ولا انتقضت حاجة في نفس يعقوب
وهم يلهجون بذكر هذا الحبيب الشريف .. وطوحوا بانفسهم في
اعظم الاخطار واوردوها موارد الفناء في سبيل هذه البغية والامية المقدسة .
وما ذاك الا جبا بان يجييا كل فرد من افراد الامة ممتعا بحياة حرة
سعيدة .. «^(١) . والملاحظ في هذه الجريدة انها اهتمت اهتماما شديدا
بشؤون الادب ولا سيما الشعر اذا ما علمنا ان صاحبها - داود صليوا -
كان شاعرا فكان لا يخلو معظم اعدادها على الاغلب من الشعر وقد كان
الشاعر عبدالمسيح انطاكي صاحب جريدة - العمران - ينشر فيها معظم
قصائده اسمعه مادحا السيد عبدالرحمن تقيب الاشراف الذي اكرم مثواه
واحسن ضيافته عندما قدم من القاهرة ، وقد استهل قصيدته بالغزل كعادة
الشعراء القدامى :

الا ليت ما بين الرصافة والجسر

منازل للعشاق اهل الهوى العذري

ويا ليت عنال الهوى وعداته

يمرون قرب الكرخ في ضفة النهر

سقى الله عهدا في مرايع دجلة

تقضي مع الاقبال واليمن والبشر

ثم ينتقل بعد هذا الى ذكر مفاخر الآباء والاجداد وما حل بالعرب
حيث يقول :-

لاجدادنا اهل المفاخر والعللى

ومن مثلهم نالوا العظيم من الفخر

(١) جريدة صدى بابل - العدد (٢٢) في ١٤ كانون الثاني ١٩١٠ م .

وكانوا كأمر الله بالدين أخوة
فما عرفوا بالحقد والبغض والغدر
وكانوا اجاويدا تجود نفوسهم
بما ملكوا الا بعرضهم الوفر
فماذا جرى حتى تحول حالهم
ويا ليت شعري ما الذي بعد ذا يجري
ايرضون من بعد المعزة ذلة
ومن بعد ذاك اليسر في عيشة العسر
ثم ينتقل الى غرضه في مدح النقيب :-
ايا سيد السادات جاها ومحتدا
بقيت لنا ملجا من الضر والشر
اتيتك من مصر ولولاك سيدي
لما جئت بغدادا ولا بنت عن مصر
وبأسمك قد خضت البحار وانني
سموت الى بحر العلوم على بحر
ورجواي ان احظى براحتك التي
بتقيلها يشفى الغليل من الصدر (١)

ولعل اهم ما امتازت به جريدة صدى بابل انها مثلت نفسية الشعب في
العراق بالمطالبة بالعدل ، وانصاف الرعية ، واصلاح شؤون العراق . وقد
طالبت الوالي ناظم باشا بلهجة صريحة في مقالات متعددة على صفحاتها من
ذلك مقال تحت عنوان « امانى العراقيين تعرض على انظار دولة والينا
الناظم » جاء فيه :-

« مولاي قدمت العراق فأهلا وحللت في عاصمته على الرحب مستهلا .

(١) جريدة صدى بابل - العدد (٤٠) في ٧ مايس ١٩١٠ .

ان العراق يحتاج الى اصلاحات شتى ترتكز على ثلاثة :-

• أحدهما الامان ، وثانيهما العدل ، وثالثهما العلم •

فالامان : اذا لم يكن معدوما في الحواضر كمثل بغداد فهو معدوم في الاقضية والنواحي وهذا الامر ليس هو ابن ساعته ولا هو ابن ايام وشهور بل منذ السنين الطوال ولما كان معرفة الداء تسهل على الطيب وصف الدواء •• ولقد جربت الحكومة المستبدة السابقة الشدة طورا واهمال العشائر المتنازعة اخرى ولم تثمر التجربة على فائدة تذكر ••• والذي يخطر ان شدة الحكومة مع امراء العرب •• مما لا تحمد مغبته •• واظن ان الحكومة لو اتبعت مع امراء العرب سياسة اللين واجتذبتهم اليها بعوامل الحب والاحسان وسعت بمساعدتهم •• حينئذ تأمن البلاد وتستعيد ما كان لها ••

أما العدل : فهو اساس الملك وحسبك ان الله امر به فقال : « واذا

حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » ••

أما العلم : فالبحث في وجوب تعميمه يعد من قبيل تحصيل الحاصل لان الدستور اوجبه صراحة كما ان الله سبحانه وتعالى قال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١) •

وقد عالجت جميع الامور بأسلوب سلس بسيط بعيد عن المبالغات ، والخيال ، والالفاظ الجوفاء لانها ارادت مخاطبة العامة كما خاطبت الخاصة لتؤدي دورها في الجهاد الصحفي • ولعل اقبال الناس على قراءتها كان الدليل الناصع على نجاحها ، واخلاص صاحبها - داود صليوا - (٢) في خدمة العراق • وقد اختفت عن الانظار قبيل الحرب العالمية الاولى بعد جهاد دام ست سنوات وبذلك ادت الامانة الصحفية فكانت اعظم نصير للحق وخير مجاهد •

(١) جريدة صدى بابل - العدد (٤٠) ٧ مايس ١٩١٠م •

(٢) راجع : كتاب الصحافة •

جريدة صدى الاسلام

(١٩١٥ م)

عندما احتل الانكليز البصرة في كانون الاول من عام ١٩١٤م شدد الاتحاديون الخناق على الصحفيين الاحرار . فعملت الصحف المعارضة وطاردوا اصحابها ، بحجة ظروف الحرب الاستثنائية ، وسجنوا اكثر الصحفيين وابعدوا الاخرين الى مناطق نائية من العراق . لذلك خلت البلاد من الصحافة فترة ما باستثناء جريدة الزهور الموالية للاتراك غير ان الاتحاديين احتاجوا الى الصحافة لنشر افكارهم ، لتقوية معنويات الشعب العراقي . ولاتارة النقمة ضد اعدائهم الانكليز متخذين من رابطة الدين وسيلة لكسب ود الشعب العراقي . ذلك الشعار الذي طالما استخدموه لمصالحهم الخاصة فأسسوا في بغداد جريدة اسموها « صدى الاسلام » نشر باللغتين العربية والتركية ، واناطوا ادارة سياستها برئيس بلدية بغداد « رؤوف الجادرجي »^(١) وقد كان الجيش يشرف على نشرها . وقد عنت الحكومة العثمانية بها عناية فائقة فاخترت لها صفوة الكتاب من الاتراك ، والعرب . وقد صدر عددها الاول في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩١٥م جاء في ترويضتها انها : « جريدة يومية سياسية اجتماعية تبحث في كل الشؤون تصدر كل يوم ما عدا الجمعة » وقد جاء في عددها الاول خطتها التي رسمتها بقولها :-

« ... نصارح القراء ان هذه الجريدة قد رسمت لها خطة اسلامية تنحصر في هذه المواد لا تحيد عنها :-

(١) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٣٩ .

- ١ - احكام الرابطة بين المسلمين في منصرف الارض ومغاربها ..
- ٢ - كشف النقاب عن رياء الانكليز وهتك استار سياسة دول الائتلاف التي استباححت حرمت البلاد الاسلامية .
- ٣ - نشر المقالات الدينية والوطنية التي تتأيد بها عرى الوفاق والوئام بين الاقوام الاسلامية من ترك ، وعرب ، وفرنس ، وهنود ..
- ٤ - دحض مقتريات الاعداء الذين يتقولون على السيدين والقرآن والرسول والامة الاسلامية باطلا .
- ٥ - خدمة الامة العراقية .

هذه هي خطتنا .. والعصمة لله وحده ورحم الله من اقل عشرة اخيه المسلم « . والمتمعن في هذه الخطبة يعجب العجب كله من الاتحاديين وجريدتهم هذه . ألم يكونوا هم أشد من اساء الى السيدين ؟ ألم يشجعوا « عبيدالله »^(١) في الطعن بالاسلام وبالخلفاء الراشدين في كتابه « شعب جديد » ؟ واخيرا ألم يكونوا اهم اول من حرض العثمانيين ومن على المنابر للطعن في الاسلام وفي العرب مادته ، ألم تقل جريدتهم - أقدم - :

« ان العرب يبيعون كل شيء بالمال حتى العرض » ..

لست اعرف وجها لهذه الخطبة اللهم الا انهم يقولون بجرائدهم ما ليس في قلوبهم واستقلال البسطاء والسذج من الناس الى اقوالهم ... وقد عمد الاتحاديون ، كما قلنا سابقا ، الى اختيار اشهر الكتاب العراقيين منهم ابراهيم حلمي العمر ، والشاعر عبدالرحمن البناء ، وخيري الهنداوي ، وجميل صدقي الزهاوي . فكتب قسم منهم طوعا والقسم الآخر كرها لتدعيم سياسة الاتحاديين .

(١) سبق أن شرحنا هذا في فصل الحالة السياسية .

يقول رفائيل بطي :- « وقد نشرت جريدة صدى الاسلام مقالات بلهجة حادة في تدعيم سياسة الاتحاديين وتفنيد بعض ما تنشره جريدة القوات الانكليزية المحتلة المسماة « الاوقات العراقية »^(١) . استمع اليها في مقالها الافتتاحي تحت عنوان - الخبث الانكليزي :-

« . . . الحكومة البريطانية تلك العجوز الشمطاء المحتلة التي يأبى الشيطان ان تمس يدها الاثيمة المخضبة بدماء المظلومين من مسلمي الهند ومصر ذيل تبلسته فانها كلما فترت عن ابتكار دسائس السياسة والسعي وراء محو الشريعة الغراء المحمدية وتدمير الاسلام والمسلمين حتى طفح الغلو في الامر فضافت صدور ساستها عن كظم ما خامر عقولهم فأضطر رئيس وكلائها « كلابتون » ان يبوح بمكنوناته قائلا : « لا يستقيم لنا الامر حتى يمزق هذا سحقا بالاقدام » وكان اذ ذاك اخذ القرآن العظيم بشماله ومشيئا اليه باليمين - شلت يده -^(٢) . ثم استمع الى اشاداتها بالاتحاديين ، والى لهجتها في مقال لها تحت عنوان - عيد الدستور - جاء فيه :-

« هذا اليوم من ابرك الايام على الامة العثمانية واسعدها ، هو يوم اتخذته العثمانيون عيدا فيه يتهادون آيات التبريك والتهاني لانه اليوم الذي تقوضت فيه صروح الاستبداد ودكت معالم الظلم والجور . . . يوم مبارك هو ١٠ تموز فيه انتقل الحكم من الفرد الى الجماعة . . . أمس حططنا اغلال الاستبداد الحميدي واليوم نقوض اركان الاستعباد الاوربي . . . دوت كلمة امير المؤمنين باعلان الجهاد فدوت لها ارجاء الكون واهتزت منها العروش والتيجان ، لبها المسلمون في اقطار الكرة شيوخا وشبانا رجالا ونساء . . . ثمانية اعوام بين صوت الحرية وبين صوت النفير الى الجهاد

(١) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٤٠ .

(٢) جريدة صدى الاسلام - العدد الثاني في ٢٤ تموز من عام ١٩١٥ .

في خلالها مرت على العثمانيين حروب وفتن تحملتها الامة والدولة برباطة
جأش وثبات عظيم بفضل قادة امتها المحنكين فتباركت امة هذه جلائل
اعمالها وعاشت رجال يعملون باخلاص وامانة في اعلاء شأن
الوطن» (١) .

والملاحظ في جريدة صدى الاسلام انها اتخذت من الشعر وسيلة
لاستهراض الهمم والذود عن حياض الوطن . فاستمع الى الشاعر الهنداوي
يمدح فاتح وارشو حيث يقول :-

عن السيف حدث انه الحكم العدل
وما شئت قل يشهد به العقل والنقل

فلا حكم ان لم يحكم السيف في الوغى
ولا ملك لم بين اركانها العدل

أفاتح وارشو الكبير الذي به
سيجمع للاسلام رغم العدى الشمل

اليك صدى الاسلام تهدي تحية
وان عرضت من دونك اليد والسبل

عليك سلام لا يزال مرددا
سير به الركبان تحوك والرسل (٢)

ثم استمع الى الشاعر العراقي عبدالرحمن البناء ينادي ابناء قومه
للجهاد من اجل حماية الدين واعلاء شأن المسلمين في قصيدة عنوانها
- ونادت يا رشاد - يقول فيها :-

(١) جريدة صدى الاسلام - العدد الاول في ٢٣ تموز من عام ١٩١٥ م .

(٢) جريدة صدى الاسلام - العدد (١٨) عام ١٩١٥ م .

ونادت يا (رشاد) الدين يا من
تظلمه المهابة والجلال

سنجعل للهلال كيوم بدر
اذا ما الشمس كورها الضباب

فاين المسلمون ذوو المعالي ؟
واين الشوس والاسد الغضاب ؟

دعوا الاشغال وابتدروا لحرب
فان الدين حل به اضطراب

فما العذر يا اسلام يوم
امام الله تصطف الانام^(١)

ثم انظر الى الشاعر محمد مهدي البصير - في قصيدته - اعداؤنا والمكر -
حيث يقول :-

مكروا بامة احمد وبشرعه
حتى تمنوا انهم لم يمكروا
حدوا شفار البغي الا انهم
لسوى نحورهم بها لم ينحروا

أمدبر الامر العظيم وانه
في غير رأيك قط ليس يدبر

اصبحت في يمن الوزارة ناظرا
فيها عواقب كل أمر تنظر
كم ليلة ليلاء انت سهرتها
لتنام حولك أعين لا تسهر

(١) جريدة صدى الاسلام - العدد (٤٧) عام ١٩١٥ م .

وصقلت فصل الرأي حتى انه
ليريك كيف به الملوك تفسر
فاسلم ولا ولج العدو عرينة
للملك فيها انت لث مخدر^(١)

ويدرك القارئ أن هذه الجريدة في أكثر مقالاتها كانت تركز على
الجامعة الاسلامية استمع اليها في مقال تحت عنوان - الجامعة الاسلامية
وخداع الانكليز - جاء فيه :-

(... ان الامة الانكليزية ... اشتهرت بدسائسها وخداعها وغدت
تظهر للعالم الاسلامي كل يوم بمظهر جديد من مظاهر الحيل حتى جاء
اليوم الذي ظهرت فيه لابسنة ثوبها الملطخ بدماء الابرياء المصنوع من نسيج
فظائعها المتكررة وخطاياها الكبيرة كأن التاريخ لم يخلد لها المنكرات ولم
يقيد لها الذنوب في دفاتر الايام الامة الانكليزية هي المتألمة على المسلمين منذ
حين من الدهر هي الامة التي اخذت على عاتقها ان تبث روح العداة والنفرة
بينهم ... نعم ان الانكليز ليستفيدون من تباعض المسلمين وتضادهم)^(٢) .

كما انها نشرت العديد من فتاوى رجال الدين في تحريض المسلمين
لثورة على اعداء الاسلام (الانكليز) غير انها لم تلاق رواجاً لأن العراقيين
خبروا الاتحاديين ونوابهم فغابت الجريدة عن الانظار وهي في سستها
الاولى .

(١) جريدة صدى الاسلام - العدد (١٨٤) عام ١٩١٥م .

(٢) جريدة صدى الاسلام - العدد (٣١) عام ١٩١٥م .

جريدة الاوقات البصرية

(١٩١٥م - ١٩٢١م)

كان اول عمل قام به الانكليز اثناء احتلالهم البصرة عام ١٩١٤ هو استيلائهم على مطبعة الولاية الرسمية ، ثم ابتاعوا المطابع الاهلية التي كانت فيها ليخلو لهم الجو في نشر ما يريدون جريا على عادتهم في كل بلد يحتلونه . فاصدروا نشرة يومية صغيرة باللغتين العربية والانكليزية تنشر على صفحاتها ابناء المعارك وبالاخص برقيات رويتر الحربية ، وما يجرى في ميادين القتال . غير ان هذه النشرة تطورت فصبحت جريدة يومية باسم (الاوقات البصرية) . وقد جاء في ترويضها انها :-

(جريدة يومية سياسية أدبية مصورة) وقد برزت هذه الجريدة باللغات الاربع ، العربية ، والتركية ، والفارسية ، والانكليزية . وحرر فيها السياسي الانكليزي المعروف المستر (جون فليبي) ولها سياسة معروفة فهي خادمة لاغراض السلطات البريطانية ، ومروجة لسياسة الحلفاء . وقد استمرت في الصدور الى احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧ وانتقال حكومة الاحتلال اليها اذ ذاك اعطيت بطريقة الالتزام الى أحد وجوه البصرة (السيد سليمان الزهير) وقد استقدم لها محررا من مصر هو (عطا عوم) زميل (توفيق حبيب) المعروف بالصحافي العجوز^(١) . ان الاعداد الاولى لهذه الجريدة مفقودة الا اننا نستطيع أن نعرف على ملامحها من اعدادها الباقية في مكنتات بغداد .

فلمتصفح لاعدادها يجد ابناء العالم والبلاغات الحربية تحتل معظمها .

(١) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٤٤ .

فهي اشبه ما تكون بنشرة حرية لخدمة مصالح الانكليز ، والترويج لسياستهم ، وحلفائهم • اما المقالات الثقافية والسياسية فتكاد تكون قليلة جدا بالقياس الى الموضوعات الاخرى ، وحتى هذه الموضوعات القليلة لا تخلو بين ثناياها من مدح الانكليز ، وذم العثمانيين • جاء في مقال لها تحت عنوان (في طلب العلم) :-

(انحطت البصرة في العلوم والاداب انحطاطاً دهورها الى الحضيض
 ••• وقضت على شيبيتها (الامة التركية) قضاء مبرما بتركها اياهم هملاً فلا
 تربية ولا تعليم ••• اما اليوم فقد أخذ فضلاء هذه المدينة - اي البصرة -
 ينادون بملء اصواتهم الى العلم الى العلم ••• ومن ورائهم امة عظيمة
 الشأن تعضدهم في مشروعهم العلمي بكلما تستطيع من تأسيس المدارس
 والمعاهد ••• مؤملين من الله العادل أن يوفقنا ••• ويسبغ علينا نعمه
 بمعاودة الامة البريطانية ••• فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل
 فعليها)^(١) • وقد جاء في العدد نفسه قصيدة للشاعر الناشيء (خليل أمين
 الكرخي) يشيد فيها بطلب العلم ويمدح الانكليز قال :-

يا قوم هبوا للعلو م فنفعها لا يحصر
 واستيقظوا من رقدة من رام عزا يسهر
 قد كتتم الشعب الذي قحطان فيكم يفخر
 والبصرة الفيحاء من اسف غدت تحسر

والغريب في أمر هذه الجريدة ان كل صغيرة وكبيرة تلقيها على
 كاهل الانراك ، وتحملهم تبعه وقوعها ، على حين انها تزجي المدح والثناء
 لقوات الاحتلال • استمع الى مقال تحت عنوان :-

(نحن بواد والعدول بواد) جاء فيه :-

(١) جريدة الاوقات البصرية - العدد (٣٠) السنة الثالثة في ١٣
 كانون الاول عام ١٩١٧م •

(••• نحن لا نعتب على الزمن الذي قضيناه مع الاتراك حيث كنا وايامهم على طرفي نقيض ولكننا نعتب على الذين لم يقدرُوا الوقت الحاضر فيقوموا بما يجب عليهم نحو اوطانهم فيؤسسوا ما يقتضي تأسيسه من المدارس ••• قلنا هذا على أثر ما شاهدناه من مساعي الامة البريطانية العظمى نحو هذه البلاد والاخذ بناصرها بعد أن جرت عليها يد الاتراك ذيول العفاء ••• وهنا نبرز دليلا قاطعا أي الفريقين خير لنا ولبلادنا ؟ • دخلت بريطانيا البصرة فأخذت من أول وهلة تباشر الاعمال لتمهد السبيل للعمران والتجارة فذلت كل الصعاب مثل قطع دابر الاشقياء وتنظيم المحاكم العادلة واطلاق الحرية وهكذا تتحسن أمورها - البصرة - آنأ بعد آن تحت ظل العلم البريطاني العادل^(١) ولقد تفحصت الاعداد المتيسرة في مكاتب بغداد ، فلم اجد فيها ما يستحق ذكره فهي نشرة حربية ، كما قلنا ، تنشر انباء المعارك غير انني وجدت مقالا تحت عنوان - الى العلم الى العلم سارعوا ايها الابناء - ويعتبر فريدا في نوعه بالنسبة لمقالات هذه الجريدة من حيث المعنى وعلو اسلوبه جاء فيه :-

(افيقو من سباتكم ، تيقظوا من غفلتكم • انقدوا انفسكم من الجهل فانه اكبر عار هلموا الى تحصيل العلم • فسارعوا الى اقتباس انواره جدوا واجتهدوا في طلبه •

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس اخو علم كمن هو جاهل ايها الشباب :- اغتنم فرصة شبابك فان الوقت ثمين ••• اتعظ قبل أن يأتيك يوم تتمنى الموت فيه ••• ولا تضع اوقاتك بالملاهي والقيل والقال ومجالسة الاشرار

لقاء الناس ليس يفيد شيئا سوى الهذيان من قيل وقال

(١) جريدة الاوقات المصرية - العدد (٣٩) السنة الثالثة في ٢٤ كانون الاول عام ١٩١٧م •

وانت ايها الشاب : لا تعترك الثروة ولا تتكل على الحسب وتقنع
بشرف الوالد بل ضم الى شرف الوالد شرف الذات لتكون بهما شريفا
وتأمل في معنى قول القائل :

ان الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان ابي
فاعتمد على نفسك ••• وشمر عن ساعد السعي ••• وحافظ على
مجد اجدادك وقل ما يقول الكرام :

انا وان احسابنا كرمت لسنا على الاباء نتكل
بنبي كما كانت اوائلنا تبني ونفعل مثلما فعلوا
فان من جد وجد ومن سار على الدرب وصل (١) •

وقد استمرت هذه الجريدة على خطتها ، ونهجها تصدر مدة خمس
سنوات ، ثم احتجبت عام ١٩٢١ حيث حلت جريدة الاوقات العراقية محلها •

جريدة العرب

(١٩١٧م - ١٩٢٠م)

اتخذ الانكليز اثناء الحرب العالمية الاولى من وسائل الاعلام وسيلة
لكسب الحرب حتى تحققت كلمة داهيتهم (لويد جورج) :- (انما كسبنا
الحرب بواسطة الصحافة) (٢) واعتبر هذا القول مثالا يسير على نهجه
معظم صحافي الانكليز • لذلك استطاعت قوى الاحتلال البريطاني في
العراق - بعد ثلاثة أشهر من احتلال بغداد ان تصدر جريدة باسم

(١) جريدة الاوقات البصرية - العدد (٤٧) في ٨ كانون الثاني
عام ١٩١٨م •
(٢) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٤٣ •

(العرب) وقد اختير هذا الاسم لاغراء الشباب المشبعين بهذه الروح *
قالت (المسزبل) في رسالتها لابيها المؤرخة في ٢٩ حزيران من عام
١٩١٧ : (تتخذ التدابير لاصدار جريدة محلية عربية وهي الجريدة التي
طال تشوقنا الى صدورها * * * * * وقد عهد بادارة سياستها وتحريرها الى
المستر جون فلبلي * * * * * اما هيئة تحريرها فقد الفناها من اصدقائي الاقربين
- الاصدقاء العرب - * * * * *) (١) *

ظهر العدد الاول من هذه الجريدة في الرابع من تموز عام ١٩١٧
بصفحتين بادية الامر تنشر بين يوم ويوم * وبعد شهر اصبحت يومية
وباربع صفحات * وقد جاء في ترويضتها انها :-

(جريدة سياسية اخبارية تاريخية ادبية عمرانية عربية المبدأ والغرض
ينشؤها في بغداد عرب للعرب) الواقع ان هذه النزعة منسجمة تماما مع
سياسة الاحتلال البريطاني ففي واقع هذه الجريدة انها كانت خادمة
لمصالح بريطانيا ومؤيدة لسياستها وقد حاولت بكل الطرق التقرب الى
العرب واستعدادتهم على الانتراك *

جاء في عددها الاول : (انها ستكون وسيلة لنشر آراء العرب وتعميم
علومهم وآدابهم وترقية شؤونهم وعمرانهم * وها نحن أولاء نرف الى ابناء
يعرب وقحطان هذه العروس ونأمل انها تلاقى اقبالا وحظوة عند كل من
يهمه ترقية حال العرب وتحرير رقابهم من نير الظلم - تقصد العهد
العثماني - الذين كانوا يسنون تحته أكثر من أربعمئة سنة وعلى الله
الاتكال في المبدأ والمآل) (٢) وتعتبر جريدة العرب أول جريدة حكومية
صدرت باللغة العربية الصرفة * اما محرروها وكتابها فقد كانوا من خيرة
رجال العلم والأدب اغرتهم السلطات المحتلة بأنها وسيلة لبث الروح

(١) راجع : المصدر السابق ص ٤٤ *

(٢) جريدة العرب - العدد الاول - في ٤ تموز عام ١٩١٧ م *

القومية وخدمة اللغة وتثقيف الشعب كما انها اغرتهم بالأموال التي اغدقتها عليهم فقد حرر فيها شكري الفضلي ، وكاظم الدجيلي وعبدالحسين الأزري ، وجميل صدقي الزهاوي ومحمد مهدي البصير والأب أنستاس ماري الكرمللي ، وكانوا يذيلون مقالاتهم بأسماء مستعارة منها : ابن العراق ، وابن الفراتين ، وابن ماء السماء وابن جلا ، وابن ذى الكنيتين ، ومطالع ، وغير ذلك . وسبب هذا التنكر والتستر أن الظروف ظروف حرب وأن المشرفين والمنفقين عليها هم الأنكليز المحتلون وما أن وضعت العرب أوزارها حتى انكشفت تلك الاسماء فصرنا نقرأ في ذيل كل مقالة اسم كاتبها الصريح (١) .

وقد اختارت السلطات المحتلة الأديب المعروف واللغوي المشهور (الأب أنستاس ماري الكرمللي) الأشراف عليها سنوات عديدة كما وقد تولت (مسزبل) ادارة سياستها بعد أن تركها (فيلبي) .

وقد اخبرني الدكتور محمد مهدي البصير ، وهو أحد الذين نشروا قصائدهم في هذه الجريدة بتوقيع (ابن بابل) ان اكثر كتّاب جريدة العرب ، ومجلة دار السلام - المواليتين للانكليز - وشعرائهما كانوا طلاب شهرة أولاً ومال ثانياً ، لذلك أرتموا في احضان المحتل ، وطبلوا له واثنوا عليه في جريدة العرب ، ومجلة دار السلام حتى أن الزهاوي قال لي - يعني الدكتور محمد البصير - : (اني اشك في مقدرة العرب على النهوض بمستوى الحكم) .

وقد بلغت الجرأة بالزهاوي الى ان ينتقص من قيمة العرب ويصرح له بقوله : (نحن نخاف من البدو لنقص كفايتهم) .

وقد أكد لي البصير أن أكثر المفكرين العراقيين لم يكونوا على

(١) راجع رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٤٨ .

جهل سياسة الانكليز ، ونواياهم لكن العراقيين اختاروا أهون الشرين كما
وانهم لم يكونوا من الحذق وبعد النظر آنذاك في السياسة بحيث ينظرون
الى كل شيء بتحفظ وبعد نظر •

نستخلص مما تقدم ان كتاب هذه الجريدة - غفر الله لهم - اندفعوا
بكتابتهم نكاية بالعثمانيين جريا وراء المثل القائل (عدو عدوي صديقي)
لذلك نجد في أكثر مقالاتهم تنكيلا بالاتراك خصوم الانكليز واطراء
للمحتل • استمع الى مقال العرب تحت عنوان (انكلترا محررة العرب)
جاء فيه :-

(كل من تتبع حركات الترك وسكناتهم في هذه السنين الاخيرة يرى
انهم آلوا على انفسهم ان يسحقوا بل ان يمحقوا كل عربي ••• لهذا رأيت
بريطانيا أن تحارب الاتراك في العراق فصرحت سرا وجهرا ••• انها
لا تحارب العرب محبي المدنية والترقيي انما تحارب الاتراك اصدقاء الالمان
الذين آلوا على انفسهم محق كل أثر صالح وكل عنصر طيب ••• وكل
ما قالته -بريطانية- اجرته فعلا فانها لم تتعرض قط لعربي يحب العرب)^(١)
ثم استمع اليها تطري خطاب الجنرال - مود - (•• • خايط القائد العظيم
- ستانلي مود - سكان بغداد خطابا جليلا تبقى كلماته مكتوبة بحروف من
نور على جبهة هذا العصر لا تمحوه الايام ••• فيها نحن اولاء نورده
- الخطاب - بنصه الشائق ومعناه الرائق) •

(يا اهالي ولاية بغداد ••• ان جيوشنا لم تدخل مدنكم وارضيتكم
بمنزلة قاهرين أو اعداء بل بمنزلة محررين ••• كثيرون هم اشرف
العرب الذين راحوا ضحية في سبيل الحرية على أيدي أولئك الحكام
الغرباء - الاتراك - الذين ظلموهم • ان التصميم لهو تصميم بريطانيا
العظمى وتصميم الدول العظمى المتحالفة معها على أن لا يذهب ما قاساه

(١) جريدة العرب - العدد الاول - في الرابع من تموز عام ١٩١٧م •

هؤلاء العرب الشرفاء هباءً منثوراً... ان مأمول بريطانيا العظمى وامنيّة
الامم المتحالفة معها أن تسمو الامة العربية... يا اهالي بغداد تذكروا بانكم
تألمتم مدة ستة وعشرين جيلاً اذاكم الظلمة الغرباء الذين سعوا دائماً الى
الايقاع بين البيت والبيت كي يستفيدوا من شقاقكم فهذه السياسة مكروهة
عند بريطانيا العظمى وحلفائها اذ انه حيث العداوة وسوء الحكم لا يستقيم
سلام ولا فلاح (١) •

كلام لطيف ووعود براءة غير أن الوقائع فيما بعد كذبت هذا الكلام
المعسول فلم تعد حرية ولم يعد هناك عرب احرار وانما سجون وتعذيب •
والمتمل في اعداد هذه الجريدة يلاحظ مقالاتها قاطبة على هذه الشاكلة
من مدح للاحتلال وذم للاتراك سواء أكان ذلك ثراً أم شعراً!

استمع الى قصيدة بعنوان - بشرى وذكرى - لابن الفراتين جاء
فيها :-

بشرى لبغداد مهد العلم والادب
حصن الخلافة والسلطان والحسب

بشرى لبغداد ام الرافدين هما
لمن تدبر سيّالان من ذهب

لا غرو ان اخلقت بالرغم جدتها
فاليوم قد عوضت من لبسها القشب

وصعرت خدها للترك معرضة
عن المظالم والارزاء والكرب

وحسبها ان جند الشر غادرها
والخير يطرده في جحفل لجب

(١) جريدة العرب - العدد الاول - في ٤ تموز عام ١٩١٧ م •

هذا يحاول تحرير الرقاب وذا
لشبقها كان قبلا ضارب الطنب

هذا يكابد تبريك البلاد وذا
يسعى لراحتها من ذلك النصب (١)

فالقارىء يستشف من هذه القصيدة المدح ، والغلو فيها ، ويجد كذلك
كذب التجربة الشعورية التي عاناها الشاعر في كل ما نطق به . وهذا كثير
في جريدة العرب (٢) .

ولعل قصيدة - ولاء الانكليز - تعطينا الصورة الكاملة ، لسياسيتها
قال :

(شاعر بغداد ومبعوثها في ولاء الانكليز) كما تقول الجريدة نفسها
دون الاشارة الى اسمه .

وجدت الانكليز اولي احتشام
اباة الضيم حفاظ الذمام .

نصادقهم تجد اخلاق صدق
لهم والصدق من شيم الكرام

♦ ♦ ♦ ♦

أحب الانكليز واصطفاهم
لمرضي الاخاء من الانام

(١) جريدة العرب - العدد الاول - في ٤ تموز عام ١٩١٧ م .
(٢) من ذلك - ادلة بغض الترك للعرب بقلم ابن ابا بل في العدد
(٢١) في ١٩ آب عام ١٩١٧ م ، ولا تزر وازرة وزر اخرى بقلم ابن الرند في
العدد (٣٠) في ٥ ايلول عام ١٩١٧ ، وهؤلاء لا يكذبون بقلم ابن الشيخ في
العدد (٦٨) في ١٩ تشرين أول عام ١٩١٧ م . وغيرها .

ووال الانكليز رجال عدل
وصدق في الفعل وفي الكلام

ثم يختمها بقوله :

بجلههم اعتصم فتعيش حرا
تسير على البسيطة في سلام^(١)

وقد تبين أن هذه القصيدة هي لجميل صدقي الزهاوي وقد نشرت في ديوانه الكلم المنظوم ص ١٤ - ١٦ وقد ظلت هذه القصيدة مصدر طعن وتندر عليه طول حياته كما يذكر الدكتور ناصر الحاني^(٢) . وقد لا اكون مغالياً أن قلت أن خيرة شعراء العراق انقلبوا الى مادحين للانكليز فاذا ما مات أحد رجالهم تهافت أكثر الشعراء على رثائه بينما تموت امة بكاملها فلا ينبري أحد منهم الى رثائها . استمع الى قصيدة بعنوان :

(فادحة الاتفاق بموت فاتح العراق) لأبن السيارة جاء فيها :-

خطب دوت منه الرماح الدقاق
واحدودت له السيوف الرقاق

• • • •

والشمس من رزه الاسى كورت
وعم بدر - الاحتلال - المحاق

بموت - مود - القرم قطب الوغى
القائد الجند لا على فراق

(١) جريدة العرب - العدد (٢٥) في ٢٨ آب عام ١٩١٧ م .

(٢) راجع : ناصر الحاني - محاضرات عن جميل الزهاوي - ص ٤
معهد الدراسات العربية العالية عام ١٩٥٤ م .

وقد سقى العراق طلاعه فوه
كما سقى الاتراك مر المذاق
شق عن (الزوراء) عصا زورها
وبالنهي خفف عنها المشاق
شقت عليه جيبها حرقه
ما كل قول زين بالاشتياق^(١)

ثم بعد هذا ماذا يقول القارئ بله الناقد في القصائد الكثيرة في مدح ملك الانكليز - جورج الخامس - ؟ ألم يكن من الاجدر بهؤلاء الشعراء العراقيين أن يقفوا مدحهم على من ناضل وكافح من اجل حرية وطنه واسعاد شعبه من ابناء جلدتهم؟! اولئك الذين حملوا راية الجهاد ولم يغرهم المال والجاه • ورب معترض يعترض على قولنا هذا فيقول : ان هذا فرض تفرضه بالنسبة للظروف التي تحياها الآن • لكننا نجد اكثر الناس وفي ايام الاحتلال البريطاني بالذات كانوا يعتبرون المحتلين الانكليز كفاراء ومن يتعامل معهم كافرين فما ظنك اذن بشعراء يتجاوزون حدود كل ما افه الشعب في تلك الفترة ويتجرؤون على مدح ملك الانكليز • أنظر الى الشاعر ابن السليقة يمدح - الملك جورج الخامس - حيث يقول :-

دعائي وحمدي ومدحي اتصل
لسلطاننا وعميد الدول
هو الملك المرتقي في علاه
مراقبي ينحط عنها زحل
لقد نشر العدل في العالمين
وهل عادل مثله قد عدل

(١) جريدة العرب - العدد (١٠١) في ٢٧ تشرين الثاني عام ١٩١٧ •

وقل عن لساني له معلناً
ولا تخش من سأم أو كلل
فيا من حمى أرضنا عدله
ويا من به عزنا قد كمل
فيا (جورج) يحميك رب السما
بحرمة عيسى الرسول الاجل
ولا زلت يا غوثنا سالما
وانك طول المدى متصل
بنصر عظيم وفتح قريب
بسعدك طالعه يشتمل^(١)

ثم استمع الى (ابن العراقيين) في قصيدته - النصر الخالد - لترى
ما آل اليه أمر الشعراء من استهتارهم المبتدل بكل قيم العروبة من صراحة
وبعد عن كل ما هو ضعة وهوان :

رأى الناس هذا النصر ان له أهلا
كفاء وان الحق يعلو ولا يعلى
لقد هنأت بغداد (مودا) وجيشه
اذ الجيش منصور و (مود) بها احتلا
فيا لك من نصر على الترك خالد
ويا لك من فتح لبغداد قد حلا
ولله حرب في العراق مثاره
ولله شبان قضوا ودم طلا

(١) جريدة العرب - العدد (٤٥) في ٢٢ ايلول عام ١٩١٧ م .

فلما اتاهم فاتحاً بجيوشه
وانقذها من ظالم سامها ذلاً
يضيء بنور العدل اوجه اهلها
ويضرب بالزار العدو الذي ولتي
وأمن من قد كان بالامس خائفاً
ونظم ما قد كان من قبل مختلاً
وقد ادركت بغداد غب احتلاله
بلهنية ما ادركت مثلها قبلاً

★ ★ ★

له عشر كرات على طول دجلة
اغار على الاتراك فيهن واستعلى
وكانت حيال الرافدين مواقف
يحارب فيها العلم بالقوة الجهلاً
ادار رحاها عالماً بشؤونها
الى ان اباد الترك في الحرب أو اجلى^(١)

يتضح لنا مما سقناه من الامثلة أن القصيدة كانت تحتل الصدارة في جريدة العرب • بينما المقالة على قلتها كانت شرحاً وتفصيلاً لهذه القصيدة والسبب في ذلك يعود الى طبيعة البيئة العراقية فكانت أقرب الى الطبيعة القبلية والعشائرية التي يثيرها الشعر ويحرك فيها النخوة والانصياع الى مضامينها • استمع الى مقالها الافتتاحي تحت عنوان - اللغة العربية في بغداد - بقلم (ابن الخضرة) :-

(١) جريدة العرب - العدد ١١٠ - في ٧ كانون الاول عام ١٩١٧ م •

(..... واذا سألتني : وكيف بلغ بالبغداديين أن فسدت لغتهم حتى انحطت الى هذه الدركات ؟ قلنا سببه الترك تلك الامة الفاسدة المفسدة التي اخذت على عاتقها ان تفسد كل اصلاح على الارض حتى ان من جملة ما آلت به على نفسها أن تفسد لغة عدنان ، لغة قريش ، لغة هاشم ، لغة افصح من نطق بضاد لغة دين المسلمين وما ان دخل الانكليز بلدتنا الا واجبروا الناس على تعلم اللغة العربية وصرحوا بانه لا يهمهم تدريس الانكليزية فيها وقد قال من عهدت اليه رئاسة المعارف : (ان المدارس الاهلية التي لا تدرس اللغة المضرية لا تسعف بالمال ، وكل مدرسة علمت العربية وان كانت لا تدرس لغة من اللغات الاجنبية فانها تسعف مالا ونفوذا وجاهاً)^(١) .

ليت (ابن الخضرة) حدثنا بمقاله هذا بصراحة عما فعله الانكليز باللغة المضرية اثناء احتلالهم لبغداد ، وعن الطرق التي اتبعوها في ارباب ابناء قحطان؟! وليت - ابن الخضرة - رعى حقوق قومه وراقب الله في وطنه في كل ما قال !

والمستبع لاعداد جريدة العرب يجدها تنحو هذا المنحى في كل مقالاتها واذكر بعض المقالات على سبيل المثال منها :

(قطائع الاتحاديين في مدينة الرسول) ، (ما قاسى العرب من الاتراك في بغداد) ، (افساد الترك لحروف الهجاء) ، (الجندي التركي والعثماني) (مناقشة الحساب) واخيرا استمع الى مقال تحت عنوان - الارض تسقى وتسعد - بقلم (ابن العراق) لتكون الصورة لهذه الجريدة واضحة .
جاء فيه :-

(..... زالت عن وجه بغداد نضارة تلك الحضارة التي كان يسقيها

(٢) جريدة العرب - العدد الخامس - في ١٣ تموز عام ١٩١٧ م .

ماء العلم المعين وصوحت اغصان ذلك الامن بعد أن نضب ماء العدل وذهبت
هاتيك السعادة التي كانت تحتضن اهلها • وذلك منذ وطئت اقدام الاتراك
ربوع هذه البقاع وهبطت واديي دجلة والفرات

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام

وقد طال شقاء هذا القطر مدة قرون حولت ايامه البيض الى ليال سود
ما في سمائها قمر يطلع أو نجم يلمع ••• وليس على الله بعزيز أن يطهر
بفضل منه تعالى تلك البلاد بسيف حربه الماضية - الاحتلال البريطاني -
من سيطرة قوم نسوا الله وتعدوا حدوده في الظلم على خلقه واهانوا
العرب • كما طهر بغداد واكثر بلاد العراق منهم بمدافع الانكليز •••
ويا لها من سعادة تلجت لها القلوب وحظيت بها بغداد بعد شقاء طويل التم
بها من قبل الاتراك ••• (١) •

استمرت هذه الجريدة في الصدور مدة ثلاثة أعوام على نمطها
السابق واحتجبت عن الانظار في الحادي والثلاثين من شهر مايس عام
١٩٢٠م وقد بشرت الناس بانتهاؤها صدورها ، وبصدور جريدة العراق
بقولها : (ان هذا العدد الاخير من جريدة العرب ، ويصدر غدا العدد
الاول من جريدة العراق) (٢) • وبهذا انطوت صفحة من صفحات جريدة
العرب لا يحسدها عليها أحد •

(١) جريدة العرب - العدد الثالث في الثامن من تموز عام ١٩١٧م •

(٢) جريدة العرب - العدد الثالث - في ٣١ مايس عام ١٩٢٠م •

جريدة العراق

(١٩٢٠م - ١٩٤٦م)

بعد أن انطوت تلك الصفحة من صفحات جريدة العرب تفتح وليد ما أن رأى شعاع الشمس حتى أخذ يلتصق التصاق حنان بأم رؤوم - الانكليز - تلك هي جريدة العراق • وتعتبر من أقدم الصحف الاهلية بعد الحرب العالمية الاولى وأطولها عمراً • وكان منشؤها - رزوق داود غزام - فقد سبق له الاشتغال في قسمي الادارة والتحرير في جريدة العرب وقد ساعدت الحكومة المحتلة هذا الصحفي أول الامر بالمطبعة التي كانت تطبع بها جريدة العرب^(١) •

والناظر لاعداد هذه الجريدة في سنتها الاولى يجدها تحذو حذو زميلتها - جريدة العرب - في خطتها ، ويرى كذلك أنه لم يتغير من ملامحها سوى الاسم • فقد كان كتابها على الاغلب هم نفس كتاب جريدة العرب وقد كانوا يديلون مقالاتهم بتواضع مستعارة •

صدر عددها الاول في أول حزيران من عام ١٩٢٠م • وجاء في ترويضها أنها :

(جريدة يومية سياسية أدبية اقتصادية) وقد اندفعت بحرارة الى تأييد السلطات المحتلة مما أفقدها ثقة الجمهور وهي في سنتها الاولى ولما كان الهدف من انشائها سياسياً فقد شغلت معظم صفحاتها بأخبار الحرب ، وبرقيات رويتر ، والبلاغات الحربية التي تذيبها حكومة الاحتلال ، ونشر المقالات السياسية التي تنكّل بالسياسة العثمانية ، وتحجيد الاحتلال الجديد

(١) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٥٢ •

- البريطاني - ، وتحذيرات السلطات المحتلة للعراقيين • جاء في عددها الثالث : (تصريحات الحاكم الملكي العام السير ولسمن) مطالبين الاهلين^(١)) اتصل بي أن بعضا من حضراتكم يريد أن يقدم لي مطالبهم بخصوص مستقبل العراق لعرضها على حكومة جلاله ملك بريطانيا العظمى • ولا حاجة لي أن أبين لكم سروري من هذه الفرصة التي يتاح لي فيها أن أرحب بكم وأشرح لكم ماهية سياسة حكومة جلاله الملك - بريطانيا - بازاء هذه المسألة ••• ان الغاية التي ترمي اليها بريطانيا العظمى وفرنسا من مواصلتهما في الشرق تلك الحروب هي تحرير الشعوب الراضحة تحت نير الاستبداد التركي تحريرا تاما ••• واني أؤكد لحضراتكم أن الافراد الذين يرومون تأسيس حكومة ملكية بصورة مستعجلة بالحض على استعمال العنف وبتهسيج أفكار البسطاء من الامة يجنون على وطنهم مهما كانوا مدفوعين الى أعمالهم هذه بدافع الوطنية أو بعوامل أخرى ••• ويسرني معرفة اقتراحاتكم وسأرفعها الى حكومة جلاله الملك المهتمة كل الاهتمام بمصير العراق)^(٢) •

وبعد نهاية الخطاب نهض العلامة محمد الصدر فقال :

(ان الحركة في البلاد هي حركة سلمية لا يقصد منها اثاره القلاقل •

(١) عندما سمع اهالي بغداد بقرار مؤتمر (سان ريمو) القرار القاضي بسلم البلاد من الدولة العثمانية ووضع العراق تحت الوصاية البريطانية هبّ اعيان بغداد والكاظمية واختاروا خمسة عشر عضوا لبسط مطالبهم على الحاكم العسكري البريطاني منهم العلامة محمد الصدر ويوسف السويدي وجعفر أبو التمن وغيرهم وفي ٢٨ مايس رفع هذا الوفد عريضة الى الحاكم البريطاني طالبا اليه تعيين وقت الاجتماع به وقد اجاب الحاكم البريطاني طلبهم ودعت الحكومة المحتلة واحدا وعشرين من اعيان البلد من غير اعضاء الوفد السابق منهم جميل صدقي الزهاوي ومحمد الصدر وعبدالقادر الخضيرى •

(٢) جريدة العراق - العدد الثالث - في الثالث من حزيران عام

١٩٢٠ م •

وجل مطلبنا هو تأليف حكومة وطنية حسب تصريحات الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا في تصريحهما الذي أذاعته في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩١٨ عملا بقرارات مؤتمر سان ريمو • وقد اتدبتنا الامة للمفاوضة معكم بهذا الامر • وهي تنتظر بفارغ الصبر تحقيق ذلك • وطلب الاسراع في تنفيذ هذه القرارات لتطمئن قلوب الامة ••••) وحينئذ سلم يوسف السديدي الى الحاكم الملكي - البريطاني - نص القرار مكتوبا وموقعا عليه من أعضاء الوفد بشأن مطالبهم • ثم استمع اليها تعلن (بيان نائب الحاكم الملكي العام في العراق) جاء فيه :

(يظهر أن بعض الاشخاص قد أشاعوا بأن الحكومة البريطانية على وشك أن تسحب قواتها العسكرية من العراق واشاعات أخرى تفضي الى الاخلال بالامن العام فعليه أنا - سير ولسن - ••• نائب الحاكم الملكي العام في العراق - أنشر لاجل افادة العموم بأن الحكومة البريطانية من حيث أنها مسؤولة عن السلم الداخلي والخارجي في هذه البلاد ليس لها أدنى مقصود بأن تسحب من البلاد قواتها العسكرية ••• ولا تزال تحفظ قوات عسكرية من جميع أنواع الاسلحة تكفي لقضاء واجبات حفظ السلم الداخلي والامن الخارجي ••• واني عند اللزوم لا أقصر أن أطلب من السلطات العسكرية المساعدة الكاملة للقوة الملكية (١) •

وعندما شبت نيران ثورة العشرين كانت هذه الجريدة اللسان الناطق لقوى الاحتلال في تشويه مقاصد هذه الثورة ونبلها فنشرت على صفحاتها البلاغات والمنشورات البريطانية بلهجة حادة • استمع الى البلاغ الصادر في ٢٨ تموز عام ١٩٢٠ بعنوان - الموقف على الفرات - جاء فيه :

(أصلح الموقف قليلا في لواء الحلة وقد ظهرت الاختلافات بين

(١) المصدر السابق - العدد السابع عشر - في ٢١ حزيران عام

القبائل وبدأوا يدركون أنهم آله صماء في يد الآخرين وأنهم يكونون أول
عرضة للخطوب (١) •

ثم تأمل في هذا البلاغ :

وأفانا البلاغ الرسمي الاتي وهو مؤرخ في ١١ ايلول عام ١٩٢٠ :
(رمت الطيارات بقنابلها جموعا من المتمردين كانت متجمعة في
السماوة وفتكت بهم) (٢) •

غير أن ذلك لا يتفق مع عبارة مود المشهورة - جئنا محررين لا
فاتحين - فليت صاحب العراق شعر بوخز الضمير عندما خط قلمه الوقائع
معكوسة فالاحرار متمردون ! فقد كان الاجدر به أن يهجر قلمه ويقبع
في حجر بيته في هذه الفترة على الاقل اكراما للتوار وتقديرا للشهداء !

ثم اقرأ هذا البلاغ موشحا به صدر جريدة العراق تحت عنوان
- الموقف على الفرات - جاء فيه :

(وصلت الحلة الكتيبة التي عادت من الديوانية بقيادة - كونتكهام -
بعد أن أدبت القرى العاصية في طريقها ••• ويظهر على العصاة أمائر الجلد
بعد أن نالوا التأديب الصارم الذي أنزل فيهم مؤخرا) (٣) •

ليت - الجنرال مود - قائدهم كان حيا ليثبت لنا أين الحرية التي
أرادها للعراقيين ؟ أهى حرية الضرب بالسياط ؟ وليت محرري جريدة
العراق يسمعون أنين أبناء مضر وقحطان ، وليت صاحب العراق استيقظ
ضميره على آتات بني جلدته •

وقد خشيت السلطات المحتلة الاجتماعات التي يعقدها أبناء العراق

(١) جريدة العراق - العدد ٥٢ - في ٣١ تموز عام ١٩٢٠م

(٢) المصدر السابق - العدد ٨٩ - في ١٤ ايلول عام ١٩٢٠م

(٣) المصدر السابق - العدد ٦٢ - في ١٢ اب عام ١٩٢٠م

في المساجد ، والجوامع فأصدرت منشورا حظرت فيه هذه الاجتماعات
نشرته جريدة العراق جاء فيه :

(الى أهالي بغداد :

اعتاد بعض المفسدين منذ شهر رمضان أن يعقدوا المواليد في ليالي
الجمعة ، ظاهرا لمقاصد دينية ، ولكن في الحقيقة لتهييج أفكار الناس ضد
الحكومة - البريطانية - ولبث روح الاختلاف ... ولكن كما تبين في ان
الحرية الممنوحة قد أسأوا استعمالها وأن المحركين يضلون العوام بضلال
ميين بجسارتهم ومذاكراتهم في مجالس - المولود - ^(١) فلهمنا وجب أن
نعلم أن انعقاد المواليد ممنوعة وأن انعقاد الاجتماعات لمقاصد سياسية تعرض
القائمين بها لاشد العقوبات ...) ^(٢) .

أما مقالاتها السياسية فهي كالعادة مدح لسلطات الاحتلال البريطانية،
والنعي على حكم الاتراك . جاء في مقال افتتاحي تحت عنوان - العراق
جنة الى الراحة - :

(لم يبرح العراق ساحة تمثل عليها الفوضى والاضطراب ، وميدانا
تلعب فيه الثورات والمنازعات ... وآخر ما ابتليت به ما بين النهرين
- الاتراك - فلم يحسنوا حكمها وزرعوا بذور الشقاق في أطرافها ...
ورزح هذا القطر المسكين تحب عبء الطوراني الثقيل دهرا ذاق فيه
الامر من جراء الغليان الذي حل بساحته ...

تقلص ظل - الاتراك - في هذه الربوع فتنفسنا الصعداء وقلنا مرحبا

(١) المواليد : مجالس دينية تعقد للاشادة بالرسول الاعظم وآل
بيته .

(٢) جريدة العراق - العدد ٦٣ - في ١٣ اب عام ١٩٢٠م

بالسعد أفضل بحبي العراقيين وأهلا بالسكينة والراحة ... (١)

عجيب وغريب أمرك يا صاحب العراق ! نحن نتفق وياك مع ما قلت ، في عمل الاتراك • ولكن أتعلمنا حقيقة دور الانكليز في العراق ؟ ألم يكونوا أظلم وأقسى من الاتراك ؟ فأين السعد وأين الراحة ، أهني بالاستعباد أو بالدلة والاستكانة ؟ ولكن آفة الرأي الهوى • فان صاحبها رزوق غنام - غفر الله له - لم يقف عند خدمته للاجنبي المحتل ، بل تهجم على دعاة الوطنية الصادقة • استمع الى مقالته تحت عنوان - ما أُرخص الالفاظ والمعاني عندنا - جاء فيه :

(كثر في هذه الايام ترديد كلمة الوطن وخدمته والوطنية وأبنائها ، ولا غرابة في ذلك فالعصر عصر يقظة وانتباه ... ولكن من أعجب ما قرأته في هذا الشأن اعلان نشرته احدى الصحف عندنا عنوانه (خدمة وطنية) وبحثت عن هذه الخدمة فوجدتها اصلاح الدراجات - البايסקلات - ليس الا فقلت ليس علينا الا أن ننام مدة خمسة قرون ثم نستيقظ لنرى من أمر هذه الخدمات الوطنية ، وعادة الاسترسال والافراط في تسمية الاشياء معروفة عندنا ولكن على الصحافي واجبات لا يستهان بها أمر معلوم) (٢) •

الذي يعرفه الجميع أن الوطنية ليست مقصورة على تأدية فريضة الدم في سوح الجهاد ، وانما الوطنية هي اخلاص كل شخص في مجال عمله • فالمهندس في مكتبه ، والطالب في مدرسته ، والطبيب في مستشفى ، والعامل في معمله ، كلهم وظيفون ان أدوا الامانة وأخلصوا في عملهم • فما وجه الافراط في هذا ؟ وأية ألفاظ رخيصة في اصلاح الدراجات ، ألم

(١) جريدة العراق العدد - ٨١ - في الرابع من ايلول عام ١٩٢٠م

(٢) المصدر السابق العدد - ٤٣ - في الحادي والعشرين من تموز

عام ١٩٢٠م

تكن خدمة عامة ! والادهى من كل هذا أن (رزوق غنام) ينبري الى
ايقاظ الامة وهو مرتب في أحضان مواليه • استمع اليه في مقال له تحت
عنوان - الامة برجالها - :

(لا تبث الامة من مرقد الذلة الى محشر العزة ولا ترقى من مهاوي
الضعف الى ذرى القوة ••• الا برجالها المتضلعين ••• الذين أدركوا
حكمة الوسط في تدبير أمور الامة وادارة شؤونها وأعرضوا عن الافراط
والتفريط ••• وأقاموا الامة من غفلتها وساروا بها في سبيل التقدم
والنجاح • فان الكاتب العبقري يستنهض الامة من مضاجع الجمود وينفض
عنها غبار الخمول ••• والشاعر النابغة يقيل عثراتها ويقوي عزماتها
ويثبت ارادتها بحساسه وتصويره المهيجين لعواطفها والمحركين لشعورها
••• والسياسي الماهر يوثق عرى سياستها ••• ويسعى وراء تحكيم علاقاتها
مع الامم الاخرى • هؤلاء هم رجال الامة المعول عليهم في كل زمان
ومكان (١) •

يظهر مما تقدم أن سياستها كانت موالية لقوى الاحتلال • أما
النواحي الاخرى : فقد اهتمت اهتماما كبيرا بالنواحي الثقافية اذ حثت
العراقيين على الاقبال على التعلم والتثقيف •

جاء في مقال تحت عنوان - لا حياة للشرقين الا بالعلم - :

(كلما اقترب الكاتب من مواطن الاخلاص في الفكر والصدق في
القول اخترقت سهام قلمه كبد الحقائق ، وكلما مال به التطرف ، وساقه
الغرض الى الطرق المعوجة والمسالك الوعرة ، طاش سهمه وأخفق في
مسعاه ••• لنعمل على نشر العلم بين ظهرانينا ، لان العلم الصحيح هو
العامل الرئيسي في توحيد المبادئ والعواطف والاميال حتى اذا ما اتحدت

(١) جريدة العراق العدد - الثامن - في التاسع من حزيران عام

١٩٢٠ م •

مبادؤنا واشتبتك عواطفنا وتألفت أميالننا ، أصبحنا شعبا راقيا عارفا ما له
وما عليه وحوّلنا وجهتنا الى الكمال الذي تسعى اليه الانسانية الحاضرة
عسانا نسترجع ماضيها ونجدد عهدنا فنحيا حياة مجيدة اذ لا حياة الا
بالعلم (١) •

ثم استمع اليها في مقال تحت عنوان - الحرية الشخصية - جاء فيه:
(••• ان الفرد الذي يعيش غير متمتع بالحرية الشخصية لا يستطيع
لضعف قواه ان ينهض بمجتمع عظيم ويقوم بانشاء ملك كبير دائم ويحظى
بسلطة واسعة ثابتة سياسة واقتصادا ••• ولما كان الفرد هو الجزء المتم
لكل المجتمع ••• وجب ان يهذب كل التهذيب المبني على الحرية الشخصية
حتى ينشأ حيا شجاعا مقداما قادرا على مكافحة الدهر •••

والخلاصة ان الحرية الشخصية لحكمة هامة جدا وهي الناضمة لحياة
الفرد والجماعة والمجتمع والعاملة في رقيهم المادي والادبي ••• (٢)

اما النواحي الاجتماعية فقد اولتها عنايتها وقد عقدت المقالات الطويلة
في ذلك معالجة حاجة المجتمع الى الاصلاح والواجبات الاجتماعية المفروضة
على كل فرد جاء في مقال تحت عنوان (الواجبات الاجتماعية) :-

(لا شك ان التعاون هو من اهم الواجبات الاجتماعية واجلها • وهو
من أكبر دواعي التقدم ، ومن اجل صفات البشر واقدسها •

••• ان الواجب يدعو كل فرد ان يشترك بالالم الذي يصيب افراد
امته ويتوجع لوجعهم • وذلك يمليه الضمير الطاهر ، والوجدان الشريف
الذي يرفع المرء الى اعلى مراتب الحياة واشرفها • لست أقصد من التعاون

(١) جريدة العراق العدد - الاول - في غرة حزيران عام ١٩٢٠م

(٢) جريدة العراق العدد - الخامس - في الخامس من حزيران عام

١٩٢٠م -

ان نعين العطاء من أفراد الامة الذين هم عالة على المجتمع ، بل أقصد من ذلك أن يكون المرء عضوا عاملا يوجه مساعيه الى النفع العام ••• وان يسعي لتعميم العلوم ونشرها بين طبقات الشعب ، وبذلك يكون قد عمل عملا شريفا وادى واجبا اجتماعيا • قال امين الريحاني :-

(كل عمل يساعد على نمو قوى الانسان الحيوية وحفظها جسدية كانت او عقلية او روحية وعلى حصر لوازم الحياة فيما يتطلبه الناموس الطبيعي فهو عمل صالح شريف) ذلك ما يطلبه الواجب وتسوقنا اليه الاخلاق السامية (١) •

وقد جاء في مقال تحت عنوان - حاجة الوطن -

وطني ، مهد الانبياء والرسول والملوك ••••
متى ينبغ فيك للعلم انبياء ، وللحرية رسل ،
وللنور ملوك وامراء ••••

الريحاني

(•• اذا امعنا النظر في حالتنا الاجتماعية والادبية تجلى أمامنا النقص العظيم والخلل الجسيم الذي قد اعتور مجتمعنا ، ورأينا ان وطننا المحبوب بحاجة الى عدة أمور :-

الوطن بحاجة الى آباء فضلاء ينشؤون ابناءهم وبناتهم على حب العمل والجهاد في سبيل الحياة ويطلعون في صدورهم محبة الاوطان وخدمتها •
حاجة الوطن كلية الى امهات فواضل يربين النشء الجديد على سنن الفضيلة والخير يرضعنهم افوايق الشرف والاستقامة مع الحليب ويغرسن في نفوسهم منذ نعومة اظفارهم الخصال الحميدة والصفات الانسانية الجميلة •
وطنا يحتاج الى معلمين مخلصين يؤدون وظائفهم لا بالنظر الى

(١) جريدة العراق العدد - ٩ - في العاشر من حزيران عام ١٩٢٠م

ما يتناولونه من الرواتب بل يعتبرون مناصبهم اقدس المناصب الاجتماعية
ويقومون بتعهد اطفال اليوم ورجال الغد تعهدا حسنا •• لتؤسس منهم غدا
عمرانا سعيدا خالدا •• (١) • ويستطرد الكاتب في هذا المقال الى مختلف
موظفي الدولة وواجباتهم •

وقد عقدت الفصول الطوال في معالجة هذه النواحي تحت باب أسمته
- لطايف أدبية - واليك امثلة منها للشاعر الباكي قال :-

(قبل عشر سنوات - وأنا صبي - كنت مشغوفا بالخروج الى ساحل
النهر صبيحة كل يوم ، لأروح النفس ، وازيل عنها وطأة الحزن فكنت
اخلع نعلي واركض فوق الرمال الدقيقة •• وينمأ كنت اقلب الرمال
بيدي اذ بدا لي من بين طياتها زهرة ناصعة الياض رقيقة الاوراق جميلة
الشكل ، فنوت اليها وقلبت بصري في مطاويها فأعجيني حسنها وانفرادها
بين هذه الرمال • أرتفعت الشمس واخذت ترسل أشعتها المحرقة •••
وهكذا أخذت تلك الزهرة الجميلة تذوي رويدا رويدا من شدة الحر •
فأشجاني ذلك وشق علي ذبولها فبكيك لحالها ، وحاولت ازواءها من دموع
عيني المتأثرة ••• ولهذا لفحت حرارة الشمس تلك الزهرة فذبلت
وذوت • وهكذا اكثر الكواعب اللواتي يشاكلن تلك الزهرة البيضاء ،
برقة طبعهن وجمال محيهن تخرجها ايدي العتاة من تحت سجاف الخدر
فيدوين تحت شمس الحب المحرقة • وقد يحاولن ذلك لان ارواح المحيين
تعقب دموعهم نحو بحر النور الى ما وراء الشفق الاحمر خلف استار هذه
الحياة • فسلام على تلك الدموع وامان على تلك الارواح (٢) •

ثم يجيبه الشاعر الضاحك • بمقال تحت عنوان - الى الشاعر الباكي -
جاء فيه :-

(١) جريدة العراق العدد - ٢٦ - في غرة تموز عام ١٩٢٠م
(٢) المصدر السابق العدد - ٣٦ - في ١٣ تموز عام ١٩٢٠م

(قرأت كلمتك التي حوت الابدسامات والدموع ، والحزن والفرح
والحب والكره فحررت في فؤادي بعض عوامل كامنة أبيت الا ان تثير
أوارها بنيرانك .. اقدس منك عاطفتك نحو تلك الزهرة النذوية التي
وجدتها بين الرمال ، وكيف عنيت بأن تعيد اليها رمق الحياة مما يدلني على
ان في نفسك أثرا من آثار الروح العالية ...

ان كنت حرقت الارم على الزهرة النباتية وانت ابن عشر سنوات
الا يطير فؤادك اليوم على الزهرات البشرية اللاتي تصوحهن حرارة الجهل
ويكمد محاسنهن ضباب الغباوة ...

تفرست في وجهك فرأيت اخايد الدموع بادية عليه ، مما دلني
على انك كثير البكاء ... وكل ما حولك يدعو الى البهجة والفرح ..

ألم تجلس الى زوجك وتفتح لها صدرك فترى منها الاخلاص
المتاهي ... ألم تأخذ بناتك وبنيك بين ذراعيك فترى في نظراتهم من اثار
الانعطاف النبوي ما يعظم الحياة في عينك ...

هذه كلها يا اخي مظاهر للسعد والسرور يجب ان تقابلها بالضحك
والابتسام ، لا بسكب العبرات والزفرات أما انا فلا ازال عائشا بالمسرة
والحبور ... لاني حاصل على مسرات الحياة واطايبها . لذلك تراني على
الدوام ضاحكا مبتهجا منشدا قول الشاعر :

إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جباناً (١)

يظهر ان هذه الجريدة بعد انتهاء الاحتلال البريطاني وتأسيس
الحكم الاهلي اخذت تشيد بزعامة البيت الهاشمي ، والترويج لدعم
سياستهم بمقالات حارة . وقبل ان انهي البحث عن هذه الجريدة لا بد
ان نذكر ما اثبه الشاعر - معروف الرصافي - عن هذه الجريدة في جريدته

(١) جريدة العراق العدد - ٤٠ - في ١٧ تموز ١٩٢٠م

- الامل - (١) ردا على مقال نشرته جريدة العراق - بتوقيع الكاتب المطلق:-
جاء في جريدة الامل مقال تحت عنوان (صاحب جريدة العراق) :-

(في بغداد آدمي يقال له (رزوق غنام) يستحق ان يسمى بلبي العجب • كانت في بغداد فترة قبل انشاء حكومتنا العربية - لا كانت من فترة - صار فيها الوضع شريفا والخامل نبيها والجاهل معلما والخدام حاكما والصلوك مثرىا وكان هذا الآدمي من الذين اثروا بفضل تلك الفترة فصار صاحب ثروة بعد ان كان ما كان • ان هذا لعجب ولكن الاعجب منه انه نال تلك الثروة بصيرورته شيخا للصحافة العربية في بغداد واعجب من هذا وذاك انه لا يعرف ان يجمع بين كلمتين من اللغة العربية فما وجوده اليوم الا أثر من آثار تلك الفترة المشؤومة - يقصد فترة الاحتلال - التي ابقته لطخة سوداء في جبين الصحافة العربية •

ان المقال الذي نشرته صحيفته النكراء في عددها بتوقيع - الكاتب المطلق - لن يكون منه وانما هو من كاتب مقيد بالاجرة فكيف يكون مطلقا وهو كالخدام الذي يخدم بطعام بطنه •

لا ندري ما الذي حمل (رزوقاً) على أن يبصق في وجه الشرف من قبل ان يدنو منه ولعله فعل ذلك لعلمه انه اذا جاء الشرف انتكست الحسنة وتدهورت في مهاوي الخسران لانها لا تستطيع ان تنازعه البقاء •••

على اتنا نعلم من هم الذين اغروا صاحب العراق بنا فسوف نوجه سهامنا الى مغريه ونعرض عنه جريا على عادة العرب القديمة التي قال فيها شاعرهم :

(١) الامل - جريدة سياسية لصاحبها - معروف الرصافي - صدر عددها الاول في مستهل تشرين الاول من عام ١٩٢٣ •

(كالثور يضرب لما عافت البقر ٠٠٠) (١) .

وقد عقب الشاعر معروف الرصافي بمقال ثان تحت عنوان (اخرجونا فأخرجونا) جاء فيه :-

(اصبحت جريدة العراق كالعنز الجرباء تحتك بكل من وما تصادفه تبريرا لغلتها وتسكينا لعلتها ٠٠٠ ان ما انطوت عليه -العراق- من اللؤم والخسة دفعها ٠٠٠ من طريق اخرى هي طريقة التضليل والتمويه المشهورة بها تلك الوريقة الصفراء فقد كتب المأجور - د - يقصد به صاحب العراق - رزوق داود غنام - مقالا مرذولا حاول فيه أن يضع مقالنا - الاكثرية الشيعية في العراق - تلك المقالة التي لم نكتبها الا من جراء خدمة اكثرية غافلة معروقة بصلابة وطينتها وصفاء سريرتها في الوقت كان فيه -د- وجريدته من جملة المروجين لفكرة جعل الاكثرية في العراق آشورية او ارمنية ٠٠٠ سهم طائش يا -د- ٠٠٠ سهم لا يصبوب الا الى مجلس سيدك - يقصد البريطانيين - ذلك المجلس الذي كان ولا يزال عينا على حركات الوطنيين راصدا لانفاسهم الحرة ٠٠٠) (٢) .

استمرت جريدة العراق في الصدور ايام الحكم الاهلي فأخذت وجهة جديدة في مدح البيت الهاشمي ولا سيما العرش الفيصلي في العراق بلهجة حادة ، كما قلنا ، الى ان أوقفها صاحبها طوع اختياره عام ١٩٤٦م وقد ختمت حياتها بعددها المرقم - ٧٢١٥ - وهكذا غابت عن الانظار .

(١) جريدة الامل العدد الثاني في الثاني من تشرين الاول عام ١٩٢٣م (يضرب هذا المثل في عقوبة الانسان بذنب غيره) راجع مجمع الامثال للميداني ٢ ج ١ ص ١٤٤ مطبعة السعادة بمصر عام ١٩٥٩م .
(٢) جريدة الامل العدد - الخامس - في السادس من تشرين الاول عام ١٩٢٣م .

الفصل الرابع

أهم المجالات

أهم المجلات

ستتكمم في هذا الفصل عن أهم المجلات التي ظهرت في تلك الفترة ،
وان كنا نلاحظ دائما ان بعض المجلات لا يكاد يصدر عددها الاول حتى
يختفي ومن الامثلة على ذلك :

مجلة العلوم ، ومجلة الحياة ، وسبيل الرشاد ، والغرائب ، والرفافة ،
ومقتبسات ، وألنور •

فلنرجيء الكلام عن هذه المجلات قصيرة الاجل ، حتى نفرغ من
الحديث عن المجلات طويلة الاجل ومن اهمها ما يلي :-

مجلة العلم

(١٩١٠م - ١٩١١م)

مجلة عربية ظهرت في عالم الصحافة العراقية بعد اعلان الدستور
العثماني • لصاحبها العلامة (السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني)
من رجال الدين المعروفين في العراق • وكان مديرها المسؤول الشاعر
عبدالحسين الازري • صدر عددها الاول في التاسع والعشرين من شهر
آذار عام ١٩١٠م ، وكانت تكتب في النجف ، وتطبع في بغداد • جاء في
ترويضها انها :-

(مجلة شهرية دينية فلسفية سياسية علمية صناعية) • وقد جاء في
مقدمة عددها الاول ما يلي :-

(والامل من حملة العلم وحماة الدين ومن يشاركونا في الغاية
والغرض ان يسعى في نشر هذه الصحيفة ويساعدنا بفيض يراعه ويجد في

ان يجد ما يتمناه من غرس اصول الدين والعلم في اراضي القلوب وتكميل الافكار واصلاح الشعوب وفك مقاليد التقاليد المضرة من عقولهم (١) • وقد زين كل عدد من اعدادها بيتين من الشعر هما :-

العلم انفس شيء أنت ذاخره
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
أقبل على العلم واستقبل مباحثه
فأول العلم اقبال وآخره

وهذه المجلة شهرت يراعها لهدم ما بلي من عاداتنا ، وارساء الخلق القويم ، والتمسك باخلاق السلف الصالح • وكم لها من جولات في عالم الادب ، والسياسة ، والاخلاق والدين • ولمكانتها قرظها جماعة من الابداء منهم الشاعر خيرى الهنداوي القائل :-

أسواد الابصار في الاحداق
أم مداد الاقلام في الاوراق ؟
وفصول الكلام تطرب سمعا
أم غناء الحمام ذي الاطواق

وهي مجلة طافحة بالمناقشات الصريحة ، والاراء الجريئة ، فقد نبهت الافكار الى الاخذ بأسباب التقدم ، وايقظت الهمم الى التألف ، وجمع الشمل ، والاعتراف من مناهل العلم • استمع الى صراحتها في مقال تحت عنوان - الصحافة - جاء فيه :-

(أليست الصحافة عينا مراقباً ولساناً ناطقاً وخطيباً صادقاً ودرعا واقياً ومعلماً هادياً ومؤدباً ناصحاً وصراطاً واضحاً تأمر بالمعروف وتنهى عن

(١) مجلة العلم العدد الاول ٢٩ اذار عام ١٩١٠م

المنكر لا تحمي في الباطل حميما ولا تهضم في الحق خسيما وكل صحيفة
اخطأت هذا الصراط فعلى الامة تأديبها ولو بالسياط (١) * ثم استمع اليها
في قصيدة بعنوان - الى المعلم الى العلم - بقلم (الصائح المكلم) جاء فيها:

الى متى يا كرام القوم نتظر
والوقت يذهب والاحشاء تستعر

رحماكم الشعب كالانعام ليس له
سوى العلوم والاغاله القدر

وكلكم عالم بالداء واأسفي
وان ذا الجهل لا يبقي ولا يذر

جعلتم لسوى التعليم سعيكم
ماذا يفيد وهذا الجهل منتشر

فلا سبيل لاعمار البلاد سوى
نشر العلوم ألا بالغرب فاعتبروا

وراقبوا الله في شعب ومملكة
اضاعت العلم حتى حاقها الخطر

أليس بالعلم تقوى يا كرام كما
بالجهل نمحي فلا عين ولا اثر

ثم تختتم هذه القصيدة بقولها :-

فان فعلتم فنعم الرأي رأيكم
أولا سأصرخ حتى ينتهي العمر (٢)

(١) مجلة العلم العدد الاول ص ٧ في التاسع والعشرين من اذار عام
١٩١٠ م

(٢) مجلة العلم العدد السادس ص ٢٨٥ عام ١٩١٠ م

وقد اتخذت هذه المجلة الشعر وسيلة لعرض معظم افكارها جريا على
طبيعة العراقيين الذين يستهويهم الشعر ويثير عواطفهم • انظر الى قصيدة
الشاعر خيرى الهنداوي بعنوان - اين كنا واين صرنا - جاء فيها :-

قم فجنّد من حزمك الاجنادا
وادع بالعزم واقعدده جوادا
وتقلد من صائب الفكر سيفا
واتخذ رأيك السيد نجادا

★ ★ ★

صاح طال القعود في ظلمات الهون
فاقدح من النهوض زنادا
وتذكر آباء آبائك الصيد وما
قلدت به الاجدادا
نحن ابناء قادة الناس
واليوم تركنا منا اليها القيادا

بعد ان لم ندع من الارض شبرا
لم تطأه الجيوش منا جهادا

★ ★ ★

هيء للعلوم يا امة الشرق
نهوضا وللرقي اتحادا
واستقيقي من رقدة الجهل والقي
العجز جنبا واستبدليه اجتهادا (١)

(١) مجلة العلم العدد الخامس ص ٢٠٩ عام ١٩١٠م

وقد ظلت هذه المجلة دائبة الخدمة على طريقها الواضح ، ونهجها
السليم مدة سنة ، وغابت عن الانظار بارادة صاحبها - العلامة الشهرستاني -
مع انها لقيت من الرواج والانتشار الشيء الكثير .

مجلة تنوير الافكار

(١٩١٠ م)

مجلة شهرية صدرت في بغداد عام ١٩١٠م . لصاحبها (عبدالهادي
الاعظمي) ومديرها المسؤول (نعمان الاعظمي) . وقد جاء في ترويضها
انها :-

(مجلة دينية أدبية سياسية خادمة للدين والعربية)^(١) .

والمطالع لهذه المجلة يجدها تصب جل اهتمامها على نشر مبادئ
الدين الاسلامي ، والتعريف بمشاهير رجال العرب ، وتفسير آيات القرآن
الكريم . جاء في عددها الاول :-

(عن لنا انشاء مجلة ندعوها (تنوير الافكار) هدفها نشر الدين
الاسلامي والتعريف بمشاهير العرب وتفسير القرآن)^(٢) . كما انها لم
تهمل النواحي الاخرى الثقافية ، والسياسية ، واصلاح حال العراق .
جاء في مقال تحت عنوان - العراق - :-

(. . . الذي نريده وهو الذي يهمننا الآن وينتظره اهل هذا القطر
عامة هو اعمال توردهم ذلك المورد الصافي وحركة تكون سببا لاسترجاع

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول في ٢٦ اب عام ١٩١٠م

(٢) المصدر السابق

ذلك المجد الغابر ... ان اصلاح العراقيين مفتقر الى امرين مهمين : مادي ومعنوي :

سكة حديد بغداد ومشروع ري العراق • وتكثير المدارس الوطنية الابتدائية (...) • ثم استمع اليها في المقال نفسه تصف رجال الحكومة وصفا يدل على ضعف ادارتهم ، وجهلهم في اسط الامور ، ومن خلال هذا الوصف تحشر موضوع اللغة العربية ، وهو الموضوع الاساسي الذي ارادت التعبير عنه :-

(غير ان رجال حكومتنا المكلفين بالاصلاح ليس لديهم اقل اهتمام • جل ما يسعى اليه واحد منهم تلك الوظيفة التي هي الغاية المقصودة والضالة المنشودة ... فتراه لا يتحرك من بيته الا الى كرسيه في نفس وظيفته ولا يتحرك من وظيفته الا الى بيته ومنزله • • • تراه حائرا لا يسدري متى يقبض نقوده وكيف يصرفها • ومن العجيب أيضاً انه نرى الاجانب حينما يحل احدهم اوطاننا اول ما يتدبر اليه درس لغتنا وحفظها بكل نشاط واقبال ونرى رجال حكومتنا لا يستطيع احدهم ان يكلم حتى زوجته او ولده بلغته الوطنية وفي الحقيقة لا حياة لنا الا بها ولا وصول الى الاصلاح بغيرها) (١) •

وقد اعتمدت في نشر مبادئها الاصلاحية على الشعر في اغلب الاحيان ،
هاك قصيدة الشاعر عبدالرزاق الكرخي :-

شخصان اتم على الاموال متكىء
والثاني فيكم على آماله اتكلا
والثالث بات مطوي الضلوع ولا
يرثي عليه وان جوعا يموت فلا

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول ص ١٩

هذا ينام على جوع ومسغبة
وذا بليلاء مانوس يواصلها
وذاك يكابد مع احواله العذلا
ابن المساواة والايام كاشفة
مستقبل الدهر تبدي الامن والوجلا
ان التي انتشرت فيكم فليس ترى
غير لسفاهات منها قط ما حصل^(١)

وقد عالجت النواحي الاجتماعية على صفحاتها • ويكاد نشرها يرصع
بالشعر على الغالب • جاء في عددها الاول مقال تحت عنوان (لانظار ولاية
الامور) : (قانون الصحافة يأمر الصحفي بتقديم كل صحيفة برزت الى
عالم المطبوعات بأية لغة كانت لحاكم سياسة ذلك المحل ولكن هل لجمعها
ووضعها في زوايا الاهمال أم لان يتصفحها صحيفة صحيفة ؟ متأملا رموزها
واشاراتها معتبرا انها المرأة التي تنعكس عليها صورة مطالب الامة •

ما بال الصحف العربية تنادي ؟ وقد بحت اصواتها قائلة العلم العلم
لا حياة لنا الا به وهذه ربوعه خاوية على عروشها وهي بمنظر ومرأى من
الجميع ••• العلماء الاعلام يستغيثون فلا يغاثون ويستصرخون فلا
يصرخون ، المدرس مع عائلته يتضور جوعاً اذ ليس راتبه سوى (٢٠٠)
قرش يوم يأخذ مباشر العدلية - أي فراش - ٥٠٠ قرش •

مدارسهم تبكي بل هي كما قال السيد خيرى الهنداوي :

امست مدارسنا خلاء همدا

يرثي لها المتجول المتساب

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول ص ٢٩

مسودة الجدران صفرا بعدما

كانت تضيء بنورها الاحقاب (١)

وكثيرا ما كانت تتخذ هذه المجلة المدح للوالي (ناظم باشا) وسيلة
لغاية تريد تحقيقها وهي اصلاح حال العراقيين واعادة مجدهم التالد من
ذلك قصيدة الشاعر عبدالرزاق الكرخي :-

عرج لبغداد وانزل في مغانيها

فحيها بلدا رقت حواشيها

أما ترى العدل قد شيدت دعائمه

فيها (وناظم باشا) اليوم واليها

★ ★ ★

يا ايها الناظم المجري عدالته

بين الانام ورب الخلق يريعيها

فالكرخ يشكو ضياع العلم من جهل

كما الرصافة تشكو الجهل واليها

★ ★ ★

استهض القوم من ضيم وليس ارى

فيهم خيرا فيعطي القوس باريها (٢)

ثم استمع الى الشاعر نفسه بقصيدة اخرى عنوانها (حوادث الدهر):

يا سعد عرج وقف بالارسم الدر

ونادها كيف ابلتها يد الغير

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول ص ٣٨

(٢) مجلة تنوير الافكار العدد الثاني ص ٧٦ في ١٩ ايلول عام

١٩١٠ م .

فأمهل رويدا بدار العلم مستمعا
نداء مستنصر بالله منتصر

كانت تروق بهم في حسن موقعها
من جسر بغداد ذي الألواح والدر

كانت بتدريس - علم الدين - زاهرة
واليوم موحشة في اوجه البشر

★ ★ ★

يا عين فابكي هذا المصاب كما
باتت عيون الهدى تبيكه في سهر

حيث المدارس في بغداد دارسة
ولم نجد في زواياها سوى الضجر^(١)

وقد تأثرت هذه المجلة بالأضواء الفكرية التي عمت البلاد العربية
كسورية ومصر آنذاك عن طريق الصحف ، مما حدا بها الى ان تحمل
حملة شديدة على مطالبة السلطات العثمانية بجعل اللغة العربية هي لغة
التعليم جاء في مقال تحت عنوان - ولتكن منكم امة - :

(يسوؤني ان ارى القصد من مكاتبنا التتريك لا التعليم فاننا نرى
الطالب يقضي ست سنوات في الرشدي - الابتدائي - ولا يستطيع أن
يؤدي مرامه باللغة الرسمية ولا اللغة العربية فيبقى مذذبا وقد اتبعت
دائرة المعارف لذلك واخذت تحاول دون اصلاحها هذا في الولايات واما في
الاقضية والنواحي فحدث ولا حرج . . . ويسرني ان ارى قد هزت اهل
بغداد اريحية الحمية والغيرة الوطنية فشمس كل منهم عن ساعده وبرز في

(١) مجلة تنوير الافكار العدد التاسع ص ٣٢٦ في ١٥ حزيران عام

١٩١٠ م

ميدان مطالبة حكومتنا ••• بحقوق غصبت في الدور المباد المنحوس •••
فرحمة ايها البغداديون بناشتكم •••

ان دام هذا ولم تحدث له غير لم يُبكَ ميت ولم يفرح بمولود^(١)
ثم تأمل في المقال الذي اقتبسته من جريدة المقتبس بعنوان - الامة
تجبو - مما كان له الاثر في تحسس ابناء العراق الى واقعهم • وقد جاء
فيه :- (نريد بالامة هنا - الامة العربية والشعوب العربية - وان الحكومة
تحسن صنعا اذا نشطت في هذا القطر اللغة العربية اكثر من اللغة التركية •
اما السعي في تترك العرب في سوريا وفي غيرها من الاقاليم العربية كاليمن
والحجاز والعراق فسعي باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم
بغير لسانهم يطول معه زمان نهوضهم الحقيقي والاتراك ليسوا بمدنيتهم على
مستوى الفرنسيين والانكليز في الرقي ••• حتى يفيضوا من علمهم على
العناصر الاخرى ولذلك كان عمل الحكومة عقيما في نشر اتركية في البلاد
العربية ••• فلا سبيل الى النهوض الا باحياء اللغة والاداب وتذكير الابناء
بما فعل الاباء ، والا نستبقى هذه الامة ••• اقرب الى الاضمحلال منها الى
البقاء ومتى ازمن مرضها يتعذر برؤها • سبحان من يحيي العظام وهي
رميم)^(٢) • الواقع أن هذه المجلة كان لها الاثر الفعال في المجتمع العراقي
من حيث تنبيه الافكار ، واستلهاهم العبر ، والعظات • استمع الى مقالها تحت
عنوان - يا اعيان البلاد - جاء فيه :- (يا اعيان البلاد واشراف سكانها
اين انتم من شيوخها وكهولها وشبانها قد التهمت ثروتهم المراقص
والراقصات وافقرتهم المقامر والحانات وسلط عليهم الجهل انواع الآفات •
ما لكم لا تحولون بينهم وبين هذه الموبقات المهلكات ••• اتقوا الله ايها

(١) مجلة تنوير الافكار العدد السابع ص ٢٦٦ في ١٨ مارت عام
١٩١٠ م •

(٢) مجلة تنوير الافكار العدد السابع ص ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ في
١٨ مارت عام ١٩١٠ م •

المسلمون وعودوا الى التمسك بالدين يعسد لكم عز آبائكم الاولين •
وارجعوا الى العمل بالقرآن العظيم يرجع لكم بين الامم مقامكم القديم^(١) •
وقد استمرت هذه المجلة تصدر سنة كاملة ثم احتجبت •

مجلة لغة العرب

(١٩١١ م - ١٩٣١ م)

اصاب اللغة والادب ، في العهد العثماني ، الجمود لان الحكام
حظروا التكلم بالعربية والمراسلات في دوائرهم الرسمية والمدارس •
فانكش الادب وظلت الجوامع والمساجد في العراق تكافح وتناضل في
حفظ اللغة والادب من الضياع • وقد استمر الصحفيون العراقيون
يطلبون الحكام العثمانيين بجعل اللغة العربية لغة رسمية في الدوائر
الحكومية ، وفي المدارس^(٢) • حتى تحقق ذلك عام ١٩١١ م^(٣) •
فاستبشر الادباء العراقيون بهذا النصر واخذت البحوث اللغوية تتزين بها
صفحات المجلات والجرائد • ويعتبر اول من اقدم على ذلك (الاب
انستاس ماري الكرمللي)^(٤) الذي اصدر مجلة (لغة العرب) تلك المجلة

(١) مجلة تنوير الافكار العدد العاشر ص ٣٦٩ في الخامس من اب
عام ١٩١٠ م •

(٢) راجع : الفصل الثالث - أهم الصحف - (الرقيب) و (صدى
بابل) •

(٣) راجع : مجلة لغة العرب - التدريس في المكاتب باللغة العربية -
ج ٦ ص ٢٧٨ عام ١٩١١ م •

(٤) أديب عراقي معروف ولد في بغداد عام ١٨٦٦ م من أب لبناني
الاصل ، وأم بغدادية • تعلم دروسه الابتدائية في مدرسة الآباء الكرمليين
ببغداد وأتم دراسته الثانوية في مدرسة - الاتفاق الكاثوليكي - وتخرج

التي عنيت بالمباحث العربية فحققت بذلك امنية طالما راودت اذهان المفكرين العراقيين سنوات عديدة • وقد صدر العدد الاول منها في غرة تموز من عام ١٩١١م • وجاء في ترويضها انها (مجلة شهرية ادبية علمية تاريخية) • وقد نشرت في عددها الاول خطتها جاء فيها :-

(بعد حمده تعالى ، والشكر على آلائه ، والاتكال على مدده ، قد عقدنا النية على اصدار هذه المجلة الشهرية خدمة للوطن والعلم والادب • والذي دفعنا الى هذا العمل هو اننا رأينا اغلب المجالات والجرائد ••• تبحث عن بلاد اصحابها ورجالها ولا تذكر الا النزر اليسير التافه عن هذه الارحاء وذويها • فرأينا من المناسب ان ننشئ مجلة تفي بما في الامنية ليدخل العراق في مصاف الربوع المعروفة بين الامم المتمدنة المتحضرة)^(١) • يظهر من هذا ان المجلة ارادت أن تعرف العراق ، واهله ، وقبائله ، ومشاهير رجاله للعراقيين وغيرهم • وذلك بالاضافة الى مباحثها اللغوية الكثيرة • وقد حوت هذه المجلة مختلف النواحي الادبية واللغوية، وارجاع الالفاظ الى اصولها • من ذلك مقال تحت عنوان - اصل لفظة الرزق - جاء فيه : (المشهور بين اللغويين ان لفظة الرزق عربية فصيحة • ولم يخطر ببال احد انها من اصل اعجمي ••• علي اني اذهب الى انها من اصل فارسي ••• والمراد من الرزق في كلام الفصحاء والعوام هو قوت اليوم سواء أكان لبني آدم ام لابناء الحيوان ومنه (وعلى المولود له رزقهن)

فيها عام ١٨٨٢م • ثم عين معلما للغة العربية في مدرسة - الآباء الكرمليين وقد أحب الادب واللغة ، وله مقالات كثيرة في مجلات العراق ولبنان وسورية ومصر وغيرها • وقد بقي دؤوبا في خدمة العربية وآدابها حتى توفاه الله عام ١٩٤٧م • ولتفصيل حياته راجع : (كوركيس عواد - الاب أنستاس ماري الكرمليني حياته ومؤلفاته - ص ٧-١١ بغداد عام ١٩٦٦م •

(١) مجلة لغة العرب - العدد الاول - ص ١ ، ٢ في أول تموز

عام ١٩١١م •

و (وكلوا من رزقه) و (..... الا على الله رزقها) ، (يأتيها رزقها رغدا) ،
(ان الله هو الرزاق) فلا يبعد من ان يكون هذا اللفظ مشتقا من لفظة
(روزه) الفارسية ومعناها - القوت اليومي - و (روزه) مأخوذة من
(روز) أي يوم • وان ما يكون اخره بالهاء في الفارسية يعرب بالقاف او
الجيم او الكاف بالعربية ، كجرموق ، وخذق • فأصلها (جرده) و
(خنده)^(١) • ثم استمع الى مناقشتها الحرة في مقالها تحت عنوان - أتجوز
الكتابة بالعامية - بقلم - رزوق عيسى - جاء فيه :- (لقد قامت اغلب
الجرائد والمجلات وكتبت الفصول الطوال ، لتتلافى بها الخطر المحقق
باللغة العربية وقد نطقت كل صحيفة بما خطر لها وعن ، وواجبت
التمسك به حسب ظنها • فبعضها قالت : يلزم ان نستأصل شأفة الكلمة
العامية والدخيلة ونستعمل عوضها كلمات لغوية فصيحة وكل
الجرائد والمجلات ارتأت رأيا وشارت الى امر اوجبت التمسك به والتعلق
بأذياله ولكنني اسمع من الآن قائلا يقول : اذا كنا لا نلتفت الى كلام
هذه الجريدة ، ولا نحفل بقول تلك الصحيفة فكيف العمل - يا رعاك
الله - ونحن في موقف حرج ؟ اجيب قائلا لي فكر ابدية اليوم لعلماء
اللغة واربابها فان وافق العقل والصواب ، فليحلوه محلّه ، ويعملوا به ،
والا فليضربوا به عرض الحائط • وهذا الرأي هو : ان يجمعوا كلمات
البلاد العربية العامية والدخيلة ويتقوا منها ما هو قريب من اللغة الفصحى
ويدخلوها في اللغة ويحسبونها كجزء منها • اما الكلمات التي هي عامية
العامية ودخيلة الدخيلة فلينبذوها بنذ النواة • • ورجائي الوطيد من لغويينا
الكرام ان ينتقدوا كل لفظة عامية أم دخيلة اذا ظهرت لهم غير صحيحة •
فاذا فعلوا ما نوهت به ، وما اخالهم الا فاعليه ، خدموا اللغة العربية اجل

(١) مجلة لغة العرب العدد السادس ص ٣٠٢ في أول كانون الاول

عام ١٩١١ •

خدمة^(١) • وقد كان لمقالاتها هذه الاثر الفعال في تحريك الجو الادبي الذي رانه الجمود فترة طويلة • فتحركت الاقلام في التعقيب على مقالاتها من ذلك ما جاء في عددها العاشر : (••• القول ان العربية كانت فصيحة في عصر من العصور ثم فسدت بمخالطة اهلها للاعاجم هو مذهب كثير من الاقدمين والمحدثين • اما نحن فلا نرى هذا الرأي • ولدينا ادلة بينة على أن اللغة العامية قديمة بقدّم اللغة الفصحى، وهي لغة قائمة برأيها • الا انه كلما طال الامد عليها زادت رطابه وفسادا والفاظا اعجمية وتصحيفا وتحريفا وابتعدت عن العامية الاولى^(٢) • وقد دافعت المجلة عن رأيها هذا بقوة استمع الى مقال تحت عنوان - الامثال العامية - في ديار العراق - جاء فيه :- (لغتنا الدارجة نسيلة اللغة العربية الا انها نسيلة لم تشبهاهما بل الظئر وبهذا فقدت جل محاسن اللغة العربية وقد اختصت لغتنا الدارجة بأوزان تغنى بها العوام وتمادح بها وتهاجى وتهجج بها في ساحة الكفاح كما يكون ذلك في القريض^(٣)) •

وقد عقدت الفصول الكثيرة لهذا الباب اسمه - الامثال العامية - وها نحن نجترىء مقتطفات منه :

(وكم برع بالنظم (بالعامية) رجال يضاهون ابا الطيب في قريضه ولو جمع الجيد مما نظم لكان سفرا غزير الفائدة ولكل واحد من هذه الاوزان اسم يُعرفُ به فمنها يسمونه (ابوذية) وهذا قد فاز من بينها بمجد الشهرة والانتشار ومنها ما يسمونه (العتابة - ومنها ما يسمونه المربّع) وغير ذلك ••• وسأبالغ في رسم المثل بما ينطق به العوام •

(اسمى بالحصاد ومنجلى مكسور)

- (١) مجلة لغة العرب العدد السادس ص ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١
 في أول اكانون الاول عام ١٩١١ م •
 (٢) لغة العرب العدد العاشر ص ٣٧٧ نيسان عام ١٩١٢ م •
 (٣) لغة العرب العدد العاشر ص ٣٧٧ نيسان عام ١٩١٢ م •

(••• تقول العامة : اسمه يفعل كذا ، واسمه بالشغل ، وتقصد احد المعنيين : اما انه لا ينفك مبالغاً ومجتهداً في فعل كذا واذا قصدت هذا فالاكثر ان تعقب ذلك بجملته تدل على حال الفاعل غب هذه المثابرة كما يقال اسمه يفعل كذا ومعناه يستفيد منه وقد لا يستفيد منه ومفاد التركيب على هذا انه من شدة الملازمة لهذا الفعل صار اسمه الذي يعرف به (يفعل كذا) او (بالفعل الفلاني) • ومن تبطن لعتنا العامة ومارس لهجاتها يعلم أن هذا المعنى غير مقصود هنا ••• بل يراد انه معدود في من يفعل هذا الفعل وان لم يثابر عليه وغالبا يستعمل في هذا المقام (اسمي) لا (اسمه) ومعنى (اسمي بالحصاد) ان لي اسماً في محل الحصاد اي اعد من الحاصدين والأشيع حيثُذ أن تعقب هذه الكلمة بجملته تدل على فقدان الفائدة الناشئة عن هذا الفعل كما ترى في هذا المثل فان (منجلى مكسور) كُتبي به عن عدم الفائدة وقد يقول بعضهم (اسمه بالحصاد ومنجله مكسور) يريد به المعنى الثاني الا انه يكون من غير الشائع يضرب لمن يشتهر في عمل ذي فائدة وهو لا يحصل عليها)^(١) •

والحق أن هذه المجلة اشبعت الموضوعات اللغوية درساً وتمحيصاً فكانت اشبه بالموسوعة الادبية واللغوية • استمع الى رزوق عيسى في مقال تحت عنوان - المنحوت العامي واللفظ الدخيل في لغة بغداد - جاء فيه :-
(ان التحت في العربية هو : عبارة عن جعل كلمتين كلمة واحدة وذلك بضم بعض حروف احدهما الى حروف الاخرى في الالفاظ • وقد ورد على السنة عوامنا الشيء الكثير من ذلك قولهم : (اشبيك) في اي شيء بك • و (منو) في من هو و (شنو) في اي شيء هو و (مجد) في ما احد و (اشبالك) في أي

(١) مجلة لغة العرب - العدد العاشر - ص ٣٧٩-٣٨١ نيسان عام

١٩١٢ م •

شيء عرا بالك و (اشحالك) في أي شيء جاء لك و (اشكان) في أي شيء كان و (اشبيها) في أي شيء بها و (ليش) في لأي شيء و (بيش) في باي شيء (١) .

ولم تقصر المجلة اهتمامها على العربية وادابها فقط بل تجاوزتها الى الكردية والاكرد و اخلاقهم ، وعاداتهم ، وامثالهم وكان يحزر هذا الباب الشاعر العراقي (شكري لفضلي) . جاء في مقال له تحت عنوان - الاكرد الحاليون - : (مذاهب الاكرد : اغلب الاكرد مسلمون وفيهم نصاري ويهود و اغلب المسلمين سنيون وما بقي منهم فعلى مذهب الشيعة) . ثم بعدها ينتقل الكاتب الى وصف مزاراتهم وطرق معالجة مرضاهم ، ويصف اعتقاداتهم بالجن . ثم ينتقل الى وصف ثياب المرأة وحلاها فيقول : - تلبس المرأة الكردية قميصا أو شعارا يسمونه بلسانهم (كراس) وتزرر فوقه الصدر من تحت ثديها وهي بلسانهم (سخمة) وبعضهم يقول (زخمة) وفوقها تلبس القباء وهو بلسانهم (أكوا) ثم يستطرد الكاتب الى وصف ثياب الرجل فيقول : - (. . . . اما الرجل الكردي فيلبس ثوبا أو قميصا أو شعارا وقد لا يلبس ويجعل فوقه قباء قصيرا اسمه عندهم (جوغه) وهو ينحدر الى عجزه ويتسرول بسرويل تعرف عندهم باسم (رنك) وكلاهما رقيق يحاك من الصوف العادي ويلبس فوق القباء رداء اسمه (يستك) وهو لباس يشبه العباء) (٢) .

وللكاتب مقالات متعددة في هذا الباب . ولا سيما في امثالهم جاء في مقال له تحت عنوان (الامثال العامية) (٣) ولا عجب اذا رأينا عند

(١) المصدر السابق - العدد السادس - ص ٢٥٥ كانون الاول عام ١٩١١ م .

(٢) مجلة لغة العرب العدد الخامس ص ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ في تشرين الثاني عام ١٩١٣ م .

(٣) هناك أمثال عديدة في اعدادها من شاء فليرجع اليها .

الاکراد مثل هذه الامثال فانها تكاد توجد عند جميع الاقوام وقد اردفنا كل مثل كردي بما يقابله عند العرب (١) .

والمباحث في هذه المجلة تكاد تنفرد بها ، فتجد فيها مقالات كثيرة في انتقاد المفردات اللغوية وتراكيبها وفي مصطلحات كانت تحققها . ويعود الفضل كله لصاحبها - الكرملی - يوم كانت المؤلفات العربية في اصطلاحات العلوم الحديثة واشباهها مفقودة ، لكن الكرملی في مجلته عالج كل هذه النواحي بأسلوب عربي فصیح ولغة سليمة بعيدة عن التراكيب الركيكة والالفاظ المتبدلة مما اعاد للغة الضاد حيوتها بعد سباتها الطويل وليس غريبا ان تقرظها المقتطف بقولها : (١٠٠٠ اذا استتب للقباضين على ازمة الادب ان ينوهوا بصحيفة من صحف هذه الارزاء لتكبتها عن التراكيب الركيكة واللفظ المتبدل وتحديدها الاساليب الفصيحة التي لا غبار عليها حتى ادركت اللغة بها حياة جديدة بعدما اوشكت ان تلفظ آخر انفسها بين عامة طبقات الامة عندنا . لا بل اذا تسنى لارباب النظر والنقد ان يرددوا في محافلهم ذكر ديوان عراقي يستشف من تضاعيف سطوره تدرج حيث في سلم الصحافة الحقبة ١٠٠٠ فأحر - بمجلة لغة العرب - التي تصدر في مدينة بغداد ١٠٠٠ الخ) (٢) وقد استمرت هذه المجلة بخدمتها الصادقة ، غير انها بعد أن اتمت سنتها الثالثة وصدر عددان من سنتها الرابعة اختفت عن الانظار عام ١٩١٤ أثر اعلان الحرب العالمية ، لان صاحبها - الكرملی - نفاه العثمانيون الى مدينة قيصري في الاناضول ، لاشادته بمفاخر اللغة ومحامدها والمطالبة باحياء اللغة العربية . وفي ذلك يقول الاستاذ كوركيس عواد : (نفاه العثمانيون ١٠٠٠ لانهم تضايقوا

(١) مجلة لغة العرب العدد التاسع ص ٢٦ الخامس من اذار عام

١٩١٤ م .

(٢) مجلة المقتطف المجلد الثالث والاربعون ص ١٧٦ عام ١٩١٣ م .

منه بسبب مناداته باللغة العربية والاشادة بمحامدها^(١) ثم أعيد الى بغداد
عام ١٩١٦م • وفي عام ١٩١٨م عاد فصدرها واستمرت في الصدور حتى
عام ١٩٣١م ثم اختفت عن الانظار نهائيا بعد ان جاهدت في سبيل اللغة
العربية جهادا يذكره لها ولصاحبها بمداد من الفخر والاعجاب أرباب
الاقلام ورجال اللغة والادب •

مجلة دار السلام

(١٩١٨م - ١٩٢١م)

كانت هذه المجلة في الاصل جريدة اسبوعية سياسية ادبية اجتماعية ،
اصدرتها القوات البريطانية في بغداد في الثالث والعشرين من حزيران عام
١٩١٨م ، لتخدم مصالح القوات المحتلة ، وتروج لسياستها • وقد كانت
نققاتها تصرف من اموال العراق • صدر من هذه الجريدة اربعة عشر
عددا ثم صارت تصدر بشكل مجلة - دار السلام - • برز العدد الاول
منها في السادس من تشرين الاول عام ١٩١٨م وقد حرر العدد الاول
المرحوم الاديب العراقي (الشيخ محمد رضا الشيبسي)^(٢) وشقيقه محمد
باقر ، وفي العدد الثاني أصبح رئيس تحريرها الاديب - انستاس ماري
الكرملي -^(٣) • وكان هؤلاء ومن يساعدهم من الكتاب يتقاضون أجورا

(١) كوركيس عواد - انستاس الكرملي - حياته ومؤلفاته - ص ٨
بغداد عام ١٩٦٦م •

(٢) شاعر وأديب عراقي مشهور ولد عام ١٨٨٨م وتوفي عام ١٩٦٥
وقد عهد اليه في الحكم الاهلي منصب وزير معارف عدة مرات وكانت اخر
وظيفة له قبل وفاته رئيس المجمع العلمي العراقي •

(٣) راجع : مجلة الحرية البغدادية ج ١٠ ص ٦٠٣ نيسان سنة

١٩٢٦م •

على ما ينشرونه على صفحاتها • وقد جاء في ترويسة هذه المجلة انها :
(وضيعة نصف شهرية تبحث في الادب والعلم والاجتماع والتاريخ وتعنى
بشؤون العراق خاصة) (١) •

ان هذه المجلة عبّرت عن لسان من انشأها غير انها اخفقت أول
الامر ولم تلاق الرواج وعزف عن قراءتها الناس ففطنت السلطات المحتلة
الى ذلك فخففت من لهجتها لتلاقي اقبالا من القراء وعمدت - كما هو
معروف عنها - الى حيلة هي انها فتحت صفحاتها لكثير من الكتاب العراقيين
من ذوي النزعة القومية منهم الشاعر كاظم الدجيلي والزهاوي ومحمد
مهدي البصير • وقد شرحت خطتها في عددها الاول المرقم (١٥) (٢) جاء فيه :-

(مجلة نصف شهرية تبحث في الادب والعلم والاجتماع والتاريخ وتعنى
بشؤون العراق خاصة متوخية في ابحاثها كل ما يهم طلبة العلوم وحملة
الاداب ، ناشرة في طياتها صحائف منسية من تاريخ العراق ، ممثلة
للعراقيين درجة اسلافهم في الحضارة ، مصورة الدركة التي وصلوا بها الآن
وهي فوق ذلك لا تألو جهدا في التصحح والارشاد • هذه غايتنا والله من
وراء القصد •

لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الى كل امرىء غير طائل (٣)

وكانت هذه المجلة تبني سياسة انكليزية صرفة منددة بسياسة
الاتراك • جاء في مقالها الافتتاحي تحت عنوان - اركان الدولة - :

(١) مجلة دار السلام العدد الاول في السادس من تشرين الاول عام
١٩١٨ م •

(٢) اعتبرت أعداد المجلة متممة لجريدة دار السلام التي انتهت
بالعدد ١٤ ، لذا يعتبر عددها المرقم - ١٥ - هو العدد الاول •

(٣) مجلة دار السلام العدد الاول ص ١ في ٦ تشرين الاول السنة
الاولى عام ١٩١٨ م •

(اركان الدولة اربعة : الدين ، والعدل ، والمشورة ، والمال ، ولا تقوم مملكة يعبت اولياؤها باحد هذه الاركان ، أو يرين على قلوبهم ما كانوا يكسبون من هوى أو جهل أو حمق فيعدلون عن منهج الصواب وعن التمسك بعراه الوثقى واحترام سننه الكبرى هذا ما قاله (باكون) كبير فلاسفة الانكليز . وهو كلام يتحقق كل التحقق في ما نراه حولنا . أخذ الاتراك يعشون بالدين الحنيف ، ويأتون الوان الظلم ويعدلون عن استثمارة كبار الدولة العقلاء ، ويدفعون نضارهم ودينارهم الى الامان ، فحل بهم البوار والشار واخذت البلاد تتداعى (١) ولعل مقال - ذكرى فتح بغداد من قبل الانكليز - يعطينا الصورة الكاملة لسياسة هذه المجلة واتجاهاتها . وقد جاء في هذا المقال : (في ١١ آذار من سنة ١٩١٧ يوم الاحد دخلت جنود بريطانيا العظمى بغداد . . . ليلة اوقد فيها الاتراك النيران ، في اعظم البنيان . . . ليلة تطاير فيها شظايا القنابر فقتلت وحرقت . . . ليلة افلت فيها الطورانيون . . . ضارين في الفلوات . . . هذا جزاء من يحقر الناطقين بالضاد . . . ليلة ما انتشق صياحها الا وتنفس الناس الصعداء ، وانتظروا قدوم المنقذين المصلحين المعمرين ، اصحاب العدل والقسط ، . . . اصحاب البر والاحسان . فأهلا بكم وسهلا يا ايها البريطانيان فبمثلكم ليفتخر الاسمان ، اذ جيلتم على كل حسنة ، وعلى كل مكرمة تشكر . فنحن لا ننساكم وان طال الامد ونحن نلهج بذكركم وان عشنا عمر لبد ، بل الى الابد فاهلا بكم وسهلا فلقد نزلتم على سعة وابقوا بجانبنا الى ان تقوم الساعة . . .) (٢) .

ولم تكلف المجلة في هذا بل كانت تنشر القصائد الطوال في مدح

(١) مجلة دار السلام العدد - ١٤ - في ١٣ تموز السنة الثانية

عام ١٩١٩م .

(٢) مجلة دار السلام العدد - ٥ - ص ١٧٧-١٧٨ في ٩ اذار السنة

الثانية عام ١٩١٩م .

البيت الهاشمي ولا سيما مدح الامير فيصل تمهيدا لما تريده في المستقبل •
استمع الى قصيدة الشاعر محمد مهدي البصير بعنوان - فيصل في عالم
الخيال - جاء فيها :

اعاد لنا السلم مجد العرب
فحيا الاله واحيا حلب
على اسس الصلح قامت لهم
عروش دعائمهن الطلب

سنبني غدا بيد المالكين
وان تنها اليوم هذى الخطب

سأضمن للعرب مستقبلا
يعيد على الشرق نجماً غرب

فصاح الجميع وقد صفقوا
ليحي الحسين ليحي العرب

ليحي الامير لنا فيصل
شريف النجار كريم النسب^(١)

وقد نشرت قصائد كثيرة على صفحاتها لتأييد سياسة المحتل على الاغلب
لشعراء كثيرين منهم كاظم الدجيلي ، وعبدالرحمن البناء ، و ابراهيم منيب •
هذا من الناحية السياسية ، اما من الناحية الثقافية ، فلها بحوث كثيرة في
اللغة والادب ، وكثيرا ما كانت تعقب على مقالات الصحف العربية • من
ذلك مقالها تحت عنوان (المقتطف واللغة العربية) جاء فيه :-

(١) مجلة دار السلام العدد - ٤ - ص ١٦٤ - ١٦٦ في ٢٣ شباط
السنة الثانية عام ١٩١٩ م •

(انا تقدر صاحبي مجلة المقتطف كما هما اهل لذلك ، ولا سيما
نعترف لهما بسعة اطلاعهما وتوفرهما على العلوم والفنون . . . ومما لا نسلم
به للعلامة يعقوب صروف . . . فتاويه في اللغة ، واغلاطه العربية التي
تقلت من قلمه . . . فقد قال مثلا في العدد الاخير ٥٤ : ٣٦٧ الحاشية ما نصه :
(والسدام جمع سديم كسنام جمع نسيم ، ولعل جمعه على سدم اولى .
ولكن الدكتور فان ديك اختار الجمع الاول فشاع استعماله . . .)

قلنا لم يرد في كتب القوم الفصحاء جمع سديم على سدم وقد خلت
معاجم اللغة من التصريح بجمعه . . . والحال ان الذي قرره النحاة في وزن
فعل وما يضاهيه ان يكسر على فعل ولهذا قالوا : قدال وقذل وعمود
وعمد وعليه يكون جمع سديم على سدم من الجموع المقيسة واما جمعه
على سدام كسنام جمع نسيم على ما قاله حضرته فلا يتبع ولو تناقلته جميع
الكتب الحديثة . . . واما قوله (ولكن الدكتور فان ديك اختار الجمع الاول
أي سدام فشاع استعماله) قلنا : لم نر انه شاع استعماله عند جميع
الكتّاب بل عند فريق منهم . . . الذين يكتبون نقلا عن غيرهم وليس لهم
وقت ليدققوا النظر فيما ينقلونه عن غيرهم . . . دع عنك ان الدكتور فان
ديك طيب اعجمي غريب عن اللغة ومن كان كذلك لا يحتاج بكلامه من
جهة صحة العربية . . . وكيف يمكن ان يحتاج بعربيته ولا يخلو كتاب
من مؤلفاته اغلاط جملة مخالفة لنصوص الأئمة (١) .

وقد جاء في مقال لها تحت عنوان (سكت الفا ونطق خلفا) ردت فيه
على مقال نشر في جريدة العرب بقلم نجيب الارمنازي السوري جاء فيه :-
(نشرنا في عدد ٢٣ شباط من هذه المجلة نبذة في شيوع اغلاط الكتاب

(١) مجلة دار السلام العدد - ١١ - ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ في
أول حزيران السنة الثانية عام ١٩١٩ م .

في رسم الكلم ، فاستحسنها جماعة من الادباء الا واحدا^(١) فانه اراد أن يظهر للناس فرط ذكائه فادرج مقاله - في مجلة لغة العرب - الصادرة في ٢٦ آذار ناقلا كلا منا وهو (ان ما كان مختوما بالالف ينسب اليه بقلب الألف واوا) فزاد عليه (نعني نجيب الارمنازي) : (وهذا خطأ لأنه لم يصرح أحد من النحاة به (كذا عرفه) كما قالت المجلة (لغة العرب) .

واول كل شيء هو اننا لما ذكرنا الامثلة استشهدنا بكلم وقعت الفها رابعة فصاعدا وهي هذه : (امريكا وفرنسا وسوريا) ولم نذكر مثل عصا ، ورها الواقعة الفهما بعد حرفين كما يشير اليه كلامه بعد ذلك (٢) استمرت هذه المجلة في الصدور غير انها صدرت عددها الرابع والعشرين واحتجبت فترة وجيزة ، ثم عادت ثانية واستأنفت الصدور بعد ذلك فلبثت تصدر مدة ثلاث سنوات ثم احتجبت نهائياً عام ١٩٢١ م .

مجلة النادي العلمي

(١٩١٩ م)

مجلة اصدرتها سلطات الاحتلال البريطانية في الموصل ، وقد عهد أمر ادارتها الى السيد (علي الجميل الموصلي) كما عهد أمر تحريرها الى لفيق من الكتّاب والادباء على نحو ما فعلته في بغداد مع مجلة دار السلام ، وجريدة العرب . صدر العدد الاول من هذه المجلة في الخامس عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩١٩م وقد جاء في ترويضها انها : مجلة علمية فنية ادبية اخلاقية تاريخية تصدر كل خمسة عشر يوماً مرة

(١) تقصد نجيب الارمنازي .

(٢) مجلة دار السلام العدد - ٦ - ص ٢١٨ في ٢٣ آذار السنة

الثانية عام ١٩١٩ م .

واحدة في الموصل) وقد شرحت في عددها الاول هدفها بقلم علي الجميل في مقال جاء فيه :-

(... اليكم ايها القراء الكرام والافاضل المحترمين : مجلة علمية فنية ادبية اخلاقية تروم كشف الحجاب لتظهر برداء عربي قشيب... وقد عاهدت نفسها من صميم فؤادها انها ستقضي حياتها في سبيل نشر العلوم والفنون والادب وتهذيب الاخلاق وخدمة المعارف... تريد هذه المجلة الصغيرة ان تحيا حياة سعيدة صافية من شوائب الزمان محفوظة من نوائب الاقدار فلذلك قد ضربت بينها وبين السياسة حجابا قويا...)^(١) .

انا تتفق مع المجلة في خطتها الا انا لا تتفق معها في قولها (قد ضربت بينها وبين السياسة حجابا قويا) فالتصفح لاعدادها يجد المجلة تسبح بحمد الانكليز ، والثناء عليهم ، فقد صورتهم اساطين حرية ، واصحاب عدل . استمع الى خطبة - عبدالغني - نقيب اشرف الموصل - والمنشورة على صفحاتها . وقد جاء فيها : (ايها الحضار الكرام : ان من دقق التاريخ غابرا وحاضرا يرى ان حكومة بريطانيا العظمى لم تدخل قطرا من الاقطار الا وتسعى بتربيته من الحضيض الى اوج العلا والكمال...) ثم يختتم خطبته بقوله : (ومن هنا اختتم كلامي... وارفع شكري الرائق لحكومة بريطانيا العظمى التي جعلتكم احرارا)^(٢) .

لست ادري ماذا يقال في هذه الخطبة ألم تكن من صلب السياسة ؟ والذي افهمه انهم ارادوا بالسياسة هي السياسة المعارضة لقوى الاحتلال تلك التي ضربت المجلة بينها وبين الناس حجابا اما السياسة الموالية للانجليز

(١) مجلة النادي العلمي العدد الاول في الخامس عشر من كانون الثاني عام ١٩١٩ م .
(٢) مجلة النادي العلمي العدد الاول ص ٨ و ٩ في ١٥ كانون الثاني عام ١٩١٩ م .

فلا يعتبرونها سياسة بالنسبة لعرف اصحاب المجلة . ثم بماذا نفسر الخطب
الكثيرة التي القاها الحاكم البريطاني العام في الموصل الكولونيل
- لجمن - ^(١) والمنشورة على صفحاتها - وقد جاء في احداها قوله :

(..... أحب أن أبين لكم فكري في خصوص فتح المجال الواسع
للفعاليات العقلية المتنوعة في هذه البلدة - الموصل - فأقول : ان
المحاولات والمجدلات الجارية في اماكن ينشأ عنها الانقسامات
العداية وقل ما يكون تسبب افتراق اصحابها) ^(٢) واخيرا بم نفسر
رد لدكتور داود الجليبي على خطاب - لجمن - السابق حيث يقول :-

(..... ايها الحاكم المحترم

بكمال الشرف ومزيد الاهتمام تتلقى من فمكم الكريم العبارات
الذهبية التي تفضلتم بها تشجيعا لنا دينا وذويه ولنا الامل باتباعنا ارشاداتكم
المصيبة والاستفادة من حمايتكم) ^(٣) .

هذا من الوجة السياسية ، اما النواحي الاخرى فقد عالجت قضايا
اجتماعية وبالاخص قضايا المرأة وتحررها ، من ذلك مقال تحت عنوان -
طال الرقاد فمتى الافاقة - ؟ بقلم فتاة دجلة جاء فيه : (..... الوالدة ليست
بمرضة أو طباحة أو خياطة فقط بل هي المربي الحقيقي وان آمال الرقي
والتهذيب للاطفال معلقة على الامهات . الشيخ قضى نجه والكهل مضى
وقته والمستقبل ينتظر الاطفال والآمال في ذلك معلقة على الوالدات اللاتي
يهذبن رجال الغد فان اردتم يا قوم نيل السعادة فاطلبوها من نسلكم

(١) حاكم بريطاني قتل في لواء الرمادي على يد (الشيخ ضاري) من
أحوال رئيس الجمهورية العراقية الحالي .

(٢) مجلة النادي العلمي - العدد الاول - ص ١٢ في ١٥ كانون
الثاني عام ١٩١٩ م .

(٣) مجلة النادي العلمي العدد الاول ص ١٢ في ١٥ كانون الثاني
عام ١٩١٩ م .

وانتظروها من امهات احفادكم فلا يقوم المجد الاعلى على مناكب الشبان
المهذبة ولا ينشأ هؤلاء الا من المدارس واحسن مدرسة هي مدرسة الام
في بيتها (٠٠٠) (١) • ثم انظر الى مقال تحت عنوان - الى فتاة دجلة - رداً
على المقال السابق جاء فيه : (الى تلك التي مزقت سجف العادات العتيقة
بسهم قلمها وداست بقدم حديدية التقاليد المعوجة المنتهية اليها على أجنحة
عصور الانحطاط أبعث بكلمتي هذه : أيتها الفتاة ! ••• لقد آن لقطرنا
العزير أن ينهض من تلك الكبوة التي أجهزت على حياته وأوصلته الى
شفا اللحد وذلك لاني درست على الفلاسفة الكبار وكتاب الاجتماع أن ما
من أمة أخذت الصعود في معراج العمران والفلاح الا وكانت تلك المخلوقة
اللطيفة ساعدها الايمن في نهضتها ورقبها (٠٠٠) (٢) •

صدر من هذه المجلة ثمانية أعداد ثم غابت عن الانظار •

(١) مجلة النادي العلمي العدد الثاني ص ٨ في ٣٠ كانون الثاني
عام ١٩١٩ م •
(٢) مجلة النادي العلمي العدد الخامس ص ٧٤ في ١٥ اذار عام
١٩١٩ م •

مجلة اللسان

(١٩١٩ م)

أمسكت سلطات الاحتلال البريطانية عن الاذن لابناء العراق باصدار صحف سياسية ير أن المجاهدين العراقيين من ذوي النزعة القومية وعلى رأسهم الصحفي المجاهد - أحمد عزة الاعظمي -^(١) استطاعوا بعد جهد ومشقة الحصول على امتياز مجلة تعينهم على بث الوعي القومي اسموها - اللسان - وقد اختار المرحوم أحمد عزة الاعظمي أن يكون صاحب المجلة - علي رضا - ، ومديرها المسؤول - انطوان لوقا - وهما من أخلص الناس للاعظمي . أما رئيس تحريرها فكان الاعظمي وان لم يذكر اسمه علنا في غلافها لان حكومة الاحتلال تخشاه لعقيدته القومية ونضاله المعروف . وقد صدر العدد الاول في تموز عام ١٩١٩م ورسم على غلافها وفي الصفحة الثالثة منها صورة لهرون الرشيد وتحتها بيتان من الشعر :

هذا زعيم بني العباس من سعدت

في عصره الكائنات العرب والعجم

هرون أيامه بالنور مشرقة

يا جندا خلتاه العلم والهمم

جاء في تروبيستها انها : (مجلة تاريخية اجتماعية علمية أدبية

(١) علم من أعلام العروبة والجهاد أوقف حياته في سبيل القضية العربية وصحفي مشهور أصدر مجلة (لسان العرب) في الاستانة ثم أصدر في بغداد مجلة (اللسان) دون أن تعرف القوات المحتلة أنه رئيس تحريرها توفي في بغداد عام ١٩٣٦م . من أشهر آثاره المطبوعة (القضية العربية) .

مصورة) لكنها في حقيقتها سياسية نادت بالدعوة للنهوض ومواصلة المطالبة بحقوق الامة في الحياة والمجد .

جاء في عددها الاول مقال تحت عنوان (أمل وبيان) يشرح خطتها :
(... ان من ينظر في أحوال المجتمع العراقي الاجتماعية والادبية ، ويفكر فيما آل اليه أمره لا بد وأن تضطرب حواسه ، ويضع صوابه كيف لا وقد أصابه في السنين الاخيرة أمراض كثيرة ينوء بحملها ، ضعف في الاخلاق ، خلل في النظام ، فساد في التربة ، فوضى في الاجتماع بعد ذلك الماضي المجيد الذي تفيض العين لذكره ... فغاية - اللسان - التي يرمي اليها هي ترتيب محاسن تلك المدنية التي لعبت بها يد الاهوال منذ قرون ، على مسامح أبناء العراق الاعزاء وتذكيرهم بما كان لامتهم من المكانة السامية بين الامم ، والمنزلة العليا من التمدن ، لنسمع ذلك الصوت الذي يخزق أحشاء الخمول ويمزق غياهب الجهل قائلاً :

فذكرتني نجداً وما كنت ناسياً ليالي قضيناها من العمر في نجد^(١)
وقد كانت هذه المجلة تنتهز كل فرصة أدبية لتحرك المشاعر وتهزها في سبيل دعوتها القومية العربية . فعندما نشرت مجلة (الهلال) سينية أحمد شوقي (الاندلسية) سطرته مجلة اللسان على صفحاتها وجعلتها افتتاحية لعددها - الحادي عشر - وعلقت عليها بما يلهب العواطف القومية تحت عنوان - الرحلة الى الاندلس -^(٢) لشاعر الامير وأمير الشعراء وقد جاء فيه : (لما وضعت الحرب أوزارها ، وفضحها الله بين خلقه وهتك أزارها ، ورم لهم ربوع السلم وجدد مزارها . أصبحت واذا العوادي

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص ١ ، ٢ في أتموز عام ١٩١٩ م .

(٢) عارض شوقي بسينيته هذه - سينية البحتري في وصف ايوان كسرى التي مطلعها :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

مقصرة ، والدواعي غير مقصرة • وإذا الشوق الى الاندلس أغلب ،
والنفس بحق زيارته أطلب • فقصدته ••• فبلغت النفس بمسراء الارب
وكحلت العين في ثراه بأثار العرب •••) ثم تأتي القصيدة بكاملها من
قوله :

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي
الى قوله :

وإذا فاتك التفات الى الما ضي فقد غاب عنك وجه التأسي^(١)

وقد أولت هذه المجلة اهتمامها بمشاهير العرب والاسلام فأفردت في كل
عدد فصلا سمته (عظماء العالم) استمع اليها وهي تحدثنا عن - هرون
الرشيد - حيث تقول :

(•••) وتاريخ العرب مع ازدهار رياضه الغناء وأريج وروده الغضة
قد شوهت محاسنه كثرة الاختلافات الناتجة من التحزبات الدينية • ودين
الاسلام ما أرسل الا لسعادة الخلق دنيا وآخرة ولكن أولي المطامع
والاغراض السياسية جعلوه آلة لتنفيذ مآربهم الشخصية فتراهم يضربون
على أوتاره كلما عنت لهم الحاجة وقد شكلوا الفرق السياسية باسم الدين •
وحاربوا اخوانهم وأبناء جلدتهم باسم الدين ، ومزقوا الجامعة العربية
باسم الدين ، والدين بريء من ذلك كله •••) ثم في وسط هذا المقال
صورة لهرون الرشيد مزينة بيئين :

هذا زعيم بني العباس من سعادت
في عصره الكائنات العرب والعجم

(١) مجلة اللسان العدد الحادي عشر ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ عام

٠ م ١٩١٩

هرون أيمنه بالنور مشرقة

يا حبذا خلتاه العلم والهمم^(١)

ثم تنتقل المجلة الى نسبه وصفاته والمقال طويل نكتفي بما أوردناه •
ونشرت المقالات الضافية في استنهاض الهمم من ذلك مقال تحت عنوان
- وظيفة الوطني - جاء فيه : (••• اندمج الافراد بعضهم ببعض وازدادت
الرابطة فيما بينهم وتوسعت دائرة العمل فوجدت المنافع المشتركة وتوحدت
الغاية وأثملت المهجة واحترمت العادة فترتب على كل واحد منهم وظائف
يجب عليه القيام بها والاخذ بناصرها والتمسك بأهدابها • تقسم الوظائف
الى ثلاثة أقسام : ١ - وظيفته ازاء نفسه ومعاصريه ٢ - وظيفته أمام أسلافه
وعاداتهم ، ٣ - وظيفته نحو لغته ، ٤ - وظيفة الوطني ازاء نفسه ومعاصريه :
يجب أن يكون الوطني انسانا كاملا عارفا ، عالي الهمة طموحا الى المتجد
بعيد النظر متشربا بالحرية صغيرا بين الاقربين كبيرا بين الابعدين •••
٢ - وظيفة الوطني أمام أسلافه وعاداتهم : ليس الوطني الاثمرة ببدرة
بذرت منذ أجيال عديدة وأزمان بعيدة ••• أينعت تلكم الثمرة وبرزت
الى الوجود في جسم ذلك الوطن بعد أن تعب الآباء في اسقائها من ماء
الحركة ، وكد الاجداد باروائها من روح العمل وصقلها بسليل النشاط
فبرزت تلكم البذرة وصارت جسماً مادياً وبرزت تلكم الارواح التي اعتنت
بتلك البذرة تحوم حول تلكم المادة وتطوف بجوانبه لتريه ما كان لاسلافه
من المآثر ولاجداده من الميزات كأنهم ليصرخن فيه قائلين ولنهوضه مرشدين
بقولهم : (أيها الوطني لقد علمتنا التجارب وأفهمنا الاختبار بأن حبل
الحياة قصير وزمن الاختبار لأقصر والوقت اللائق للحركة لأشد قصراً
والفرص قلما تأتي لطالبا) ، ٣ - وظيفة الوطني نحو لغته : يكفي
للباحث عن أمة من الامم أن يدرس لغتها وآدابها فقط • اذ هي المرآة

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص ٣-٥ عام ١٩١٩م

التي تنعكس عليها روح الامة ويرسم فيها جوهرها الحقيقي (١) •
وقد كانت المجلة شديدة الحرص على الاخلاق والتمسك بها وكثيرا ما
كانت تحت على ذلك في مقالاتها تحت بات اسمه - مدرسة اللسان فتارة
تحدث عن - الصدق والاستقامة - فتقول : (الصدق هو اظهار الحقيقة
مع عدم مراعاة الزمان والمكان • واظهار الحقيقة هو من باب التمتع
بالحقوق الشخصية والاقلاع عن الحاق الضرر بالآخرين أم حمل الغير
على الاضرار بهم فالتمتع بالحقوق الشخصية مع مراعاة حقوق الآخرين هو
عدل • فالعدل اذاً والصدق نسيان لا يفترقان وان افترقا فسوف يعتربهما
الفساد ولا عذر لمن يدعي العدل وهو كاذب) (٢) • وتارة أخرى تحدث
عن الشرف فتقول : (الشريف من يسعى جهده ليمنع أهواءه عن اغتصاب
حقوق غيره • هو من لا يفعل ولا يفكر أن يفعل المنكر وما تنهى عنه
الآداب • وهو لو فعل أو حاول أن يفعل ما هو مخيل بالشرف دون أن
يخرجه الى حيز الوجود فقد سقط عن عرش الشرف الرفيع العزيز •
وكثيرون هم الذين يرتدون برود شرف النفس عن قلوب كاذبة وأفكار
خائنة • فليت الخائن بائن • وليت حجاب الجهالة ممزق كل التمزيق) (٣)
أما العروبة وأمجادها والتغني بها فلا يكاد يخلو منها عدد من أعداد
المجلة • استمع الى مقال تحت عنوان - صحيفة منسية (العراق) :
(العراق وأريد منكم أبناء العراق مريض الاسود ، مرتع الغزلان ،
ديباجة التاريخ ، ملعب القرون الاولى ، مسرح القرون الوسطى ، مهد
حضارتها الماثورة ومدفن مدينتهما المطمورة • فسلام على تلك السهول
والحزون ••• اصغ أيها العراقي الى صعيد تسحب من فوقه ذيل اختيالك
اصغ اليه تسمعه يقول :

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ عام ١٩١٩ م •

(٢) مجلة اللسان العدد الثاني ص ٦١ عام ١٩١٩ م •

(٣) مجلة اللسان العدد الثاني ص ٦٠ عام ١٩١٩ م •

خفف الوطاء ما أظن أديم الا رض الا من هذه الاجساد

كل أولئك الاصوات تذكرك مجدا شاد الاسلاف بنيانه وقوض
الاخلاف أركانه تذكرك نفوسا كبيرة وقلوبا طاهرة • تذكرك عظيمة
الانسان والابهة التاريخية وجلالة الانسانية • تذكرك الاعتماد على النفس
والاحترام للرأي والتوخي لواقع العمل والحرية في القول •••• تذكرك
كل ذلك ثم تهمس في أذنك : على مثل هذه القوائم شاد آبؤكم صروح
مجدهم المؤئل وشرفهم الاقدس وفخارهم الاوحد فهل أتم على آثارهم
مقتدون^(١) • ثم استمع الى قصيدة - المجد العربي - للشاعر العراقي
محمد الهاشمي :

نقضت لك الايام عهداً اذ كنت للعافين سعدا
وملأت أقطار البلا د ببلادهم خيلا وجندا
تحمي حقيقتهم وتند فع عنهم الخصم الالدا
وتسوسهم بالعدل والا حسان أرفاداً وحمدا
والبر برك والبجا ر مطيعة جزراً ومداً
• • •

يا ابن الاعاظم لا تذ ل فقد كرمت أباً وجدا
آباؤك العرب الالى مدوا بضيع الشرق مدا
منهم أخو الحزم الرشيد ومنهم المأمون عدا
أو ما بكيت على أبي اسح ق حيث مضى وصدا
وهب الزمان لهم فخا رأ لا يطاول فاستردا
فانهض لتبلغ شأوهم واحفد الى الاقبال حفدا

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص ١٤-١٥ عام ١٩١٩م •

وازرع لنفسك ما تعز بزعره لتتال حصدا^(١)

ومجمل القول أن هذه المجلة عنيت بتراثنا الادبي ، ففيها كثير من المقالات التي تعرف القارىء بغابر أجدادنا ومن أشهرها مشاهير العرب و (صفحة من تاريخ العرب) ولذا تعتبر هذه المجلة من خيرة المجالات من حيث : لغتها ، واسلوبها ، واختيار موضوعاتها • وقد حرر فيها فطاحل كتّاب الصحافة والادب والشعر منهم المرحوم (طه الراوي) و (الزهاوي) و (محمد مهدي البصير) و (كاظم الدجيلي) و (عبدالرحمن البناء) و (رفايل بطي) و (داود صليوا) و (عيسى رزوق) وغيرهم • ولهذه المجلة الفصل في تهية الاذهان للثورة ضد الاحتلال فقد كانت ادارة هذه المجلة ندوة يلتقي فيها العاملون في النواحي السياسية والعائدون من الثورة العربية والراجعون من المنافي والسجون كما يقول رفايل بطي^(٢) • استمرت هذه المجلة في العمل الدائب ما يزيد على العام ، حتى حصلت الاحزاب السرية العراقية على امتياز لاصدار الصحف فغابت هذه المجلة رغم الانتشار الذي لاقته والاقبال المنقطع النظير الذي صادفته • وبذلك يسجل تاريخ الصحافة العراقية لها ولصاحبها المرحوم الاعظمي أنصع صفحة في خدمة الامة العربية وآمالها •

وقيل أن تنهي الكلام في هذا الموضوع ، لا بد لنا أن نشير اشارة مقتضبة الى بعض المجالات الاخرى التي ظهرت في فترات مختلفة خلال فترة البحث والتي كانت قصيرة الاجل • ولذلك ظهرت واحتفت ولم يعرف عنها الناس شيئاً ومنها ما يلي :

(١) مجلة اللسان العدد الاول ص ٢٣-٢٤ عام ١٩١٩م •

(٢) راجع : رفايل بطي - الصحافة في العراق - ص ٥٥

مجلة العلوم

(١٩١٠ م)

مجلة شهرية أنشأها في بغداد الصحفي - رزوق عيسى - صدر عددها الاول في مستهل تشرين الثاني من عام ١٩١٠ . جاء في ترويضها أنها : (مجلة علمية أدبية صحية تاريخية) . قرظها جماعة من الادباء منهم الكاتب الصحفي - داود صليوا - في العدد - السادس والستين - من جريدته صدى بابل جاء فيه :

(هي حبة خردل من العلم ، زرعا النحوي الاديب في روضة علوم العراق . فتمنى لها النماء ، فتصير أكبر بقله بين بقلات المجلات العلمية الادبية ، يقتطف من مواضيع علومها وفنونها أبناء الادب ثمارا ، وتطيب ذوقا ، وتلد طعما لجانيها ممن يعرف للعلوم قدرا وللاداب منزلة) .

وقرظها كذلك الشاعر العراقي - عبدالرحمن البناء - وأرخ ظهورها بقوله :

يا تائها بقدافد من جهله

والارض قد ضاقت عليه بذرعها

أقبل فان العدل نشر صحفه

فاقرأ بها تلق الرشاد بطبعها^(١)

وقد بينت خطتها في مقالها تحت عنوان - مسلك المجلة - جاء فيه :
(اتنا نرى بعض الجرائد والمجلات تتحامل على اولئك الذين لا يتعمون

(١) مجلة الحرية البغدادية ج ٦ ص ٣٥٨ كانون الاول عام ١٩٢٥ م .

بعمائم اصحابها ، وتشن الغارة على الذين لا يتزينون بازياهم ، وتطعن في مبادئهم ظلما وعدوانا وافككا واقتراء ونحن - فرارا من ان نحذو حذوهم ونعمل على شاكلتهم - عاهدنا الله والبشر معا على ان لا نتعامل على احد^(١)

ولما كان صاحب هذه المجلة - رزوق عيسى - يمقت المخاصمة والمهاترات الصحفية ، فكان يريد من الصحافة ان تكون الموجهة للشعب والمتقفة له ، كما انها يجب ان تكون منزهة عن الاغراض الشخصية ومترفعة عن الدنيا . جاء في مقال له تحت عنوان - الجرائد في بغداد - : (. . . ليس في وسع احد ان ينكر ما للجرائد والمجلات في عصرنا هذا - عصر النور والمدنية - من السلطات القوية على اذهان العامة . اذا كانت لهجتها صادقة وهي مترفعة عن الاغراض والدنيا ، واثباتا لقولنا نقتطف ما قاله المرحوم (جرجي نقولا) الكاتب الاجتماعي الشهير في الصحف والصحفيين : (. . . الصحف على اختلاف اغراضها وتباين نزعاتها وجدت لتكون مرشدا امينا للمرء في سبيل الحياة ، يبحث على كل عمل صالح ويندد بكل شيء طالح ، وواعظا . . . وناظرا يقطعا يراقب حركات القوم فيقوم اعوجاجها ، وخطيئا جريئا يناصر كل من ساء من عوائد المجتمع ، حربا عوانا وعالما حكيما يستقرىء عوامل الضعف في الامة فيتلافها)^(٢) . صدر عددان من هذه المجلة ثم احتجبت بارادة صاحبها ، لقلة الرواج الذي لاقته ولكساد السوق الادبية اذ ذاك .

(١) مجلة العلوم العدد الاول ، تشرين الثاني عام ١٩١٠ م

(٢) مجلة العلوم العدد الاول ، تشرين الثاني عام ١٩١٠ م

مجلة الحياة

(١٩١٢ م)

مجلة شهرية تبحث في السياسة والتاريخ والاجتماع مديرها المسؤول
سليمان الدخيل وصاحبها ابراهيم حلمي العمر وسليمان الدخيل صدر
عددها الاول في كانون الثاني عام ١٩١٢ ولم ينشر منها سوى اربعة اعداد
ثم لفظت انفسها .

مجلة سبيل الرشاد

(١٩١٢ م - ١٩١٣ م)

مجلة شهرية ادبية دينية علمية تاريخية صاحبها محمد رشيد الصفار
ظهر عددها الاول في ١٨ ايار عام ١٩١٢ واستمرت تنشر بصورة متقطعة
ثم اختفت عام ١٩١٣ .

مجلة الغرائب

(١٩١٣ م)

(مجلة فكاهية ذات روايات غرامية ادبية ، ووقائع تاريخية ، تصدر
في كل خمسة عشر يوما مرة) كما جاء في ترويضها . وقد ظهر عددها
الاول في شباط عام ١٩١٣ م نشر منها اثنا عشر عددا ومنها العدد الذي
تناول سيرة - ناظم باشا - بعنوان (المحاق في ترجمة ناظم باشا والي
العراق) ثم اختفت .

مجلة الرصافة

(١٩١٣ م)

مجلة شهرية دينية علمية ادبية تاريخية لصاحبها محمد صادق الاعرجي ظهر عددها الاول في التاسع من نيسان عام ١٩١٣م غير انها لم تصدر غيره ، واغلب ما جاء فيه منقولا عن كتب الاقدمين ثم اختفت .

مجلة مقتبسات

(١٩١٤ م)

مجلة شهرية تركية عربية ، تاريخية ، اخلاقية ادبية فنية فكاهية .
لصاحبها ومديرها (عيسى ديزه الي) برز عددها الاول في بغداد في مستهل شهر مايس من عام ١٩١٤م . وقد جاء في عددها هذا - مباحث تاريخية وتاريخ مدينة بغداد ، وتراجم الاحوال منها ترجمة الامام المعظم - نعمان ابن ثابت ابي حنيفة - وقد جاء ترجمته :-

لقد زان البلاد ومن عليها

امام المسلمين ابي حنيفة

بأثار وفقه في حديث

كآيات الزبور على الصحيفة

فما إن بالعراق له نظير

ولا بالمشريقين ولا بكوفة

كما جاء في العدد نفسه العبر ومحاورة حكيمية وقد اتخذت من

قصيدة السيد محي الدين عبدة وعظة والتي مطلعها :

لكل شيء اذا ما تم نقصان فلا يغير بطيب العيش انسان
وكان هذا العدد ، الاول والاخير وبهذا احتجبت ولم يعرف عنها
الناس شيئاً •

مجلة النور

(١٩١٤ م)

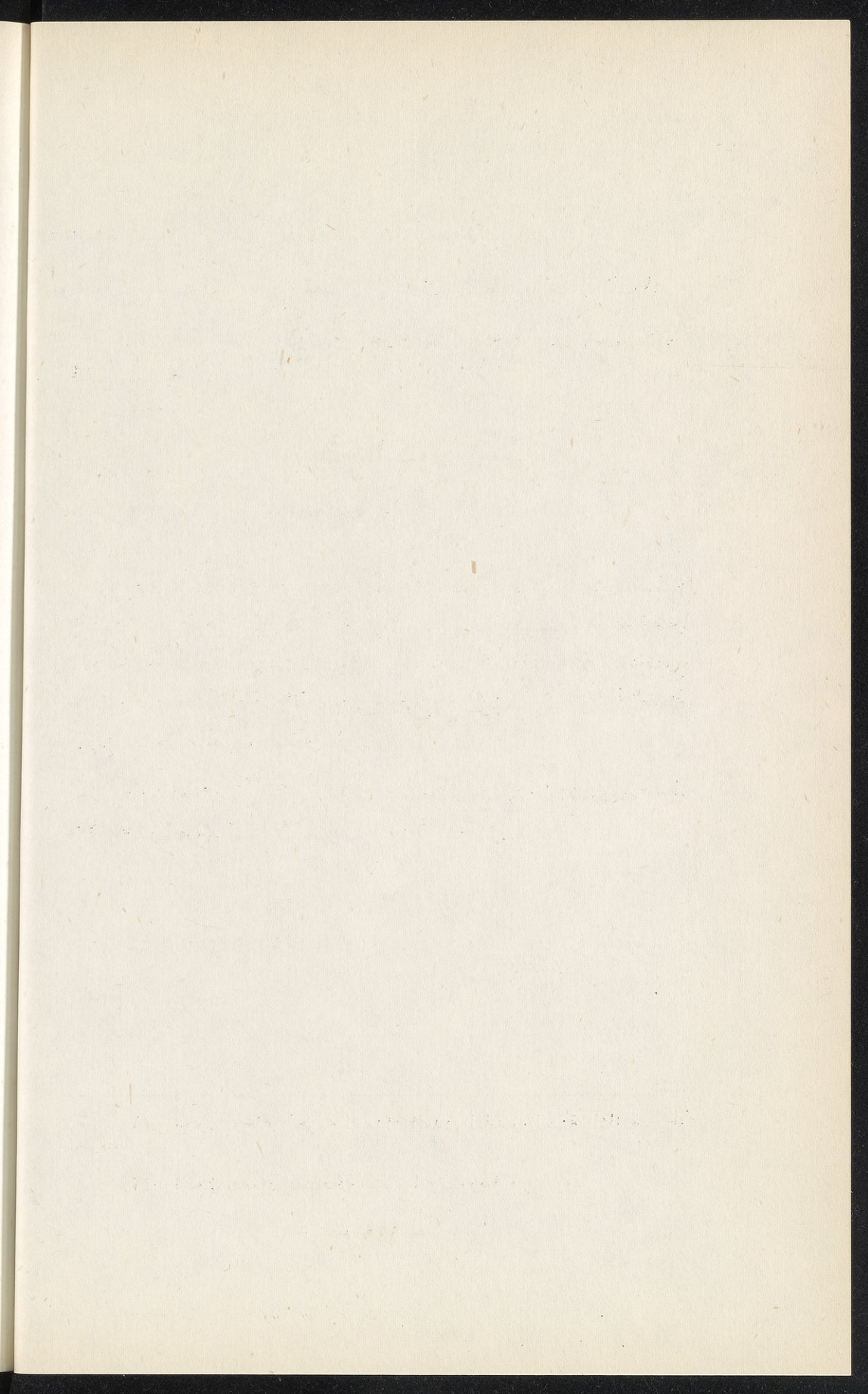
مجلة علمية ادبية تاريخية ، اجتماعية تصدر مرة في الشهر ، لمنشئها
(السيد محي الدين فيض الله الكيلاني) ومدير شؤونها (عبد الجبار
سعد الله) • صدر عددها الاول في تموز من عام ١٩١٤ م • مجموع
ما صدر من هذه المجلة ثلاثة اعداد • وزع اثنان منهما اما الثالث فلم
يوزع لنشوب الحرب العالمية الاولى •

هذه المجلات^(١) التي استعرضناها تعطينا الصورة الواضحة ، ان
اكثرها كان قصير العمر لاسباب ذكرناها^(٢) من قبل •

(١) راجع : مجلة الحرية البغداد العدد التاسع السنة الثانية عام

١٩٢٦ م •

(٢) راجع : فصل الصحافة نشأتها وتطورها •



الفصل الخامس
(أهم كتاب الصحافة)

(أهم كتاب الصحافة)

قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ان كتاب الصحافة في العراق انصرفوا في كتاباتهم الى نوع من التخصص في الكتابة كأن يكون الكاتب سياسيا او ادبيا او اجتماعيا وهكذا . غير ان الكتاب الذين مارسوا الصحافة في العراق في فترة البحث لم يكونوا على هذه الشاكلة . فالكتاب يجمع بين مختلف هذه الفنون الكتابية وفق ما تمليه الظروف . فاذا تحدث كاتب ما عن الاصلاح الاجتماعي سارع جميع الكتاب الى الخوض في هذا الموضوع ، واذا تحدث كاتب آخر عن الاتجاه الوطني تهافت الكتاب على هذا الموضوع وهكذا . حتى ان الشعراء كانوا كتابا اجتماعيين وكتاب مقالة سياسية . فالشاعر خيرى الهنداوي ، ومعروف الرصافي ، والزهاوي ، وكثيرون غيرهم كانوا يذيعون اشعارهم في الصحف ، وكانوا على الاكثر كتاب صحافة ، وشعراء في نفس الوقت . يقول رفائيل بطي :- (لم يكن يقدم على الكتابة في الصحف في الفترة التي نبحت عنها حملة العلوم الدينية واشياخ التدريس والفقهاء . اذ ان الكثيرين منهم كانوا يرون الكتابة في الجرائد السيارة مزريا بصاحبها وبعضهم يعتقد ان هذه الصحف لا تنشر الا الأكاذيب . فهم يربأون بانفسهم ان يساهموا في التحرير فيها)^(١) . اضافة الى ما تقدم ان اكثر كتاب الصحافة لم يتفرغوا لكتاباتهم لانهم كانوا هم اصحابها، والمصححين، والمصنفين وحتى موزعين في أكثر الاحيان . فهم اشبه بصاحب جريدة المؤيد - الشيخ علي يوسف - .

قال الكاتب الصحفي العراقي ابراهيم صالح شكر : (يرحمك الله يا علي يوسف . فقد اصدرت المؤيد في عهد الظلمة في مصر فكنت كاتبها

(١) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٣٥

و كنت موزعها . . . وهكذا كنت الى ان اصبحت المؤيد اكبر جريدة في مصر . . . انني الان ماض على اسلوبك في المؤيد اصدر الزمان واكتب فصولها وحتى محلياتها . . . فانا اطبع الزمان بالسدن واشتري الورق وليس لي ادارة الا اذا كانت المقاهي والفنادق هي الادارة التي اكتب فيها الزمان ومع كل هذا فانا غير آسف وانما معتبط بهذا العمل (١) .

غير ان الصحافة وكتابها في العراق اذا ما قورنت بالصحف المصرية واللبنانية والسورية في هذه الفترة لم تكن لتقاس بزميلاتها لاسباب عديدة منها :-

١ - ان الصحافة العراقية الشعبية في مختلف ادوارها ، قامت على اکتاف الفرد فبأمكان اي فرد يملك ثمن الورق والطبع ان يصدر جريدة . يقول المؤرخ العراقي عباس العزاوي : (ظهرت في العراق عدة جرائد ومجلات حتى بلغت الاشباع فصار يتولى التحرير فيها اي شخص ، ولا يتحاشى في اصدار جريدة) (٢) .

٢ - اهمال السلطات الحاكمة للصحافة وكتابها وفوق ذلك جردت سيفها - قانون المطبوعات - على رقابها ورقاب كتابها فطاردتهم .

٣ - الظروف المادية التي واجهت اصحاب الصحف مما جعلتهم عاجزين عن أن يدفعوا اجورا للكتاب (فنجد الواحد منهم - اصحاب الصحف - يجمع في شخصه بين المالك للجريدة ورئيس التحرير والمخبر ومدير الادارة وقد يكون الموزع أيضاً) (٣) كما قلنا سابقاً . وفي ذلك الوقت برزت في البلاد العربية صحافة محترمة وكتاب مهرة ، ينما بقي

(١) جريدة الزمان البغدادية عدد ٢٣ في ٢١ تشرين الاول سنة

١٩٢٧ .

(٢) عباس العزاوي - العراق بين احتلالين - ج ٨ ص ١٦٩

(٣) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٣٥

العراق يتوكل على صحافة رسمية تنطق وفق رغبة الاسر الحاكمة^(١) واهواء كتابها المتضاربة . وفي هذا الفصل سنشرح بايجاز اهم كتاب الصحافة في فترة البحث .

الكاتب الصحفي - داود صليوا

(١٨٥٢م - ١٩٢١م)

هو احد كتاب الصحافة المعروفين ، ولد بالموصل عام ١٨٥٢م في اسرة فقيرة الحال . لكن فقر اهله لم يمنعه من الدرس والتحصيل فقد ارسله ابوه (يوحنا شماس) وهو في الرابعة من عمره ليتعلم في احدى مدارس الموصل . و كان مدة بقائه في المدرسة كلها بالقراءة كثير التردد على معلميه في اوقات فراغه للاستفادة من معارفهم وعلومهم . وقد تخرج في المدرسة الابتدائية في الموصل وقد بلغ سنه العاشرة . فعكف بعد ذلك على كتب العربية وادابها يدرسها لنفسه متصلا بالمرحوم (يوسف باش عالم) ليشرح له نواامضها مستفيدا من فيض علمه وادبه حتى استوت ثقافته مما اهله ان تناط به ادارة المدرسة التي كان يدرس فيها سابقا (الكلدانية البطريركية) . وبعد فترة انتقل الى بغداد وقد تقلد فيها عدة وظائف تعليمية الا ان نفسه ابت السكوت على مظالم العثمانيين وبالاخص (حزب الاتحاد والترقي) ، وما اصيب به العراق من ظلم وجبروت فأضطر الى اصدار جريدته (صدى بابل) عام ١٩٠٩م شاهرا يراعه منددا بالظلم ، مطالبا بحرية العرب عامة والعراقيين خاصة، واحياء تراثهم وولعتهم العربية التي اصابها الجمود في هذه الفترة . وقد عرف عنه (رحمه

(١) راجع : عبدالقادر حسين أمين - القصص في الادب العراقي الحديث - ص ٥٥-١٥ بغداد سنة ١٩٥٦م .

الله) انه كان ابي النفس لا تأخذه في الحق لومة لائم مما حدا ببعض الصحفيين الى ان يهاجموه لصراحتة بالحق ، وجهره بالعدل منهم (جبران مسوح) صاحب جريدة (الاخاء الحموية)^(١) الذي هاجمه هجوما عنيفا وقد انبرى له تلميذه - رزوق عيسى - ودافع عن استاذة - داود صليوا - بمقالة نشرت في صدى بابل عنوانها (من غربل الناس نخلوه) • وكان المترجم في اكثر كتاباته يميل الى الدعاية والفكاهة تظهر فيها ظرافته وحلاوة حديثه • يروي انه ارسل ذات مرة الى ادارة (مجلة الضياء) لصاحبها (ابراهيم اليازجي) هذين البيتين :-

تالله ما امن العثار ولو مشى

رجل يجد الارض في الظلماء

لكن على رغم دعتنا حاجة

نسري لضيق الحال دون ضياء

فارسل اليه صاحب الضياء كل الاجزاء التي صدرت في الستين الاولى والثانية ووعدته بانه سيواصله ما يصدر من الاجزاء ما دام الضياء ينشر في الآفاق • وقد فعل مثل هذا مع المرحوم (جرجي زيدان) صاحب الهلال المصرية • فقد ارسل الى ادارة الهلال بهذين البيتين :-

لله ما احلى الهلال وضوؤه

فيه ترى آي الكمال مثله

كم لي احاول في اجتلائي نوره

لكن عين الحال في كليله

وقد اجابه جرجي زيدان : (ارسل ٢٥ فرنكا تصل اليك اجزاء

(١) راجع : رزوق عيسى - مجلة النجم الموصلية - السنة السادسة

ص ٣٤٩ سنة ١٩٣٤ •

المجلة منتظمة) فاجابه (داود صليوا) بأرسال هذين البيتين :-

لقد ابتغيت من الهلال تنورا
فتقلصت عني اشعة ضوئه

فكأنني يوم الخسوف قصدته
فرايتني كالمستظل بفيئه (١)

وقد جمع الكاتب بين السياسة والشعر فقد كان شاعرا يهجو من
وجب هجاؤه ويمدح من استحق مدحه فقد مدح الوالي (ناظم باشا)
الملقب (بمدحت الثاني) لما قام به من اعمال في بغداد بقصيدة عنوانها
(حين المشتاق الى لقاء وزير العراق) جاء فيها :

يا حادي العيس عج بي بالحمى وسل
عن قاتلي نبال اللحظ لا الاسل
فرحت اشكو مصابا منه واعجبي
في مقتلته تدونا آية الاجل

★ ★ ★

وقد صبرت على كيد العداة بما
جاروا وشنوا علينا غارة العذل
وزادني جورهم يا صاح مؤلمة
فكدت أصلى بنار الغدر والغيل
حتى بدا في مجيا الافق ناظمه
كطالع السعد في الاصلاح والعمل

(١) رزوق عيسى - مجلة النجم الموصلية - السنة السادسة ص ٣٥٠

قد جاء بالعدل والدستور وجهته
اكرم به من ولي فآز بالجليل

★ ★ ★

اليوم بغداد في فخر بما كسبت
فيها تجارتها بالعز والجليل

قرت بكم مقل الزوراء وابتهجت
وجيدها فيك اضحي حالي العطل (١)

اما نشره الصحفي : فقد كان فيه مقلدا للماضين من حيث الفاظه ،
واسلوبه مكثرًا من الاستشهاد بالامثال والحكم ، مرصعا اياه بالشعر مما
كان له الاثر الحسن في نفوس القراء . اسمعه يقول في الجرائد واثرها :
(لا يخفى ما للجرائد في الجامعة الانسانية من مكان ، وما يتوقف
عليها من اصلاح شؤونها في حالتها ، المدنية والسياسية ، سيما في هذا
العصر . . . وهي المهيع لتعرف الاقوام بعضهم بعض على بعد المسافة
وشط المزار وشد عرى الوثاق بين البلاد والامصار وهي العامل في تأليف
القلوب وتنافرها بين المحب والمحبوب وهي المحرك الاول الى الارتقاء في
سلم النجاح والمنادي حي على الفلاح) (٢) وقد تصدت له ذات مرة
جريدة (الزهور البغدادية) (٣) متحاملة عليه لأن الكاتب - داود - مدح
(جبرائيل اصفر) احد ائمة المذهب النصراني . لما امتاز به الاخير من
كرم واغائة الملهوفين فقد اوقف من مثاله وهو حي اربعين ليرة لتورع

(١) جريدة صدى بابل العدد ٣٧ في ١٦ نيسان ١٩١٠م

(٢) مجلة النجم السنة السادسة ص ٣٥١ عام ١٩٣٤م

(٣) ظهر عددها الاول في الرابع من تشرين الثاني سنة ١٩٠٩م

أصدرها نسيم يوسف ورشيد الصفار . راجع : تاريخ الصحافة العراقية
لعبدالرزاق الحسيني ج ١ ص ٤٩ .

على الفقراء وقد رد - داود - على جريدة الزهور بمقال عنوانه (صاحب البيت ادري بالذي فيه) جاء فيه :-

(لقد وقفنا على ما تصدت لنا به رصيفتنا جريدة الزهور ٠٠٠ وانما كنا لم نعبأ بتعرضها ولا نكثر لمعارضتها ولن نحفل بكلامها سواء مدحت أو قدحت ، اثنت أو هجت ، أطرت أو وترت رضيت أو عدلت الخ ٠٠ الى ما شاء الله فقلنا لا بأس ولا اثريب لان كل اناء بالذي فيه ينضح ٠٠ سيما واننا لا نؤثر ان نصرف الوقت ونشغل اعمدة صحيفتنا بالاجابة ٠٠٠ لان رضاء الناس لناحية لا تدرك ٠٠٠ واننا نخشى السباب لما فيه من العار والشنار وما اجمل ما يقال في هذا الباب (اني لا ادخل في حرب يكون فيه الغالب شرا من المغلوب) متمثلا بقول النابغة :-

وعيرتني بنو ذبيان خشيتيه وهل عليّ بأن اخشاه من عار^(١)

وقد كافح هذا الكاتب في العهد العثماني ، وصارح الولاية في كل ما يعملون ويقولون على صفحات جريدته بجرأة لا حدود لها . متغنيا بحرية ابناء قومه المسلوبة ، وبلغتهم المنسية مما حدا به ان يصرح على صفحات جريدته مخاطبا الأتراك (ان الحكومة التركية ان اصرت على استعمال اللغة التركية في الدوائر الرسمية فانها تقيم قائمة اولاد العرب عليها)^(٢) وقد كلفته هذه الجرأة ثمناً غالياً ، اذ سجن عدة مرات .

وبعد نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤م نفته السلطات العثمانية الى القيصرية بأمر جاويد باشا والي بغداد في العام نفسه لانه مدح السيد طالب باشا النقيب ، ذلك السياسي الذي ناصب الأتراك العداء وكان من اكبر خصومهم ، بقصيدة جاء فيها :-

(١) جريدة صدى بابل العدد ٣٩ في ٣٠ نيسان ١٩١٠م

(٢) راجع : جريدة صدى بابل العدد ١٧ السنة الاولى ١٩٠٩م

بلغت ذرى المجد الذي أنت راغب
ونيلت مقاما في العلى انت طالب
تولعت في نيل المعالي ومجدها
من المهدي طفلا قبل ان طرّ شارب
وحتمها بهذين البيتين :

فارمق بفضل من معاليك تحفة
اليك صدى التاريخ زف الغرائب
فجاءت بيوم العرض تلثم كفكم
فنالت بعز من رضاك الرغائب (١)

وقد فقد في هذا المنفى احدى باصريته ، الا ان السلطات العثمانية
اطلقت سراحه . وقد ظل مكافحا بقلمه وادبه لالى ان توفاه الله عام ١٩٢١
بعد ما ادى الالمانية لوطن رعاه صغيرا واحتضنه كبيرا .

(١) مجلة الغرائب - العدد الاول - شباط عام ١٩١٣م

الكاتب الصحفي - فهمي عبدالرحمن المدرس

(١٨٧٣م - ١٩٤٤م)

ولد الكاتب في ظروف سياسية مضطربة ، واهواء متباينة عاشها العراق في ظل حكم عثماني كادت تنعدم فيه كل القيم الانسانية ، في هذه الاحوال نشأ هذا الفتى وفي نفسه ميل الى العلم والادب والى المدرس والمطالعة ، فانكب على القرآن الكريم يحفظه وعلى الحديث النبوي الشريف ييرتشف منه العظات والعبر ، وعلى الادب العربي القديم ينهل منه تاريخ الاجداد والاباء . ولم يكتف بهذا النوع من الدراسة وانما درس الكثير عن ثقافات الامم الاخرى كالامة التركية والفارسية وقد اهلته ثقافته هذه وتضلعه في العلوم الى الاشراف على مطبعة الولاية في بغداد ايام الحكم العثماني ولما يتجاوز العشرين من عمره ، ثم الاشراف على جريدة (الزوراء) التي كان الا يقوم بها الا نبغاء الاعلام وفضاحل الادباء . كما تصدر للتدريس في عدة كليات في الاستانة قبيل اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م فقد تولى تدريس الادب العربي في جامعة الاستانة ، ثم تدريس (حكمة التشريع الاسلامي) في مدرسة (ملكية شاهاني) . يقول العمري : (تأثر - فهمي المدرس - بحكم ثقافته الاسلامية بالدعوة الى الاصلاح الديني التي يذر بذورها جمال الدين الافغاني)^(١) وقد ناله من الاستبداد الحميدي ما ناله غيره من الاحرار . فقد نفى الى جزيرة - رودس - وبقي هناك لفترة من الزمن ، ولما وقع الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨م كان من اوائل المناصرين له . (. . . وعلى ضوء هذه

(١) مجلة الاقلام ج ٤ ص ٧٧ السنة الاولى في كانون الاول سنة

١٩٦٤م .

الحقيقة يمكننا ان نفسر موقف فهمي من تأييد الانقلاب الدستوري العثماني بحماسة ... فقد جرد قلمه البليغ للدفاع عنه بمقالات ضافية وخطب رنانة^(١) وقد ظل ذائب الخدمة في الاستانة بعد اعلان الدستور يدرس في جامعاتها . وفي اواخر عام ١٩٢٠م عندما لاحت في الافق بوادر تأسيس حكم اهلي في العراق عاد الى وطنه مع من عاد من العراقيين تحذوهم الرغبة الى خدمة هذا الوطن . وفي عام ١٩٢١م عين رئيساً للامناء في البلاط الملكي العراقي ، الا ان الانكليز رأوا في بقائه بمنصبه هذا خطراً يهدد سياستهم ، لما يمتاز به من وطنية واخلاص لوطنه فاحتلقوا له المبررات التيحتجته فتم لهم ذلك اثر حادثة وقعت في ٢٣ آب من عام ١٩٢٢م حيث قامت مظاهرات صاحبة نظمها الحزبان (الوطني) و (النهضة) بمناسبة مرور عام على تتويج الملك فيصل الاول الا ان المظاهرات انقلبت الى المطالبة بالغاء الانتداب واقالة الوزارة . فكانت الخطب تلقي منددة بالانتداب وبينما كان الخطباء يخطبون اذ قدم المندوب البريطاني (السير برسي كوكس) الى البلاط لينهى الملك ، واذا بالهتافات تتعالى ضد السياسة البريطانية :- (لتسقط بريطانية) (ليسقط الاستعمار) . الا ان المندوب البريطاني ما كاد يعود - مستغلاً هذه الهتافات للايقاع بالمدرس - الى مكتبه حتى ارسل احتجاجاً الى الملك يطلب فيها اقالة (فهمي المدرس) ، واعتباره مسؤولاً عما لحقه من اهانة فسارع الملك ليحصل الى تلبية طلبه والاعتذار عما وقع . وقد حدثني الدكتور (محمد مهدي البصير) وهو احد خطباء هذه المظاهرات قائلاً:

(بينما كنت اخطب في الجماهير اذا بالمندوب البريطاني ايشق طريقه الى الملك ليقدم له التهناني فما كان من احد العوام وهو (حسون ابو الجين) ان هتف في الجماهير (لتسقط بريطانية) (ليسقط الاستعمار) فرددت الجماهير هذه الهتافات) . والغريب في الامر ان الكاتب المعروف (امين

(١) المصدر السابق .

الريحاني) يذكر في كتابه (ملوك العرب) ص ٢٧٠ رواية اخرى فيقول :- (جاء صباح اليوم الثالث والعشرين من شهر آب سنة ١٩٢٢م وفد الحزبين - الوطني العراقي وحزب النهضة العراقية - وهو يوم ذكرى تتويج الملك • فأمر جلالتة رئيس الامناء - فهمي - لينوب عنه • فخطب في الجمع خطيب الحزب الوطني العراقي الشاعر العراقي الضريير - الشيخ مهدي البصير - فهدى في رئيس الامناء الشجون فانتصب خطيبا وحق له الكلام اذا كان الملك انا به وحق له ايضا ان يبرهن على حماسة فيه انسته انه موظف في البلاط ••• وقد اتفق انه بينما كان رئيس الامناء يخطب ضد الانتداب اقبل المندوب السامي السير (برسي كوكس) ورجال الوكالة البريطانية لاداء التبريك فاستقبلهم بالجمع صارخا : (ليسقط الانتداب) (ليسقط الانكليز) ثم دخل على الملك وهناك بعيدة الاول ثم اجتمع بعدئذ به فدار بينهما حديث كانت نتيجته عزل رئيس الامناء (١) • وقد اكد لي الدكتور (محمد مهدي البصير) شاعر الحفل المذكور افتتاحا هذه الرواية من اساسها والذي يبدو لي ان الريحاني اراد ان يبرر موقف الملك فيصل في عزل فهمي المدرس سيما وان الريحاني كان ضيف الملك وكان عليه ان يكتب وفق اهوائه وورغباته • على كل عزل الرجل من منصبه ثم عين بعد ذلك امينا لجامعة آل البيت عام ١٩٢٤م • وقد عمل المدرس جاهدا على ان تكون هذه الجامعة النواة الاولى (لجامعة عراقية عصرية ولكن المشروع لقي معارضة ساطع الحصري • ودار بين الرجلين جدل عنيف) (٢) وانتهى الامر بالغاء نوري السعيد جامعة آل البيت عام

(١) أمين الريحاني - ملوك العرب - ط ٢ ج ٢ ص ٢٧٠-٢٧١ بيروت سنة ١٩٢٩م •

(٢) مجلة الاقلام العراقية ج ٤ ص ٨٠ السنة الاولى بغداد في كانون الاول سنة ١٩٤٦م •

١٩٣٠ بحجة ضيق الميزانية • ثم بعد هذا تقلد فهمي مديرية المعارف العامة ومكث فيها مدة ثم استقال متجها الى اميدان السياسة ليعخدم وطنه عن طريقها بعد ان حورب عن طريق الوظيفة • فأنضم الى الحزب (الوطني) الذي تزعمه (جعفر ابو التمن) فراح يكتب في جريدة الاخاء الوطني ، والبلاد ، والاخبار المقالات السياسية التي تحمل على المسؤولين تهاونهم في حق الوطن والاستهانة بمقدرات الشعب بتواضع مستعارة تارة (بالكاتب العراقي الكبير) واخرى باسم (عراقي) وثالثة (ابو حارث) بأسلوب كتابي آخاذ يجمع فيه بين النقد اللاذع والتهمك المير حين يستعرض المواقف السياسية من ذلك قوله متهمكا (اذا اردت ان تعرف كيف يوضع الشيء في غير محله فاجل طرفك في دواوين الحكومة وانظر الى المناصب فينما تسمع اثنين المرضى يملأ الفضاء وليس هناك من يواسيهم بجس النبض او بجرعة من الدواء • اذ ترى الاطباء قد انتقلوا من مكان الاختصاص الى مقاعد لا علاقة لها بالصحة وترى الاستاذ المختص بعلم التربية يرأس كلية الحقوق)^(١) • وقد اعتصم الكاتب بعقيدته القومية اعتصام مؤمن لا يساوره الشك في كل ما قاله او دعا اليه ، فلم تزغعه مغريات السياسة ، ولم يغره بما آمن به تلويح بمنصب او جاه عاش لعقيدته وواخلص لها غير هيتاب من سجن او نفي وتشريد • وقد ساهم المدرس في النهضة الفكرية والسياسية • ويروعك من اسلوبه حذقه في اقتباس آيات القرآن الكريم في اواخر فقره ، وهو يكاد ينفرد بما في هذا الامر من روعة • اسمعه مخاطبا المسؤولين فيما ارتكبه من جرم في حق هذا الشعب • (...) كان حتما علينا في هذا الموقف الرهيب ... ان نسجل على المسؤولين ما نبرأ به الى الله من تبعة النطف التي ما فتئت تخرج من بين الصلب والترائب حتى

(١) مقالات المدرس ج ٢ ص ١٧٥ بغداد سنة ١٩٣١م (يشير بهذا الى تعيين سامي شوكت وهو طبيب مديرا للمعارف والى ساطع الحصري مديرا لمدرسة الحقوق) •

جعلوها تستعبد وتنوء بالسلاسل والأغلال (١) • وحينما يتحدث عن
ابطال المعاهدات فانه يرسم لهم صورةا تستهوي السامعين بما تنطوي عليها
من سخرية ظاهرة ، واستهزاء بأسلوب شائق وعرض جذاب • قال
متحدثا عن جعفر العسكري :- (••• يعلم الناس ، والعالم اجمع ان
فخامته بطل المعاهدات فكلما تقدمت دار الاعتماد البريطاني بمعاهدة
تحركت اسلاك البرق وحضر على جناح السرعة ، وبعد الابرام عاد الى
السفارة المحفوظة له في لندن) (٢) •

فالمترجم يقرر ان العراق سيقى مزرعة للاستعمار ما دامت الامور
لم تسند الى اصحابها • قال :- (•• لا مفر للعراق من برائن الاستعمار
ما دامت الاساليب لا تنتهي عند حدود وما دام الامر لا يوسد الى اهله
وما دامت مصلحة غيرنا نعارض مصلحتنا) (٣) • وكان في أكثر كتاباته كثير
الاقْتباس من آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف • جاء في
مقال له بعنوان (كلمة الى الشباب) :- (قد يتنازع البحث عن الاخلاق
فريقان : طامع في الزيادة وأواه ملول ••• واذا كان كذلك فالشعب على
خير كثير • اما ابناء العرب فانهم اليوم في شغل شاغل عن سيرة هذه الدرّة
العصماء التي اصبحت في بلادهم تيممة الدهر او ثانية العنقاء ، بما خبأته
سياسة الاستعمار ••• وبما صورته ••• تجعلك تعتقد بان القوم على بيّنة
من امرهم وان هي الا اضغاث أحلام ، او (كسراب بقية يحسبه
الظمان ماء) • الى ان يقول :- (••• وفي تلك الساحة الغبراء وفي عالم
الطيب والخيال حرب عوان بين النفوس الناشزة التي يحملها اناس

(١) جريدة الاخاء الوطني عدد ٧٥ في ٢٧ تشرين الاول سنة

١٩٣١ م •

(٢) مقالات المدرس ج ١ ص ١٢٢

(٣) جريدة الاخاء الوطني عدد ٦٧ عام ١٩٣١ م

(سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ)^(١) • وله مقال (الاسفتاء ومصيره) جاء فيه :- (••• ان اردتم الذكر الخالد والمجد الطريف فاجمعوا امركم واعملوا على خيركم وانقذوا الامة - وانتم في ضمنها - ولا تنسوا الفضل بينكم واتعظوا بغيركم) ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد^(٢) • كما انه كان كثير الاستشهاد بمشاهير العرب والمسلمين ، في الفاظ مختارة تدل على ذوق وأرھاف حس • قال واصفا الضغط والاضطهاد الذي لاقاه الشعب :- (واذا ما دعاك الواجب بحسب اجتهادك واعتقادك فاعلم ان السماء تمطر عليك وابلا من التهم ، وان الارض تقذف بك في لجج من الحمم وان صقر قریش يسقط على رأسك ••• ومن وراءه عبدالرحمن الداخل وسعد بن وقاص وطارق بن زياد ••• وغير ذلك من الأعلام من تاريخ العرب المجيد الذي كنا نتنظر استعادته منذ عشر سنوات)^(٣) • ثم يخلص في مقاله الى النتيجة المرة وخيبة الشعب واهواء الحكام في السعي وراء المناصب والنفع الذاتي فيقول :- (فكانت النتيجة عبارة عن فصول املتها الفكاكة على الرأي العام بهذه الخواتيم استهتارا بالماضي والحال والاستقبال لقاء جاه زائف وحطام زائل)^(٤) • وقد تأثر في حياة العراق السياسة في مختلف ادوارها غير انه اندفع في تيار السياسة بعنف ووقوة وخاض غمارها وكانت له مواقف محمودة في ذلك وبالاخص في ايام الاحتلال البريطاني لخلف وعدهم للعرب وما اضرروه من نيات ميّنة ضدهم فينبع بعنف مساويء الاحتلال ومعاهداته ، والحكومة الاهلية فيما بعد • مدافعا عن حقوق الشعب مظهرا مساويء الحكام بصورة قلمية تفيض بالعاطفة وتتنطق بالصدق • قال في

(١) مقالات المدرس ج ١ ص ٢

(٢) جريدة الزمان البغدادية العدد ٩١ عام ١٩٣٠ م •

(٣ ، ٤) جريدة الاخبار البغدادية العدد ٨٤ السنة الاولى في ١٠

تشرين الثاني سنة ١٩٣١ م •

مقال له بعنوان - بين المعاهدة والاستقلال - جاء فيه :- (... لا ندري كيف يجتاز العراق دورا دقيقا ومرحلة شاقة وهو محفوظ بهذه الاخطار . ان الخطر محيق بنا و (آنيال) على ابوابنا ... وليس للشعب ان يعرف موضع الخطر وان يقف على كنه الخطر ومصدره ودواعيه ليقوم بواجبه وانما المفروض عليه اذا ما قيل (آنيال على ابوابنا) ان يجم ويخرس ويسلم الى القضاء والقدر ... كأن الخطر لغز من الالغاز او طلسم من الطلسمات ... والويل لمن ينسب بنت شفة ذلك لان الشعب غير حر وغير رشيد من الوجهة الحقوقية الا في ابرام المعاهدات فانه مساو لبريطانيا العظمى في الحقوق)^(١) . اما الحكومة الاهلية فكان نصيبها من قلمه - بحق - الاستهزاء والتنديد بسياستها حتى بلغت به الجرأة ان كاشف الملك فيصل بمقالاته بمصير التيجان والعروش التي تنكرت لاماني شعوبها جاء في مقالة له بعنوان (العراق والاستقلال) :- (ان الذي يرجع بذاكرته الى عام ١٩٢١ ويسير مع الحوادث سير الناقد البصير منذ تأسيس الحكم الاهلي الى هذه الساعة ... تنكشف له الحقائق عن صفحات متشابهات لا تختلف احداهن عن الاخرى الا في الزمان ... تتخللها سياسة مواعيد من نوع واحد . تحملها المناهج والخطابات ولا تكاد تنشر حتى تخزن في بطون السجلات الى يوم البعث والحساب . تليها بشائر عن الاستقلال لا تتعدى رسم الخط وسواد الحروف ...)^(٢) . وقد وصف الحكام والدولة ودستورها وصفا دقيقا فالدولة كما يقول لا تبالي بالمسؤولية ودستورها ميت ومجلسها يرتع به الغرباء والشعب ينهشه الفقر : (... مراسم تحملها الالهواء والشهوات يتبعها فوج من المنكوبين . يليهم آلاف ممن اجتاحتهم الفقر وآلاف من الجرائم والجنائيات

(١) جريدة الاخبار العدد ٨٤ في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣١م

(٢) جريدة الاخاء الوطني العدد ٦٧ في ١٨ تشرين الاول سنة

١٩٣١م .

تتقدمها حكومة لا تبالي بالمسؤولية واحزاب مغلولة ••• يعقبها دستور موؤد ومجلس تحف به الاساليب الخاصة ••• حوله بقية من بقايا الخيرات يرتع بها الغرباء المتطفلون على المناصب وتطوف بها وجوه صفر واجسام ناحلة انهكها البؤس والجهل والشقاء ••• وكفاءات مهجورة واحرار مكدودون • وفي مقاعد الحكم ابسامات ساخرة ترافقها القاب ضخمة) • ثم ينتقل في نفس المقال الى وصف ارض العراق وحالة الشعب وما آل اليه الامر نتيجة لهذه السياسة فيقول :- (••• تكتنفها بقاع موبوءة ••• وساحة عمراء لا ترى فيها امانا غير اشباح تحمل الواحا مزرجة بدم الشهداء كتبوا عليها بالحروف البارزة ليحي الاستقلال التام) (١) • وقد عالج المدرس المشاكل الاجتماعية اضافة الى الامور السياسية معالجة رجل علم عرف الحياة واسرارها وسبر غورها فقد غني عناية خاصة بتوجيه الشباب ودعاهم الى التمسك بالاخلاق اذا ما ارادوا النجاح والتقدم لامتهم لانها اساس نجاح الامم وتقدمها قال في كلمة بعنوان - كلمة الى الشباب - : (••• فالاخلاق السامية تحرك ايدي العاملين على بناء المجد وتشيد عروشه وتشر لواء العدل والاحسان ••• وما من امة اجترمت الجرائم واتسمت بالمعائب والتصق بها العار ، وذقت وبال الذل والخنوع ، ألا وفساد الاخلاق قائدها ، وهو الباعث لتفسخها وانحلالها) (٢) • وقد كان المدرس في مجالسه طيب القلب لطيف المعشر ، حلو النادرة • يضيف على مجلسه الروعة والल्प وسرعة البديهة والنكته الحاضرة وقد كان يختلف الى مجالسه هذه نخبة من رجال السياسة والادب في العراق امثال الزهاوي والرصافي وياسين الهاشمي وغيرهم

(١) جريدة الاخاء الوطني العدد ٧٥ في ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٣١ م .
(٢) تاريخ الادب العربي - الدكتور جميل سعيد طه ص ١٥٩ بغداد سنة ١٩٥٨ م .

كثيرون • وقد روي عن سرعة بديهته ان الشاعر الزهاوي زاره في مكتبه
عندما كان كبير الامناء في البلاط الملكي فخرج الزهاوي منه غاضبا لامر ما
وهو يردد بيتا من الشعر يغمز فيه المدرس ويقول :-

أنا لو كنت بليداً فاز في الاسهم سهمي

انما أخرني عن الاقران فهمي
فلما بلغ ذلك المدرس أسرع في تغير بعض الفاظ البيت تغيرا يقرب
معناه فقال :-

انا لو كنت بليداً طاش في الاسهم سهمي

انما قدمني على الاقران فهمي^(١)
ولا بد لنا في الختام أن نقول كلمة أخيرة انصافاً للحقيقة والواقع أن
الرجل دافع عن أمته ووطنه بكل ما أوتي من قوة سواء أكان في الوظيفة أم
في مجالسه الخاصة أم على صفحات الجرائد دفاع رجل أحب قومه فحبه
لصدقه واخلاصه • بأسلوب كله صراحة ، مينا مساوىء الحكم الاهلي
واعوانه ، شارحا عناب الشعب وحرمانه ، مما اضطر الملك فيصل بأمر من
رئيس وزرائه - نوري السعيد - الى نفيه عدة مرات لانهم رأوه عقبه
كأداء في الوقوف امام اساليبهم • وقد ظل امينا وفيا لمبادئه الى ان اقعده
المرض واثقلته الهموم فاختاره الله عام ١٩٤٤م بعد ان ادى رسالته
الصحفية على اتم وجه •

(١) راجع مجلة الاقلام العراقية ج ٤ ص ٨١ السنة الاولى في كانون
الاول سنة ١٩٦٤م •

الكاتب الصحفي - خيري صالح الهداوي^(١)

(١٨٨٥م - ١٩٥٧م)

هذا الكاتب الشاعر الذي نسي في غير حق واهمل من غير ذنب وولد عام ١٨٨٥م في قرية بسيطة من قرى ديالى تسمى (ابي صيدا) في اسرة متوسطة الحال وقد عاش هذا الفتى متنقلا مع ابيه الموظف وفق ما تقتضيه متطلبات الوظيفة . ذلك الاب الذي لم يأل جهدا في تثقيفه وتهذيبه فدخل كتاتيب بغداد وبعض اقصية العراق ثم تعلم في المدرسة الرشدية - الابتدائية - فزال شهادتها التي كانت أول وآخر ما نال من شهادات الكفاءة المدرسية . وقد كان الهداوي شغوفاً بدراسة القرآن الكريم ، وعلوم الدين ، والادب ، وحفظ الشعر . اما النحو والعربية فقد تعلم تنافها ولم يتبحر فيها لعقم طرق التدريس فيها كما يقول :- (انني في كل هذه المدة التي درست فيها النحو والدروس العربية لم أكن أفقه شيئاً منها لاعتلاق نفسي بحب الشعر والادب لذلك لم تجد هذه القواعد لها محلا في دماغي . اظن السبب الجوهرى في الامر طرق التدريس القديمة العقيمة)^(٢) وقد عالج النظم منذ صباه حتى برع فيه فسمت منزلته وذاع ذكره . وعندما عاد الى بغداد شاعت الصدف ان يتعرف على الشعاعين جميل صدقي الزهاوي ، ومعروف الرصافي فلازمهما مدة طويلة استفاد منهما في الادب

(١) نسبته الى الهند جاءت من جده - السيد خضر - الذي درس على يد العلامة الهندي فنسب التلميذ الى استاذه كما هو مذكور في أكثر المراجع . راجع : الادب العصري لرفائيل بطي ص ١٦١ مصر سنة ١٩٢٣ ، وخيري الهداوي حياته وشعره - ليوسف عز الدين ص ٣٤ القاهرة سنة ١٩٦٥م .

(٢) رفائيل بطي - الادب العصري في العراق العربي ج ٢ ص ١٦٢

والسياسة والاجتماع • وقد خاض الهمداوي غمار السياسة متأثراً بالانقلاب العثماني عام ١٩٠٨م وقد ظهر هذا جلياً في تفكيره واسلوبه في كل ما كتب ونظم متوقفاً من الانقلاب الاصلاح الشامل لكل ناحية من نواحي الحياة •

فها هو ذا يقول متهجاً بسقوط عبد الحميد :-

| | |
|---------------------------|--|
| عقد السعد راية الافراح | للأمانى على جيوش النجاح |
| وبدا الشرق ضاحكاً يسحب ال | ذيل سروراً بهجة وارتياح |
| رافعا راية الهلال ينادي | مرحبا (بالرشاد) والاصلاح |
| وآت عبد الحميد وسله عمّا | حلّ في رأسه بهذا الصباح ^(١) |

وقد رأى كما رأى غيره من الابداء - كالشيبى والرصافي - ان جمعية الاتحاد والترقي التي نادت (بالحرية ، والمساواة ، والعدالة) خير منظمة تحقق آمال العرب بما رفعته من شعارات برفقة • فأوقف الاديب - الهمداوي - (قلمه في نظم القصائد ، وكتابة الفصول في التبشير بمبدئها ، حتى اذا ما انشقت على نفسها واسس حزب الحرية والأئتلاف ، ظلّ ثابتاً على مبدئه مدافعاً عن جمعية الاتحاد مندداً بخصومها)^(٢) •

وعندما أعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤م دخلها شاعرنا بشعره وقلمه متغنياً بحب الدولة العثمانية دافعاً عنها بما اتهم به مبرراً رأيه على انها حامية الدين والسُلطان خليفة المسلمين • اسمعه يمتدح جمعية الاتحاد والترقي :-

(..... واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام)
أعلن الدستور بفضل فتیان الاتراك النجباء • فرفعت اعاصير الانقلاب

(١) يوسف عز الدين - اخيري الهمداوي - ص ٥٧-٥٨

(٢) رفائيل بطي - الادب العصري في العراق العربي ج ١ ص ١٦١

طرفاً من ذلك الستار ، ورأينا بأمر رؤوسنا تلك الأيدي الأجنبية الأنيمة
وما نصبت لنا من الفخاخ والأشراك ، واصطادت كما شاءت قسماً من
ممالكنا ونحن مختلفون غير ملتفتين إلى الورداء الأمر الذي ضاعف طمع
الطامعين فوقفوا لنا بالمرصاد يترقبون الفرص ، حتى إذا كانت الحرب
العالمية شنوا علينا هذه الغارة الشعواء ليستأصلوا شأفتنا بل ليمحونا من
صحيفة الوجود • لقد خاب وإلله فألهم ، وكذبت إمانهم^(١) •

وقد كان الكاتب قومياً اخلص كل الاخلاص (لامته العربية فهو
عندما كان يؤازر الدولة العثمانية في عزها وفي إبان انتشار النزعة
الاسلامية نجده يفخر بالعرب وقومه ويتذكر المعتم والميامه)^(٢) ولك أن
تقرأ قصيدته (الحرب في الارض) لتجد الصورة واضحة لهذا الفخر •
قال :

ضاق صدري فرحت ازجي القصيدا

مستعاضاً عن الحداء التشيدا

* * *

ومنها :

وإذا لم يكن من الحرب بد

فلنشرها حرباً تشيب الوليدا

ولنمت في الدفاع عن حرم الحق

فقد بات وهو يشكو الجحودا

أين قومي وهل ترى غير قومي

أمة تصدع الصفا والحديدا

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ٩٢ السنة الاولى عام ١٩١٥م

(٢) يوسف عز الدين - خيرى الهنداوي - ص ٦٠

أن قومي أبناء قحطان حازوا
طارف المجد والعلاء التليدا

شهد السيف انهم امة الحـ

سرب اذا هزت الكمأة البنودا^(١)

وقد نشر أكثر قصائده في جريدة صدى الاسلام تلك الجريدة التي
استتها الدولة العثمانية في بغداد لأثارة النخوة في قلوب المسلمين ضد
الانكليز كما حرر أكثر مقالاتها مستهضا النفوس جاء في كلمة له بعنوان
(الحرب والشرف) :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى

حتى يراق على جوانبه الدم

(... تالله ان الكرم والشمم ليأبى ان يمس شرفنا بسوء ما دام فينا
عرق ينبض في هذه الحياة بل الحياة بغير انشرف ما هي الا الموت بل ما هي
الا نار الجحيم • اذن فلنجرد السيف غير ظالمين ونضرب به وجه العدو
الذي يريد بنا وبشرفنا سوءا بل الذي يريد أن يجعلنا كالانعام أو أضل
سيلا • فهلموا يا أبناء قحطان لتطرز حلة شرفنا البيضاء بقطرات من الدم
الاحمر ونشرها امام العالم مبرهين اننا قوم شرفاء ...)

فاما ممات يغسل العار ذكره

واما حياة تتبع الفتح بالفتح^(٢)

وللكاتب جولات في الصحف ضد الانكليز صارخا في قومه مغبة
حكمهم • جاء في مقال له بعنوان - فشل آمال الانكليز في العراق - :
(... تشبت الحرب الحاضرة - العالمية الاولى - فوثب الانكليز على ثغر

(١) جريدة صدى الاسلام عدد ٧٩ السنة الاولى عام ١٩١٥م

(٢) جريدة صدى الاسلام عدد ٨٦ السنة الاولى عام ١٩١٥م

البصرة ••• والسيف بيد والمال بيد يستميلون ضعاف البصائر وقليلي
الايمان ••• فلم يصادفوا إلا ضربا في الوجه ولطما على الجباه • قام
العراقيون ••• ووقفوا وقفه الاسود الضواري فاضاعوا رشد الانكليز
وطيروا الباهم وعقولهم ••

قومي اذا اشتد الضراب تخالها
نشوى وما غير الضراب مدام
فالحرب مجلسها وساقبها القنا
والنقع نقل والمدافع جام
لم تخش بادرة الطعان لدى الوغى
بل لا تهاب الموت وهو زؤام

ان الانكليز يرون العالم جميعا دونهم خلقا وخلقا وانهم اولي
الناس بالسيادة العامة على البشر ••• ستكشف الايام للانكليز سوء مغبة
اعمالهم وسيندمون على ما فرطوا والعاقبة للمتقين^(١) • فانت ترى الشاعر
صادق الشعور ، عميق التجربة ، تحس بالصور الحية التي رسمها في أكثر
شعره ، واضح الفكرة ، جزل الالفاظ ، لذا يعد بحق من الشعراء الذين
قادوا النهضة الادبية في العراق • ولعل (اتصاله بالرصافي والزهاوي أثر
في شعره ، فأثر الرصافي فيه بجزالة الشعر ، والزهاوي بأرائه وتجديده
في المعاني)^(٢) •

ولعلك تلاحظ معي ايها القارئ ان هذا النوع من المقالات الصحفية
المطرزة بالاشعار الكثيرة ، يوشك ان يكون فريدا في باب ، لاننا نشعر
دائما امام كاتب سياسي يعتمد في مقالاته السياسية على طريقة ادبية موشحة

(١) جريدة صدى الاسلام عدد ١٤ السنة الاولى عام ١٩١٥م

(٢) يوسف عز الدين - خيري الهنداوي - ص ٢٣

بالشعر الكثيرة التي هي من نظم الكاتب في أكثر الاحيان • ومعنى ذلك أن المقال الصحفي عند هذا الكاتب جزءان : احدهما نثر ، والاخر شعر على خلاف ما نجد ذلك عند بقية الكتاب الصحفيين الذين لا يعتمدون على الشعر في كتابة المقال اللهم الا نادرا ، وبشرط أن يكون الشعر من نظم غيرهم • وهكذا نجد ان نثر -الهنداوي- يمتاز بأسلوبه الخاص في اختيار الالفاظ المعبرة عن المعاني الدقيقة ، وانه كان في اكثر كتاباته يستشهد بالشعر العربي القديم يستوحى منه الهمم ويستنهض النفوس • وهذه ميزة يمتاز بها دون سواه •

جاء في مقال له بعنوان (الانتباه الاسلامي) :-

(..... ولكن بقي أن نعلم كيف انفرط عقد تلك الامة الاسلامية ، وكيف تطرق اليها الانحطاط ، وما كانت اسبابه وما هي مسبباته ، وهل كان ذلك الخمود شرارة الحب أو هناك اسباب ومسيبات اخرى ؟ نعم لم تتبدل الاسباب ولكن تبدلت الوجهة وتغير القصد وبالرغم من تخرصات الافاكين وتقولات الكذابين الى الجهاد ايها المسلمون

اما فتى نال العلي فاشتفى

أو بطلا ذاق الردى فاستراح^(١)

ولحبه للدولة العثمانية كان يقتضئ المناسبات لينظم فيها الشعر ليدلّل على ولائه لها • اسمعه في قصيدته - فاتح وارشو - يمدح القائد الالماني بوصفه من حلفاء الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى قال :

عن السيف حدث انه الحكم العدل

وما شئت قل يشهد به العقل والنقل

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ٨٧ السنة الاولى تشرين الاول

عام ١٩١٥م

فلا حكم أن لم يحكم السيف في الوغى
ولا ملك أن لم يبين أركانه العدل

فما مثل حد السيف للخطب فارح
ولا مثل حسن الرأي أن زلت النعل

ولا مثل (هند نبورغ) يوم كريهة
إذا قصرت عن خوض مكر وهما الرجل (١)

الواقع أن الكاتب أوقف شعره ونثره لنصرة الدولة العثمانية على
الانكليز فكان يكتب مقالاته بروح تدل على إيمانه العميق للجامعة الإسلامية
كما هو معروف عنه . جاء في مقال له بعنوان (العلم والعمل) :-

(..... تجلت قوة الإرادة في هذه الحرب بأجلى مظاهرها في دول
الاتفاق وظهرت للعين كالشمس في رابعة النهار ، مما دلنا على أن هناك
رجالا ليست إرادتهم كإرادة الانكليز ومؤتلفيهم الذين لهم إرادة في
الحرب غير استعمال المكر والخداع وتلفيق الإباطيل والأراجيف ظنا
منهم أن تلك الخطة الخرقاء هي الطريقة الوحيدة لنجاحهم في هذه
الحرب التي لم تكن في الحقيقة إلا حرب العلم والعمل وقوة الإرادة) (٢) .

وقد كان الهنداوي كما يظهر لنا من كتاباته يدعو إلى التعصب
الديني بصراحة وبعنف ولعل ما كتبه في هذا الباب يعطينا الصورة
الواضحة للمامح هذا التعصب .

جاء في مقال له (التعصب والتدين) :-

(١) جريدة صدى الإسلام العدد ١٨ في ٣٠ تموز عام ١٩١٥م
(قالها بعد احتلال الجيوش الألمانية العاصمة البولونية - وارشوب - بقيادة
الجنرال - هندنبورغ -) .

(٢) جريدة صدى الإسلام العدد ٥٩ السنة الأولى عام ١٩١٥م

(..... لا ارى المسلمين اليوم الا وقد عرفوا ما يضمره لهم الاعداء واطلعوا على ما تكنه صدورهم من البغضاء والعداء . ولا اظن ان النوايا الانكليزية الخبيثة تخفى اليوم على ا بسط المسلمين في العراق لأن الصبح قد ظهر لكل ذي عينين وعلم كل فرد من العراقيين ماذا يخبىء الانكليز بين جوانحهم من الغدر والخداع ان الوقائع الاخيرة لهي اقوى دليل لنا على يقظة العراقيين اليوم واكبر برهان على حياة تعصبهم الديني)^(١) .

ظلّ الكاتب مدافعا بحماسة عن الاتحاديين ولما تكشف سوء نواياهم واضمارهم الشر بالعرب . تخلى عنهم وانخرط في صفوف العرب الاحرار فتحرك قلمه وثارَت نفسه فكان من اوائل الساخطين على العثمانيين ، بينما كان قبل ذلك يفتنى في حب الدولة العثمانية . اسمعه يستجد بطالب النقيب^(٢) يحثه على انقاذ الامة مما آلم بها من قسوة الاتحاديين ونفي ابناء العراق قال :

الى المجد قدما فهي للمجد تنزع
فقد طال ما ترجو وما تتوقع

لقد سمعت صوت النهوض الى العلى
فقامت على اقدامها تتطلع
فظلت وصوت المجد يملأ سمعها
مسهدة اجفانها ليس تهجع

بحق العلى قدما فلما حياتها
تال واما موتها فهو انفع

الى أن يقول مخاطبا (طالب النقيب) :

(١) جريدة صدى الاسلام العدد ٥٤ السنة الاولى عام ١٩١٥م

(٢) من أبرز رجال العراق الوطنيين .

أطالب أن لم تطلب الحق بالقضا
سيبقى برغم المجد وهو مضيع
تطالبني نفسي بزورة طالب
فاعزم لكن الحوادث تمنع^(١)

وقد خدم الهنداوي الدولة العثمانية خدمة فعّالة في القوات المسلحة
في أثناء الحرب العالمية الأولى مدة ثلاث سنوات كما خدمها بقلمه ولم
تفكر بتقديره بل كفايته بالقائه في سجن القلعة ببغداد .

والذي يظهر أن العثمانيين خشوا منه لجهاده القومي . يقول
رفائيل بطي : (وقد سجنه الأتراك لجهاده القومي ولما احس أنهم يبيتون
له الشرّ فرّ من السجن مختفياً بدار أحد اصدقائه)^(٢) وقد وصف
فراره هذا في مقال (بغداد أمس واليوم) نشرته له مجلة المقتطف في جزئها
الخامس ص ٤٦١ سنة ١٩١٧ يصف فيه الفرع الذي اصاب بغداد قبيل
دخول الإنكليز ببغداد عام ١٩١٧ بأيام وما قام به العثمانيون من قتل
وتعذيب الآمنين . جاء فيه : (هربت من السجن بعد اقامتي فيه بايام كثيرة
واختفيت في بعض الدور وقلبي كله أسي لما حلّ ببغداد . غدرتها ونار
الجور في جوانبها تشبها الايدي الاثيمة بقتلهم . . . الصغير والكبير
والشريف والوضع . نفوس تزهب ودور تهدم واموال تنهب واعراض
وحرمان تباح . . .)^(٣) .

وبعد هذا ينتقل الكاتب إلى وصف حالته وهله بعد فراره من

(١) راجع : رفائيل بطي - الادب العصري - ج ١ ص ١٧٠ ، يوسف
عزالدين - خيري الهنداوي - ص ١٩٤ ، عبدالكريم الدجيلي - محاضرات
عن الشعر العراقي - ص ٥٠

(٢) رفائيل بطي - الادب العصري - ج ١ ص ١٦١

(٣) هذه الفقرات نقلت من كتاب خيري الهنداوي ليوسف عزالدين

ص ٣٧

السجن من ان تلقي سلطات الاتراك القبض عليه فيقول :

(كيف انام ؟ وهل ينام السليم والقوم مسرعون في طلب هذا الخائن - يعني نفسه - ، ولم اكن وشرف عدنان ، في تلك الساعة الحرة مهتما بحياتي أكثر مما كنت مهتما بحال اخواني الاخرين تنهمل دموعي وتنصب على خدي ، فأبكي طويلا ثم ارجع الى نفسي واطمئنا بالفوز واعللتها بالنجاح وارسم لها في مخيلتي خطة الفلاح فتطمئن وتبرق لها بارقة الرجاء^(١) . وفي هذا المقال يمدح الهنداوي الانكليز ويدمّ العثمانيين واصفا اياهم بالظلم والقسوة ولعلّ الشعار الذي رفعه الجنرال - مود فاتح بغداد - (جنّا محررين لا فاتحين) هو الذي اغراه :

يقول الدكتور يوسف عز الدين : (شأنه شأن كل الشباب الذين يندفعون دون روية وتعقل وراء كل شعار خلب ، ويفريهم جمال العبارة وأسر الالفاظ لذلك وجدناه يمتدح الانكليز)^(٢) .

نتيجة لهذا القلق السياسي أخذ عليه خصومه السياسيون هذه الهفوات فخاصموه وتألّبوا عليه فأتعبوه . من ذلك ما كتبه ابراهيم صالح شكر في جريدته الناشئة الجديدة^(٣) جاء فيه :

(... ان الهنداوي ماشى السلطات فله قصائد في العهد التركي ومثلها في هجوه ، في الاحتلال والعهد الملكي . وهذا التلون يستنكر في الشاعر الحر)^(٤) والذي نراه أن الشاعر أو الكاتب هو ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها فالجو السياسي المحموم الذي لا قياس له ولا ميزان والقلق

(١) يوسف عز الدين - اخيري الهنداوي - ص ٣٧

(٢) يوسف عز الدين - اخيري الهنداوي - ص ٤٠

(٣) صدر عددها الاول في الثاني من كانون الاول عام ١٩٢١م

(٤) جريدة الناشئة الجديدة العدد التاسع في ٢٦ تشرين الاول عام

١٩٢٣م .

والحيرة التي امتازت به هذه الفترة أثرت فيه لطموحه ورغبته الجامحة الى الحرية والاستقلال . كما أن هذه الصورة التي عاشها الكاتب لا تنقص من محاسنه شيئاً ولا تحت من مكرماته المشهودة قليلاً فما أكثر الشعراء والكتّاب العراقيين الذين هجموا العثمانيين وانتصروا للانكليز ثم هجروهم وانتصروا للدولة العراقية ثم عادوا وتسببوا كراسي الوزراء في الحكم الاهلي . ولعل أهم سبب دعا خصومه الى مهاجمته وتوجيه الطعون الى مبدئه السياسي هو قبوله وظيفة - مساعد مالي - في العزيفية - في اوائل ايام الاحتلال البريطاني للعراق من عام ١٩١٧م ، لأن القوم تأثروا بالدعاية العثمانية القائلة : (ان الانكليز جاؤا لمحق الاسلام) وقد اعتبروا التوظف في خدمة مصالح الاحتلال الانكليزي حراماً وخيانة للوطن والاسلام^(١) . لكن الهنداوي رغم هذا كله بقي في خدمة سلطة الاحتلال البريطاني الى ما قبل ثورة العشرين بأيام أثر حادثة وقعت له في لواء الحلة عندما عقد اجتماع حضره قادة الرأي للتديد بالسياسة البريطانية في العراق (وتسبق الخطباء والشعراء في التديد بالاحتلال وسياسته ، والمطالبة بالحرية الكاملة والاستقلال وكان مرسل الحقد والغضب يغلي خلال هذا الاجتماع لذلك لم يكن الحاكم الانكليزي قادراً للذهاب بنفسه الى الجامع خوفاً من أن يبطش به الحاضرون فاعز الى خيري الهنداوي وهو الموظف العربي بالذهاب الى الجامع لكي يهدئ النفوس فما ان دخل الهنداوي الاحتفال وسمع الشعر الحماسي المتدفق بالوطنية حتى تدفقت نفسه على سجيته ووقف بين الجموع الهادرة وحثها على الاخذ بالثار والمطالبة بالاستقلال^(٢)) فكانت نتيجة هذا فية الى هنجام مع من نفي من الاحرار ، وعندما عاد

(١) للتوسع في هذا الباب راجع : علي الوردى - طبيعة المجتمع العراقي - ص ٣٤١-٣٤٢
(٢) يوسف عز الدين - خيري الهنداوي - ص ٤١-٤٢

من منفاه في نهاية ١٩٢١م وجد الامور كما هي فالانكليز يقبضون على زمام الامور فهبّ ناصحا الشعب مينا سوء العاقبة من مغبة سياسة المماطلة والتسويق التي يسلكها الانكليز حيث قال :

اذا قلت فأنت ايها الشعب واسمع
فلمست امرأاً يلقي الكلام ولا يعي

اراك جهلت الحزم فاختلت اعزلا
وانت بواد لو تعقلت مسبيع

اذا رجع الاقوام في الغرب خدعة
رقصت على الصوت البعيد المرجع (١)

وقد أسندت للكاتب في الحكم الاهلي عدة وظائف ادارية في الدولة منها مدير ناحية ، وقائمقام ومتصرف ، فانصرف الى وظيفته مبتعدا عن كل شيء يمس حياته ويؤثر في رزقه وعمله .

(فلم يساهم كما ساهم غيره من الشعراء في الاحداث التي مرت على العراق) (٢) وآثر السكوت منذ تأسيس الحكم الاهلي حتى الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م .

ولما قامت انتفاضة سنة ١٩٤١ بزعامة المرحوم رشيد عالي الكيلاني ضد الاسرة المالكة والمعاهدات الانكليزية الجائرة غير المتكافئة ظهر الهنداوي على مسرح السياسة بقصائده التي نظمها منددا بالثورة والقائمين عليها واصفا ثوارها بأنهم صبيان . مما أغضب صديقه الشاعر معروف الرصافي والعراقيين كافة . جاء فيها :-

(١) جريدة العراق العدد ٤٩١ في ٢١ كانون الثاني عام ١٩٢٢م

(٢) يوسف عز الدين - خيري الهنداوي - ص ٧٦

يا شاعر العصر غنّ الشرق اغنية
تهزّ من طرب عطف الاعارب
وانظم من البشر شعرا كله طرف
يكاد يرقص من حسن ومن طيب
عج في الرصافة واهتف شاديا غردا
في الواديين وفي اعلى الاهاضيب
ثم استمع اليه يصف الثوار :-

ما ساس شعبا كذوب قام متكئا
على سواعد صيان الكتابيب
صفر الوجوه لهم من فوقها طرر
كأنها طرر البيض الرعايب
ظنوا الحروب اكاذيبا ملفقة
أو أنها بعض انواع الألاعب^(١)

ويظهر أن الذي دفعه الى هذا كما يبدو من سيرة حياته انه اقصى
من وظيفته عندما كان مديرا عاما للتسوية عام ١٩٤٠م ، فاتخذ من هذه
ذريعة للتديد بخصومه • وقد أعيد الى منصبه هذا بعد فشل ثورة عام
١٩٤١م ، وبقي فيه الى عام ١٩٥٠م حيث احيل على المعاش • وفي اواخر
ايامه اثقله المرض وزادته متاعب الحياة والعائلة الشيء الكثير حتى اختاره
الله الى جواره عام ١٩٥٧م بعد أن خلف مآثر لن تنسى من ادب جم ،
ومواقف مشهودة في سبيل بلاده وامته العربية •

(١) يوسف عز الدين - خيري الهنداوي - ص ٧٧

الكاتب الصحفي - رفائيل بطي

(١٩٠١م - ١٩٥٦م)

ولد بالموصل في عائلة فقيرة لاحظ لها من غنى أو ثروة • كان ابوه يمتهن الحياكة وقد اراد لابنه رفائيل مستقبلا يعينه على ما يلاقيه الأب من شظف العيش وفقر الحال فعني به عناية فائقة وفي الرابعة من عمره بعث به الى المدارس الابتدائية ثم المدرسة الثانوية - مدرسة البروتستانت الامريكان - الا ان القدر فاجأه وهو في الخامسة عشرة من عمره بفقد الاب العطوف فأثر ذلك في نفسه كما كان لها أثر في تكوينه الشخصي اذ حركت فيه الاعتماد على النفس ومغالية الدهر • فغادر الموصل قاصدا بغداد ملتحقا بدار المعلمين الابتدائية وبعد أن أكمل المنهج المقرر بتفوق تخرج فيها ثم عين معلما في بغداد وكان يوزع وقته بين التعليم والعمل الصحفي • ولطموحه ورغبته في الاستزادة من المعارف دخل كلية الحقوق العراقية عام ١٩٢٤م وقد تخرج فيها عام ١٩٢٩م غير انه لم يزاول المحاماة وانما انصرف الى مزاولة الصحافة لولوعه بالعمل الصحفي منذ صباه فقد اتفق عندما كان طالبا في الثانوية بالموصل عام ١٩١٦م مع بعض الشبان في اصدار مجلة شهرية دورية يكتبونها باليد واختاروا لها اسم (اليراعة) تشبيها لها بهذا الطائر في الليل كأنه النهار • ويعتبر هذا المشروع النواة الاولى لعمله الصحفي^(١) • وبعد ان استوى قلمه وعلت ثقافته أخذ يكتب في مستهل حياته الصحفية المقالات الادبية والاجتماعية في مجلة النادي العلمي^(٢) وتعتبر باكورة أعماله الصحفية تلك المقالة التي نشرها في تلك

(١) راجع : فائق بطي - أبي - ص ٣٣ بغداد عام ١٩٥٦م •

(٢) صدر عددها الاول في ١٥ كانون الثاني عام ١٩١٩ •

المجلة بعنوان (بين الحقيقة والخيال) ذيلها بتوقيع محب السلام جاء فيها :

(ايها القلم الكسير ! انهض ايها القلم الكسير فقد طال رقادك تحت الستار الحالك في ليل الخطوب • ها ان فجر السلام قد افترت مباسمه عن شعاع الحق • أنت والسيف شقيقان مقترقان بل ضدان متناقضان ولقد تغلب عليك زما طويلا وهذا شأن القوى الجائر على الضعيف المنصف اما اليوم فقد ارجع السيف الى غمده بعد أن تلتطخ بالنجيع وقام مجدك رافعا لواء الاتفاق والوئام والحب والسلام)^(١) وكان رفائيل يذيل كتاباته باسما مستعارة منها (محب السلام) ، (خالد) (فتى العراق) فبعد ان تخرج في كلية الحقوق انصرف الى عمله الصحفي والادبي في آن واحد انصرفا كليا تاركا التعليم فكان محررا فرئيسا لتحرير جريدة العراق^(٢) وقد شارك في الكتابة في أكثر الجرائد والمجلات العراقية وكان لمساهمته أثر في النهضة الثقافية والادبية والاجتماعية من ذلك ما كان يكتبه في مجلة الناشئة^(٣) من مقالات تحث على التقدم والنهوض بعنوان (خواطر جديدة) يعالج فيها النواحي الاجتماعية كقضية المرأة ونظرة المجتمع اليها جاء في احدها : (ضلع الرجل ، سماها قوم من الرجال ! وفي قلوبهم شيء من الاثرة ، وفتاة حواء ، دعاها غيرهم وفي نفوسهم نغصة من جدتها الاولى • خلقت فتنة زعم بعضهم ، وفطرت رحمة قال آخرون ، وهي هي ، والدة الجنس البشري ، وام البرايا ، برغم ما يزعمون ويتقولون ! نظر اليها الناس ، فرأوها عظيمة ، اما عظمتها فقاومة بنفسها ، قوية ، اما

(١) مجلة النادي العلمي الموصلية - العدد الاول في ١٥ كانون الثاني عام ١٩١٩م .

(٢) صدر عددها الاول في أول حزيران عام ١٩٢٠ لصاحبها رزوق غنام .

(٣) مجلة شهرية صدرت في الثاني من كانون الاول عام ١٩٢١م لصاحبها ابراهيم صالح شكر .

قوتها فمستمدة من جبروت الأقوياء ووهن الضعفاء • وجدت منخفضة منبسطة في شمائلها فحمل ذلك منها فريق على الصغار وآخرون على الرفعة والسمو^(١) • وكان يحزر كذلك في جريدة الناشئة الجديدة^(٢) في باب (جمهورية الادب) عالج فيه مختلف الشؤون الادبية وكتب عن أكثر ادبائها وما امتازوا به • اسمعه متحدثا عن الكاتب (عباس محمود العقاد) : (عباس العقاد نموذج التطور الحديث في أدب الضاد ، وزعيم مذهب التجدد في وادي النيل ••• يريد العقاد ان يبني صرح الادب الحديث على ثلاث قواعد (الحق ، والجمال ، والقوة) تلك نحيته في حياته وخطته في كتاباته • تناول الصحيفة التي يوشها قلم الاستاذ العقاد ، فلا تلبث بعد ان تمسسي نظرك فيها أن تعجب بذكاء كاتبها يفيض من حواشيتها وتزاحم امام بصيرتك من معانيها اشباح (الجمال) وقد البسها المؤلف حللا فاخرة من البيان الأخاذ مزركشة بدرر اللغة الغالية وتشعر بجراته النادرة في الخروج على المألوف وتكفير ما يقده الجمهور خطأ وتزييف ما يكبره غلطا وعماية^(٣) •

وللكاتب آراء في الحياة والادب والسياسة تعطينا الصورة الكاملة لفلسفته التي تنبها وتعينا على تفهم شخصيته اذ الكتابة جزء من شخصية الكاتب كما يقال : ففي الادب يقرر : (متى استطاع الكاتب ان يجيد في اللغة ويتفرغ لمواضيعها ، حيث يسبك نتاجه بما يتفق ولغة الادب أصبح ذلك الكاتب من الادباء وحق لنا ان نسمي نتاجه أدبا^(٤)) وفي الحياة

(١) مجلة الناشئة العدد الاول ، كانون الاول سنة ١٩٢١م

(٢) صحيفة اسبوعية صدر اعدادها الاول في ٢٧ كانون الاول سنة

١٩٢٢م لصاحبها ابراهيم صالح شكر •

(٣) جريدة الناشئة الجديدة العدد ٥ في ٢٧ مايس سنة ١٩٢٣م

(٤) فائق بطي - أبي - ص ١٥

كان يقول : (علينا أن نساير التطور الاجتماعي وأن ندعو الى مسايرة النهضة الاوربية مع الاحتفاظ بالتقاليد الدينية والعربية)^(١) وفي السياسة يقول : (السياسي هو ذلك الانسان الذي يضع مصلحة المجموع والوطن فوق كل شيء ، والوطني من تصلب في عقيدته على أن تكون لصالح وطنه ، وهو من يتفهم وضع بلاده قديما وحديثا وغب الحوادث العالمية)^(٢) • عالج بطي هذه الامور جميعا بأسلوب رائع امتاز بسلاسة عباراته وسهولة الفاظه وعمق افكاره نهج هذا النهج في أسلوب اختص به بين صحافي هذا العصر وادبائه لما امتاز به من القدرة العلمية والكتابية في معالجته لمختلف القضايا تدل على براعة ودقة في التصوير •

يقول الكاتب أمين الريحاني : (ولرفأئيل أسلوب في الانشاء سهل منسجم جلي ، لا تكلف فيه ولا اغراب • وله في معالجة المواضيع مزية مستحبة ، هي انه يقف عند حد بين الاسهاب والاقضاب فلا يطولها على نفسه فيمل ولا يقصرها على القارىء فيضل)^(٣) •

وقد عزم الكاتب أن يكافح على صفحات جريدة تعبر عما يروم تحقيقه لوطنه بعدما تفاقم الامر وعز المدافع عن الشعب فحصل على امتياز جريدته (البلاد) وقد صدر عددها الاول في الخامس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٢٩م وبرغم ان هذه الصحيفة صدرت بعد فترة البحث فاننا مضطرون الى الاشارة اليها لانها تكمل الصورة التي في اذهانتنا لهذا الصحفي ، فلك أن تقرأ خطتها في عددها الاول لتبين صدق احساسه وقوة عقيدته قال : (سألني الكثيرون ما خطة جريدة البلاد ؟ فأجبتهم تقرأون خطتها بين سطورها اذ ليس بنافع لنا أن نتجج بذكر خطة قويمه

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) أمين الريحاني - ملوك العرب - ط ٢ ج ٢ ص ٣٩٧ ، بيروت

عام ١٩٢٩م •

اليوم وملتوي عنها في السير غدا .. فحظة جريدة البلاد ما تقتضيه مصلحة البلاد وكل مصلحتها بل واكسير حياتها الحرة والاستقلال .. فما اتفق مع هذا المبدأ فالجريدة معولة عليه ناصرة له ، وما تنافر معه فهي حرب عليه هدامة له ... ومن يعتدي على البلاد فهو عدوها اللدود سواء أكان محسوباً عليها أم أجنبياً عنها^(١) . وفي العدد نفسه بين واجب الصحافة الوطنية ، وواجب الصحفي في الاوضاع الشاذة التي يواجهها بأسلوب سهل ممتنع . قال : (وأخيراً اتيج لنا أن تعمل في الصحافة ... فأنشأنا صحيفة البلاد عسانا نؤدي بها خدمة ضئيلة متواضعة في ميدان الجهاد ، جهاد هذه الامة المغلوبة على أمرها . فالصحافة لسان الامة الناطق ومرآتها الصافية فهي معبرة عما يختلج في اعماق القلوب ، وهي المجلية صور النفوس . ومهما يكن الوضع شاذاً في العراق اليوم فبوسع الصحافة الجريئة أن تضح من فداحة شذوذه ، وبمقدورها أن تعرضه امام الرأي العام بقبحه وبشاعته ولا تذهب الضجة الخارجة من الاعماق سدى)^(٢) وحسبنا ان ندلل على كفاءته الكتابية انه انضم الى تحرير جريدة الاهرام القاهرية واسند اليه تحرير الشؤون العربية كما اسند اليه وظيفة اخرى هي وظيفة محرر دنيا العرب في اسبوع^(٣) في جريدة الاسبوع المصرية . عاش رفائيل في ميدان الصحافة مدة ست وعشرين سنة استطاع في اثنائها بقلمه وصدق عقيدته أن يحصل على لقب نقيب الصحافة العراقية . وقد دفعته اعماله الصحفية الى (خوض المعترك السياسي فدخل البرلمان مرات عديدة لاقى فيها صنوف العذاب والحرمان لمبدئه الذي اعتنقه وناضل في

(١ ، ٢) جريدة البلاد - العدد الاول - في ٢٥ تشرين الاول سنة

١٩٢٩ م .

(٣) اعتقل سنة ١٩٤٢ وأرسل الى العمارة وعند عودته من المعتقل

أصدر جريدته البلاد لكنه هاجر من بغداد الى مصر في منتصف سنة

١٩٤٦ م .

سبيله (عروبة حرة واتحاد كامل) (١) ولعل خير ما يمثل كفاحه في المجلس النيابي المقال الذي وجهه الى الشعب عندما رشح نفسه للنيابنة بعنوان - الكرامة والخبز والحريّة - (٠٠٠) لان يبلغ المواطنون هذه الغاية الا بالسعي لاستكمال استقلال البلاد وتوطيد سيادة الشعب ، وترسيخ قواعد الدستور ، في حكم ديمقراطي سليم ، يقيمه الوعي العام ، ويهيمن عليه مجلس نيابي يمثل ارادة الامة • بهذه الوسيلة ينعم الفرد بالرفاه ويتسنى لعراقنا أن يخطو خطوات واسعة نحو الاتحاد العربي (٠٠٠) (٢) • ولقد صور هذا الكاتب الحكومة ورجالاتها ، والشعب ، والامة أدق تصوير ، ورسم لنا الحياة التي احسها الناس حوله ، دون ان يهاب ظلم حاكم أو نفيًا وتعدياً • اسمعه يخاطب الحكام محذرا ايهم من مغبة الارتباك في عملهم مخاطبا ايهم بقوله : (غربلوا رجالكم المسؤولين وراعوا النظام بحذافيره) جاء فيها (٠٠٠) ان الارتباك الحاصل ••• سببه أن الشخصية الادارية الكبرى المسؤولة فيه ضعيفة أو ليس لها من المؤهلات ما يرفعها الى أن تمثل الدولة وعزتها ومهابتها في طول اللواء وعرضه : أن منصب المتصرفية على أعظم جانب من الدقة والحراجة ويتطلب رجالا كل الرجال • فتركب الحكومة اعظم الشطط في تهاونها في اختيار الرجال الذين يشغلون هذا المنصب كما انها لا تؤدي واجبها في خدمة البلاد اذا هي لم تجعل مفتوح أعمالها في التنسيق والاصلاح الاداري (٠٠٠) (٣) اما نواب الامة فقد حمل عليهم حملة عنيفة ودعا الشعب الى محاسبتهم حيث كتب مقالة عنوانها (الى متى هذا الهجوع) جاء فيها : (٠٠٠) وحرمة الحق اذا ما قصر النواب في واجبهم ولم يأبوا الى

(١) فائق بطي - أبي - ص ١٢

(٢) المصدر السابق - ص ٣٦

(٣) جريدة البلاد العدد الثالث في ٢٨ تشرين الاول سنة ١٩٢٩م

انفسهم فيوحدوا صفوفهم ويعملوا على ايجاد المعارضة القوية التي تحسب
لها الحكومة حسابها فاللوم كل اللوم عليهم ••• واذا ما اراد الشعب أن
يحاسب فمحاسبة هؤلاء واجبة قبل محاسبة غيرهم اذ الحكومة تعمل في
السييل الذي يوافق مصلحتها وحزب الحكومة يؤيد الحكومة ويعضدها •
ولكن ما عذر هؤلاء •• الذين يستسلمون لاغراضهم الذاتية ويخلدون الى
الكسل فيبقون متنافرين غير ملتزمين بعضهم مع بعض (١) وبقي رفائيل
دؤوبا في عمله بين النيابة والصحافة والوزارة حتى توفاه الله في العاشر
من نيسان عام ١٩٥٦ م •

(١) جريدة البلاد العدد الخامس في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٩م

الفصل السادس

الصحافة والادب

الصحافة والادب

للصحافة أثر كبير في المجتمعات توجيهها ، وإيقاظها ، والسير فيها الى ما ترنو اليه وتروم تحقيقه • فهي العين السحرية التي تنفذ فيها الى اعماق الشعب للتعبير عن آماله ورغباته • فلا غرابة والحالة هذه أن يطلق الناس على الصحافة (السلطة الرابعة) ولم يكنفوا بهذا بل ارتفعوا بتسميتها الى اعلى المراتب ، ولقبوها القابا توحى بالهيبة والوقار • ولك أن تقرأ (صاحبة الجلالة) لتثير في مكانن نفسك احياءات تزيدها فوق هيبتها ووقارها رفعة وسموا • لهذا ليس من المبالغة في شيء عندما قال نابليون :- (انني وجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما اوجس من مئة ألف مقاتل) • فالصحافة الحرة المعبرة عن واقع الشعب ، اقوى من مدفع واعز من سلطان • لقد كنا نفهمها - الصحافة - انها السلطة الرابعة ، وصاحبة الجلالة بالنسبة الى السياسة ، وشؤون الحكم فقط ، لكننا (وجدناها كذلك بالقياس الى أمور اخرى أهم من السياسة وابقى من الحكم منها اللغة ومنها الادب)^(١) لأن الصلة وثيقة بين الادب والصحافة منذ النشأة الاولى • كما وان الصحافة أثر من آثار الادب بالذات فهي أدب في واقعها والصحفي أديب في ذاته حيث انه يشارك المجتمع بتجاربه الشعورية وينقل احساساته ويتأثر بما يتأثر به المجتمع ويحس بما يحس به لأنه قطعة من راحه وشعوره • فلا يمكن بأية حال من الاحوال أن يكون الصحفي متفرجاً أو ينقل الصور جامدة باهتة كما تنقلها آلة التصوير (أو يروي الاحداث غير معني بما يصيب الامة والانسانية من خير

(١) عبداللطيف حمزة - مستقبل الصحافة - ج ١ ص ٢

وشر ••• والصحفي الناجح هو من يرتفع بالصحافة الى الادب (١) •
 فالصحفي أديب ينقب عن الالفاظ التي لها وقعها الفعال والتي تحصل
 بين ثنانيا حروفها معانيها الحية من حيث جرسها وصحة قياسها • فالصحافة
 قد مهدت من ناحية اخرى الى تبسيط اللغة بحيث يفهمها اكبر عدد ممكن
 من القراء ، وزيودتها بالحيوية الكافية للتعبير عن كل ما هو جديد أو
 مستحدث في الادب والعلم • فالصلة اذن وثيقة بين الادب والصحافة •
 ويكاد يكون فضل الصحافة على اللغة والادب أمرا مسلما به • وفي هذا
 يقول الدكتور (عبداللطيف حمزة) :-

(لو نظرنا الى بعض الاداب الاجنبية الحديثة لوجدنا فضل الصحافة
 ظاهرا على كل من اللغة والادب بجميع اشكاله المعروفة بل لقد وصل
 القوم في أوروبا وامريكا الى نتيجة هي الغاء المسافة بين الادب والصحافة
 حتى لقد اصبحوا لا يرون بين هذين الفئتين أكثر من خيط دقيق لا شك
 انه وهن مع الزمن واوشك ان ينقطع (٢) ولعلنا لا نعدو الحقيقة اذا
 ما قلنا أن الصحافة أعم واوسع من الادب • فالاديب مهما أوتي من قوة
 البيان ورجاحة العقل لن توصله هذه الامور الى مرتبة الصحفي ما لم
 يضيف الى ادبه هذا علوما وفنونا اخرى من سياسية ، واقتصادية ،
 واجتماعية حتى يستطيع التعبير عما يجيش في النفس من أمور المجتمع من
 مشاكل وحوادث يومية واسبوعية كيما تطلع الجماهير على ما يجري حولها
 وتوجهها الوجهة الصالحة • يقول الاستاذ (عبدالقادر حمزة) :

(ان المتعارف عليه هو ان الادب عنصر من عناصر الصحافة • ولكن
 الصحافة ليست الادب • بل هي فن اعم واوسع ، فالاديب قد يكون كاتباً
 مبرزاً وبخاتة لا يشق له غبار ، ولكن لن يكفيه ذلك لكي يكون صحفياً

(١) سلامة موسى - الصحافة حرفة ورسالة - ص ٤١ القاهرة سنة

١٩٥٨ م •

(٢) عبداللطيف حمزة - مستقبل الصحافة - ج ١ ص ٥

وانما يكون بان يجمع الى الادب علوما وفنوننا اخرى ثم بان تكون له خبرة كافية بالناس وبالاشياء وبالحوادث وبأذواق الهيئات المختلفة ثم بان يبرز مع هذا كله الملكة الصحفية^(١) من هذا يظهر لنا انه ليس كل اديب صحفيا ولكن ينبغي ان يكون كل صحفي اديبا ، لان الصحافة اصبحت اشبه بدائرة معارف وبات الارتباط بينها وبين الادب وثيقا . كما وان الاديب رجل ذاتي يعنى بشخصيته وحدها فيصور لنا ما يدور في خلدات نفسه واسرارها ويكون لوصفه صدى في نفوس القراء ما داموا قادرين على قراءته وفهمه .

اما الصحفي فرجل غير ذاتي لانه مسؤول عن مجتمعه باسره فيسجل اراءه وسكناته ويقدمها الى القراء . ذلك لان الصحافة في جوهرها عمل اجتماعي يقوم على تنوير الاذهان والاتصال بالرأي العام ومن ثم كان على الصحفي ان يتأمل الحوادث والاخبار ويعقب عليها ويشرحها دون مراعاة لمصلحته الذاتية وانما تفتى ذاته ومصلحته الشخصية في مصلحة المجتمع ومستقبله^(٢) .

من كل ما تقدم يتبين لنا الصلة الوثيقة بين الادب والصحافة وفضل الصحافة في نمو الادب ورقيه باهم فنونه القصيدة والمقال . لذا كان لزاما علينا ان نتبع الخطوات التي مهدتها الصحافة للادب لتفهم مدى ما ادته الصحافة العراقية من خدمة للادب من حيث تطوره وازدهاره . وفي هذا الفصل سنتناول بالبحث :-

١ - القصيدة الشعرية والصحافة العراقية وهنا نتكلم عن :-

أ - القصيدة الشعرية في الاتجاه السياسي والوطني .

(١) هذه الفقرة مأخوذة من كتاب - الصحافة والصحف - لعبدالله حسين ط ١ ص ٥٣ سنة ١٩٤٨ م .

(٢) راجع : عبداللطيف حمزة - مستقبل الصحافة - ج ١ ص ٨-٩

ب - القصيدة الشعرية في الاتجاه الاجتماعي •
ثم نتكلم عن الصحافة العراقية وتطور فن المقال • وهنا نتناول
بالبحث :-

أ - المقالة في الاتجاه السياسي •

ب - المقالة في الاتجاه الاجتماعي •

(القصيدة الشعرية والصحافة العراقية)

للصحافة الاثر البالغ في القصيدة من حيث غرضها ، ومن حيث لغتها ،
واسلوبها ، ومن حيث الدور الذي ادته للبيئة العراقية في ميدان السياسة
والمجتمع والادب • ولو تتبعنا الحركة الشعرية في العراق من منتصف
القرن التاسع عشر حتى اوائل القرن العشرين لوجدنا ان الشعراء كانوا
طليعة النهضة العراقية سياسية كانت أم فكرية أم ادبية أم اجتماعية •• كل
هذا بفضل الصحافة التي لعبت الدور الفعال في نقل القصيدة من طور الى
طور ، والارتقاء بالشاعر من حالة الى حالة ، فالشاعر الذي وجد قبل ظهور
الصحافة والشاعر الذي وجد بعد ظهورها يختلفان كل الاختلاف •

الشاعر القديم كان يتخذ من شعره وسيلة للتسلية ، ويخاطب به
طبقة خاصة من الناس الذين يفهمون لغته ورموزه ، وهذه الطبقة هي طبقة
المثقفين ، بينما نرى الشاعر الحديث قد وهب نفسه لمجتمعهم عن طريق
الصحافة التي تقدم انتاجه الى ابناء وطنه ليحبر عن عواطفهم ومشاعرهم غير
معني بعواطفه ومشاعره لانه رجل غير ذاتي • نتيجة لهذا تأثرت القصيدة
الحديثة من حيث اسلوبها ومن حيث موضوعها •

اما من حيث الاسلوب : فان لغة القصيدة أصبحت من
السهولة بمكان بحيث يفهمها عامة الناس لان الشاعر يخاطب بها
العامة ، كما يخاطب الخاصة أن اراد النجاح لهدفه والسمو
لشعره ••• فلا بدله أن يفهم عامة الناس ويحسب حسابهم وبهذا تخلصت

القصيدة الحديثة من الالفاظ الغريبة والمستغلقة التي كانت تعتبر من علامات القصيدة الفريدة سابقا .

اما من حيث الموضوع : فقد كان الشاعر يقتصر المناسبات المختلفة ليتخذ من قصيدته عنوانا لمناقشة ظاهرة سياسية او اجتماعية او ادبية وتعليلها لان هذه الظواهر مجتمعة هي الموقظ والمنبه للشعراء على نظم القصائد ليقدموها الى الجمهور الذي ينتظر منهم قصائدهم . لذا كانت القصيدة في الصحف الاداة الاولى للتعبير عما يسمى - بالرأي العام - والرائد الحقيقي لبقية فنون الادب . فاذا حدثت في المجتمع حالة سياسية انبرت القصيدة للخوض في هذا الموضوع وتهافت الشعراء على نظم ما يبرز هذه الناحية واذا ما حدثت حالة اجتماعية قامت القصيدة للتعبير عن ذلك على صفحات الصحف ثم يأتي دور المقالة بعد ذلك معلقة وشارحة ما تهدف اليه القصيدة . من هذا يتضح ان القصيدة في الصحافة العراقية كانت اقوى تعبيرا واعمق تأثيرا من المقالة والسبب في ذلك : ان الطبيعة العراقية كانت ادنى الى الطبيعة القبلية او العشائرية تثيرها الحمية ، والنخوة ، وتطرب لسماع الشعر وتهتز له . وفي هذا اختلفت الحالة الشعورية في العراق عن الحالة الشعورية المقابلة لها في مصر في الاتجاه الصحفي . فلمقالة الصحفية في مصر كانت الرائد لجميع الفنون الادبية . يقول الدكتور عبداللطيف حمزة : (. . . . اما المقالة الصحفية فقد كانت هي القائدة الحقيقية لجميع الفنون فاذا تحدثت الصحف عن الاصلاح الاجتماعي كان على الفنون الادبية كلها ان تخوض في موضوع الاصلاح الاجتماعي . واذا تحدثت الصحف عن الجهاد الوطني او السياسي وجب على الفنون الادبية كلها ان تسلك هذا الطريق ، وهكذا)^(١) .

ولعل طبيعة اختلاف الثقافة في كلا البلدين - مصر والعراق - ادى

(١) عبداللطيف حمزة - مستقبل الصحافة - ج ١ ص ٥

الى هذا التباين في الاتجاه الصحفي • فمصر احتكت بأمتين عظيمتين - فرنسا وانكلترا - فأثر هذا الاحتكاك بها ، كانت نتيجته رقيها علمياً وثقافياً وسياسياً ، فبدأت منذ ذلك الوقت تشمط للعلم وللادب معا وتتهز الفرص لتثقيف البناؤها واعدادهم للمستقبل وقد مكنت كتابها من معرفة اللغات الحية ، والتضلع فيها للاطلاع على خصائص الامم الاخرى والانتفاع من آثارها المدنية ، فلا بدع اذا ظهرت صحفها حافلة بانواع شتى من المعارف • وقد ظهر فيها ثلثة من كبار كتاب الصحافة وحملة الاقلام ومشاهير الابداء • وقد سهلت هذه الوسائل على نمو الحركة الفكرية وساعدت على ارتقاء صحافتها ، حتى رنّ صدى مقالاتها في الآفاق^(١) ، واحتلت المقالة مكان الصدارة فكانت القائدة الحقيقية لجميع الفنون الادبية كما يقول الدكتور حمزة •

اما العراق : فقد ظل في سبات وغفلة طيلة الحكم العثماني اذ تعتمد العثمانيون امانة اللسان العربي ، والقضاء على آدابه فلم تشجع تأسيس المدارس ، ولم تهتم بالتعليم وحدا بها الى ان تعلم الناس باللغة التركية فعاد ابناء العرب لا يعرفون من لغتهم اكثر مما يعرفه التركي منها • كما ان الاتراك عمدوا الى عزل العراق عن كل ما هو حديث لذا انصرف العراقيون الى تلاوة الشعر وترداده ، وبقي الشعر محافظا على اصالته ، فهذا تخلفت المقالة الصحفية في العراق عن الشعر • وعندما بزغ نور الحرية باعلان الدستور عام ١٩٠٨م تسابق الشعراء في الحصول على امتياز باصدار جرائد لهم حتى ليعتبر من النادر ان نجد شاعرا من شعرائنا المعاصرين من لم يزاول الصحافة • فمعظم الصحفيين في العراق كانوا شعراء كالرصافي ، والزهاوي ، وشكري الفضلي ، وحسين الازري ، وابراهيم منيب ، ومن لم يكن شاعرا جعل عنوان مقالته بيتا من الشعر ،

(١) راجع : جريدة دار السلام - العدد الثامن في ١١ اب عام ١٩١٨م

ورصّع مقالته بايات كثيرة من الشعر لتؤثر في نفوس قرائها وهذا هو
الدليل الاخر على ان القصيدة الشعرية في الصحافة العراقية هي الرائدة
لجميع فنون الادب ، بينما تخلفت عنها القصيدة في الصحافة المصرية . وقد
كان الشعراء في العراق الرعيل الاول الذي ساهم في ايقاظ الهمم والدعوة
الى الاصلاح لذا نرى القصيدة في ادبنا العراقي الحديث قد سلكت طرقا
متعددة من اهم هذه الطرق اثنان هما :

طريق الجهاد الوطني والسياسي ، وطريق الاصلاح الاجتماعي .

(القصيدة في الاتجاه الوطني والسياسي)

كان الشعر منذ مدحت باشا عام ١٨٦٩م حتى قبيل اعلان الدستور
عام ١٩٠٨م يترسم خطى الفترة المظلمة بكل تقاليدھا الادبية سواء أكان
ذلك في المعنى أم في الالفاظ أم في الاساليب . كما كان يسبح في فلك
الولاية والوزراء فكان خادما امينا لاصحاب السلطة والجاه يكيل المدح
جاعلا من الوالي الظالم عادلا ، ومن البليد المعيا وهكنا انقلب معظم شعراء
هذه الفترة الى مادحين . ولنستمع الى احد هؤلاء الشعراء وهو - عبدالقادر
شنون - (١) حيث يقول مادحا والي العراق نامق باشا - عندما بنى الجسر
الذي يربط الرصافة بالكرخ عام ١٩٠٢م :

هي الحضارة ما تعلو به الرتب
وما سوى العدل في الدنيا هو السبب

واليوم اضحت بملك ساسه ملك
من آل عثمان مضروبا له الطب (٢)

(١) شاعر وصحفي ولد في بغداد (١٨٦٥م-١٩١٠م)

(٢) عبدالله الجبوري - من شعرائنا المنسيين - ص ٣٣ - بغداد

١٩٦٦م .

ومن الطريف أن نذكر أن الوالي نامق باشا عزل في يوم نصب
الجسر فقال اجد الشعراء فيه :

الله اكبر قوموا يا بني الزوراء نبتهل
فعن قريب جميع الخزي يرتحل

الله اكبر زال الشك بوارتحلت
عنا الهموم وزال الخوف والوجل

قد جاء خير فال من مؤرخه
بشري فنامق بعد الجسر ينزل (١)

وللزهاوي (١٨٦٣م - ١٩٣٦م) قصائد كثيرة في هذا الباب منها
مدحه للموالي عاصم باشا (٢) عندما بنى جسر - قرارة - عام ١٨٨٩م
جاء فيها :-

من ذاك جسر قد تمد د فوق دجلة بالمهارة
في قرب بغداد بمعد برة يقال لها قرارة
جمع المتانة والسيان نة والرزانة والنضارة
أنشأه عاصم النبي تزهو بطلعته الوزارة (٣)

وقد حفظت لنا دواوين الشعراء الكثير من هذا النظم وقد استمر
الاتجاه الشعري على هذا النمط حتى حدثت ظاهرة قبيل عام ١٩٠٨م
عرفت (بالمشروط والمستبد) انقسم الناس فيها الى قسمين كل منهما يدعم
رأيه بحججه ويناضل عنه ويسفه رأي خصمه .

-
- (١) ذكر عباس العزاوي هذه الابيات في كتابه - العراق بين
احتلالين - ج ٨ ص ١٤٤ وقال عنها : انها لا يعرف ناظمها .
(٢) من الولاة الذين تعاقبوا على حكم العراق .
(٣) عباس العزاوي - العراق بين احتلالين - ج ٨ ص ٩٦

فالفريق الاول - المشروط : يرون أن يكون حكم السلطان مشروطاً باقامة مجلس شورى - برلمان - وفي هذا الجانب المتحررون والمتجددون والقائلون باقامة حكم عادل ومساواة بين الرعية .
 اما الفريق الثاني - المستبد :- فيرون اطلاق يد السلطان بكل ما يراه وحسب معتقده صلاحا لانه المرجع الديني .

وفي هذا المجال السياسي العنيف - المشروط والمستبد - انبرت القصيدة مصورة لهذا النزاع الفكري . وكان معظمها يدعو الى التحرر . وفي هذا يقول السيد عبدالمطلب الحلبي يصف - محمود شوكت - بطل الانقلاب العثماني ويمدح الرئيس الاعلى ^(١) للمشروطية وهو العلامة المتحرر الشيخ - ملا كاظم - قال :-

| | |
|-------------------------------|--|
| وطار صماخ الجور حتى تركته | ومعطسه من تحت نعليك راغم |
| غداة لطمت (المستبد) بلطمة | على تاجه منها غدا وهو لاطم |
| فهبث رجال من سلانك ايقظت | الى العدل عين الحزم والحزم نائم |
| فلم تبق من تلك العروش وان علت | بناء سوى الاثار وهي علائم |
| ترحل عنها صاحب التاج واغتدت | ترن بهاتيك القصور الحمامم ^(٢) |

وما ان اعلن الدستور العثماني عام ١٩٠٨م مبشرا المستعبدين بالحرية والمظلومين بالانصاف حتى انطلقت قرائح معظم الشعراء ، وهم السباقون في مثل هذه الحوادث ، للتعبير عما يعتلج في نفوس الجمهور العراقي . وقد اولى الشعراء والادباء هذه الناحية - الناحية السياسية - اهتمامهم اكثر من اية ناحية اخرى لانها كانت تهدد كيانهم اولا ، ولانها شيء جديد لم يألفوه في حياتهم سابقا . استمع الى الرصافي معلقا فرحته بهذا العيد - الدستور - حيث يقول :-

(١) راجع : عبدالكريم الدجيلي - محاضرات عن الشعر العراقي - ص ٢٤ ، ٢٥ القاهرة عام ١٩٥٩م .
 (٢) المصدر السابق ص ٢٥

سقتنا انعالى من سلافتها صرفاً
وغنت لنا الدنيا تهنتنا عزفا
وزفت لنا الدستور احرار جيشنا
فأهلاً بمن زفت وشكراً لمن زفا
ولاحت لنا حرية العيش بعدما

اماطت لنا الاحرار عن وجهها السجقاً^(١)

ويمكن أن نعتبر اعلان الدستور العثماني المنطلق الاساسي للسير
بالقصيدة^(٢) الشعرية في المحيط السياسي وذلك في الاتجاه الصحفي لهذه
الفترة فكانت القصيدة تسير مع الصحافة جنباً لجنب ولا تترك مناسبة من
المناسبات حتى تكون لها الكلمة الاولى . لكن الاتراك بعد فترة وجيزة رأوا
في هذه الحرية التي اعدوها بدستورهم ما يهدد كيان مملكتهم لان الروح
القومية بدأت طلائعها تفعل فعلها في نفوس ابناء المملكة لا سيما العرب
منهم . فأمعن الاتحاديون في تعذيب الشعراء والكتاب ومطاردتهم . وفي
هذا الجو الارهابي انكشفت القصيدة السياسية في الصحافة واتخذت طابعا
آخر همةً بالتعني بأمجاد العرب ومفاخرهم وتارة اخرى تصف تأخر العرب
وما وصلوا اليه بعدما كانوا سادة الامم . هذه النعمة في الشعر العراقي
في المجال الوطني تتألف من الشعر الذي قيل في معنى - القومية - وقد كانت
هذه النعمة قبل اعلان الدستور لا حدود لها ولا اطار ، وكان مفهومها
آنذاك أن يتقدم العراق وسائر البلاد العربية وتهض من رقبتها ، لكن اعلان
الدستور حدد لها مفهومها واطارها الواضح كل ذلك بفضل الصحافة التي
نبهت الافكار الى ما يراد بالعرب من شر . وقد صحب هذه الحركة الوطنية
طائفة من الشعراء منهم : معروف الرصافي ، والزاوي ، ومحمد
مهدي البصير ، وعبدالرحمن البناء ، وخيري الهداوي وغيرهم .

(١) ديوان الرصافي ط ٤ ص ١١٣ دار الفكر العربي .

(٢) راجع : فصل الصحافة وتطورها .

قال خيرى الهنداوي من قصيدة عنوانها - اين كنا واين صرنا -
جاء فيها :-

قم فوجد من حزمك الأجنادا وادع بالعزم وامطيه جوادا
واردع الروع واقترح عمرات الـ موت واملأ صدر الفضاء طرادا

★ ★ ★

صاح طال القعود في ظلمات الهو ن فاقده من لانهوض زنادا
وتذكر آباء آبائك الصيد د وما قلدت به الاجدادا (١)

وقد تمثلت الروح القومية المخلصة في شعره عندما يفخر بقومه
العرب متغنيا بمجادهم ، وشدة بأسهم في القتال • جاء في قصيدته
- اين قومي :-

اين قومي وهل ترى غير قومي امة تصدع الصفا والحديدا ؟
اين قومي ابناء قحطان حازوا طارف المجد والعلاء التليدا ؟
شهد السيف انهم امة الحـرب اذا هزت الكمأة البنودا

★ ★ ★

ان ظني واكبر الظن حق ان قومي لا يرتضون القعودا
يتخطون بالقواضب حدا للعدو الذي تخطى الحدودا (٢)

ولك ان تقرأ قصيدته بعنوان - استنهاض الامة العربية - لتراه يذكر
الآباء والاجداد يوم عزهم وسطوتهم قال :

نحن ابناء قادة الناس واليو م تركنا منا اليها القيادا
بعد ان لم ندع من الارض شبرا لم تطأه الجيوش منا جهادا
فلاأنا السهول خيلا ورجلا وارثينا بخيلنا الاطوادا

(١) مجلة تنوير الافكار (العدد الاول) ص ٣١ عام ١٩١٠ م •

(٢) جريدة صدى الاسلام - عدد ٧٩ السنة الاولى ١٩١٥ م •

سل جميع العباد عنا اذا شئت وسل ان اردت عنا البلادا

★ ★ ★

اصبحت خيلنا باندلس فار تيج قطرا وضاق عنها وهادا
واناخذت على مراتب قسطنطين طين فانقاد اهلها استعبادا

ثم يختم قصيدته بقوله :-

نحن قوم نريد بالناس خيرا اوجد الله خلقه ايجادا^(١)
قد طبعنا على الفضائل لما ليس نعري لغير ذاك الجيادا

ثم استمع الى الشاعر - محمد السماوي - في قصيدة عنوانها - دعوة
العراقيين - جاء فيها :-

وا لهفناه على العراق اما به رصد لعالم
يا قومنا ماذا القعود اما بكم للعلم قائم
نهضت بنو الدنيا واتم جاثم في اثر جاثم
اتم بنو القوم الالى سبقوا فليس لهم مقاوم
حازوا الفواضل غير مكثرين في حز الغلاصم
فتبعوهم فالاراقم لم تلد الا الاراقم
وتقدموا للفضل ان الفضل ذو شر لقدام
وعظوا نفوسكم وعضوا نادمين على الاباهم^(٢)

وهذا الشاعر العراقي محمد الهاشمي^(٣) ينشر قصيدته - لغة
العرب - في مجلة لغة العرب فتثير دويا في الاوساط القومية، وتهز اركان
الدولة العثمانية، فتودع الشاعر في السجن لافتخاره بلغة آبائه واجداده

(١) جريدة صدى الاسلام - عدد ١٢٢ السنة الاولى ١٩١٥ م .

(٢) جريدة الرقيب عدد ١٢٣ السنة الاولى .

(٢) شاعر وصحفي .

وتنديده بالسياسة العثمانية • جاء فيها :-

الجائرون بحكمهم اهلوك
كنت الملكية في اللغات وانما
ابكيك مما يعتريك وانسي
وسعت رساتك الكتاب فما لهم
أنسيت ايام الرشيد ام اتنى
ظلموك اذ خمدوا وما رحموك
كان الملوك على الانام ذويك
ابكي زمانهم كما ابكيك
جهلوا الكتاب وما لهم جهلوك
منك الفؤاد الى الامين اخيك

★ ★ ★

عذلي اوجهه الى العرب الالى
جهلوك (يا ام اللغات) جميعهم
تركوك (يا لغة النبي) وآثروا
تركوك (والترك) الالى تركوك
ولقد شناك بنوهم وبنوك
في المسلمين سياسة التتريك

★ ★ ★

ثم ينتقل الى وصف آلام العرب في اقطارهم لهذا الامر الجليليشير
الى الرابطة العربية التي تربط هذه الاقطار فيقول :

ونعتك مصر والشام وبعدها
حتى م يا شعب العراق اراك في
في امس فيك خلائق وعروشهم
امسى العراق بدمعة يرثيك
لين الدليل وذلة المملوك
كم فيك هذا اليوم من صعلوك^(١)

وعندما قرأ الناس هذه القصيدة في هذه المجلة ، واصبح لها صدى
في الرأي العام انبرى الشعراء يعبرون بقصائدهم عن هذا المعنى ، منهم
الرصافي الذي قال بعنوان - سياسة لا حماسة - مطلعها :

الشعر مفتقر مني لمبتكر
ولست للشعر في حال بمفتقر
ومنها :

(١) مجلة لغة العرب العدد الخامس ص ٢٣٣ عام ١٩١٣ م .

وهي ان شئت مني ادمع غسزرد
 ابكي على امة دار الزمان لها
 قبلها ودار عليها بعد بالغير
 زان الطروس وليس الخبر كالخبر
 لكن اقيم بهم ذكرى لذكر
 ولست اذكر الماضين مفتخر

★ ★ ★

لهفي على العرب امست من جمودهم
 اين الججاج ممن ينتمون الى
 حتى الجمادات تشكو وهي في ضجر
 ذؤابة الشرف الواضح من مضر

★ ★ ★

يا ايها العرب هبوا من رقادكم
 كيف النجاح وانتم لا اتفاق لكم
 فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطر
 والعود ليس له صوت بلا وتر
 يا اكثر الناس عدداً غير منحصر^(١)
 ما لي اراكم اقل الناس مقدرة

كما كان الشعراء يحنون الى بلاد العروبة ، ويقتضون المناسبات
 التي تحل فيها ليسجلوها على صفحات الجرائد لاحتاسهم - اعني
 الشعراء - بان البلاد العربية كلها اسرة واحدة ، لها كيانها ، ومقوماتها
 ولها تاريخها ، كما وان مصائبها واحدة وان بعدت الاوطان وجالت
 الحدود . وفي ذلك يقول محمد الهاشمي بعنوان - الى مصر - :-

يا مصر هل لي مورد من نيلك الصافي الغزير
 اشفي به ظمأي واطفيء غلتي ذات السعير
 كم لي الى مصر بكا والليل مسدول الستور
 يا مصر ان يسلم اللسان فسا سلا يوما ضميري
 شمع السيل على أسير البعد أيام المسير^(٢)
 والقصيدة طويلة تزيد على المئة بيت .

(١) مجلة لغة العرب العدد السادس ص ٢٨١ - ٢٨٢ عام ١٩١٣ م .

(٢) مجلة لغة العرب - العدد العاشر - ص ٥٠ عام ١٩١٤ م .

لكن هذه الدعوة القومية والوطنية اخذت تكبت اثناء الحرب العالمية
 اكراما للدولة العثمانية المسلمة • فكتب الشعراء احاسيسهم ونزعاتهم
 الوطنية متأثرين بالجامعة الاسلامية التي دعت الى جمع شتات المسلمين
 تحت ظل الخلافة العثمانية ، لذا نجد الشعر العراقي في هذه الفترة من
 سنوات الحرب يستمد اصوله من الدين (لان الشعراء كانوا يعتبرونه
 جزءا من القومية العربية وقاعدة مهمة من قواعده)^(١) • وقد اوقف
 الشعراء العراقيون شعرهم والادباء ادبهم للدفاع عن الدولة العثمانية
 حامية الدين • وقد رافق هذه الحركة شعراء كثيرون من اهمهم عبدالرحمن
 البناء ، وشكري الفضلي ، والزهاوي ، وناجي القشطيني ، ومعروف
 الرصافي ، معلنين على صفحات الجرائد صيحاتهم للجهاد • قال عبدالرحمن
 البناء بعنوان - ونادت يا رشاد - :-

أ أصبح ماء دجلة غير ماء أم الاجسام حل بها اعتلال

* * *

| | |
|--------------------------|---|
| فهلأ قد علمتم كيف اودى | باندلس ومصر الاحتلال |
| وقفقاس وايران وفاس | وتونس كيف ادى الاعتزال |
| جوامعكم غدت يبا وفيها | سما فخرأ على الحق الضلال |
| أيرسم فوق محراب صليب | وفي افق الهدى يزهو الهلال |
| فحاشا بل هلال الدين باد | وغايتيه التجلي والكمال |
| كأنني بالليوث الصيد صالت | على الكفار فانفرج المجال ^(٢) |

وهذا الشاعر شكري الفضلي^(٣) يصور لنا المعركة وما فيها من
 ابطال شجعان يحملون السيوف وهم يتهاقنون على الموت ليعيشوا احرارا •

-
- (١) يوسف عز الدين - خيري الهنداوي - حياته وشعره - ص ١٦ •
 (٢) جريدة صدى الاسلام العدد - ٤٧ - عام ١٩١٥ م •
 (٣) شاعر وصحفي ، ولد في بغداد عام ١٨٨٢ م وتوفي عام ١٩٢٦ م •

قال تحت عنوان - الدفاع عن الخلين - :-

نهضنا وللدعم العتاق ضهيل

ولليض في هام الكمأة سليل

نهضنا وحشو الجو زار مدافع

تهول وملء الخافقين عويل

نهضنا وكل البر خيل عوابس

ورجل طغاة للقتال تسيل

ترانا اذا فل الطعان سلاخنا

أسود عليهم بالاكف نصول

فأنا لنهوى موت عز مؤبد

ونأبى حياة الذل وهي تطول^(١)

ثم استمع الى الزهاوي يمدح قائد الجيش التركي (انور) ثم

يختمها بدم الانكليز وغدرهم تحت عنوان - ايها الجيش - فيقول :-

الا ايها الجيش اللهم المعسكر تقدم فأنت المستطيع المظفر

تقدم تقدم للامام مهيمنا تقدم ولا تحذر فخلفك انور

★ ★ ★

رعى الله للدنيا وللدين انوراً

فقد سلته سيفاً له النصر جوهر

أ أنور انت اليوم درع لامة

ويخذلهم حتى يموت التجير

وانك سيف الله يمحو به العدى

لفضلك في هذي الزيارة تشكر

قدمت على رجب لبغداد إنتها

★ ★ ★

(١) جريدة صدى الاسلام العدد - ٧٥ - عام ١٩١٥ م .

يؤمل فيك المسلمون تقدماً
وانك يا جيش الهلال على الذي
قد كنت في الماضي عليهم مظفراً
يرج العدى حتى يولوا ويدبروا
يؤمل فيك المسلمون لتقدر
وانك في الآتي كذاك مظفر

★ ★ ★

وما هذه في الدهر اول مرة
بغوا مرة من بعد اخرى فنالهم
رأى الحق فيها الانكليز فانكروا
اذى البغي والتاريخ امر مكرر

★ ★ ★

اذا داس رجل الانكليز ربوعها
ثم تقرأ قصيدة الشاعر (ناجي القشطيني)
الاتراك على الانكليز بعد محاصرة الكوت عام ١٩١٦م قال تحت فنوان
فلا خندف ترضى ولا الأوس تعذر^(١)
- نفثة مصدور - :

الا في سبيل الله هل من مجاهد
وهل من فتى شاكي السلاح يدود
ويحمي حمى الاسلام من كل معتد
فهذا عدو المسلمين تدفقت
تصب عليهم نارها وعذابها
الى ان يقول :

لقد حسبت انكرا انهم مضوا
وسارت كما شاءت وشاء لها الهوى
وما هي إلا جولة ثم اصبحت
ثلاثون الفا كان (في الشط) هلكهم
وطأطأ (تاوتزند)^(٢) للموت رأسه
ولم يتركوا اشبالهم في المراصد
ولم تدر كم ليث بها غير راقد
كنايبها ما بين ميت وشارد !!
وعشرون الفا اصبحوا في المصائد
وما نقد الحيات جلد القنفذ !

(١) جريدة صدى الاسلام العدد - ٢٦٠ - عام ١٩١٥م .

(٢) ديوان الشاعر المخطوط في مكتبته الخاصة .

(٣) قائد الجيش البريطاني في الكوت .

ومنها :

غنيمة يوم لم يرَ الناس مثله به ذكروا أيام سعد وخالد
وقد شاهدوا في الكوت للنصر مشهدا سيقى مدى الايام خير المشاهد !!

وقد استمرت القصيدة على هذا النهج حتى احتلال بغداد من قبل
الانكليز عام ١٩١٧م • فاذا بالقصيدة تتجه الى مدح الانكليز ولم يشبت
اكثر الشعراء على رأيهم • لقد قلب الشعراء في الامور السياسية والرأي
تحت تأثير العواطف العارضة ، لان الباحث يجد بين اشعارهم نقدا عنيفا
للاتراك من جهة وتحسرا مريرا على عهدهم من جهة أخرى ، ثم نجد
الشعراء أنفسهم يمدحون الانكليز من ناحية وينددون بالظلم والظغيان
من ناحية أخرى • وهذا ما تزخر به جريدة صدى الاسلام المعبرة عن
اهواء الدولة العثمانية وميولها ثم نجد في الجرائد الموالية للانكليز كالعرب
ودار السلام ومجلة دار السلام قصائد للشعراء أنفسهم^(١) فلنستمع الى
ابن الاريحية في قصيدته بعنوان - الا ايها العرب الكرام - حيث يقول :

الا ايها العرب الكرام الى كم ذا التغافل والمنام
افيقوا وانهضوا للمجد جمعا فما يجديكم الا القيام

* * *

يميت الجوع آلافا وَيُقْنِي (جمال)^(٢) ما حوت حلب وشام
وكم للترك افعال قباح واعمال احلّوها حرام
اساموا العرب فيها واستهانوا ولم يعرف لهم فيها ذمام
لذا قام الشريف ابو المعالي (حسين)^(٣) واستفز به الهيام

(١) راجع : فصل اهم الصحف •

(٢) أحد الولاة الاتراك • عرف بظلمه وقسوته حتى لقب (بجمال

باشا السفاح) •

(٣) يريد (الملك حسين بن علي الهاشمي) •

اعينوا بالقنا حصاء ملك له في الحرب افعال جسام
وكونوا في الوغى جينا لجنب فان النصر آخره الختام^(١)

ثم اشمع الى (ابن ماء السماء) في قصيدته - ليلة سقوط بغداد -
بيد الانكليز حيث يقول:

ما بال بغداد قد ضاقت بها الحال
بالامس كانت بقايا الجند رابضة
وكان للترك فوضى من تجبرهم
كانت بهم غرفات الظلم شامخة
من جهة الشرق وافتهم مصائبهم
من سوح معمعة خرت بساحتها
وخفت بالاهل منها اليوم ترحال
فيها وللناس اشغال واعمال
واليوم للترك لا قيل ولا قال
ما اصبح الصبح الا وهي اطلال
فخفت منهم لنحو الغرب اقبال
منهم نفوس نفسيات وامال^(٢)

وهذا ابن بابل - محمد مهدي البصير - يقول في قصيدته - الليل

والصباح - :-

رب ليل كلال النجم له
ماجت الظلماء امواجا به
رام ان يغرق فيها بدره
تخذ الجو له عاصمة
فغزاه الصبح في جيش السناء
وقضى اذ حكم الضوء به
مثل جور الترك قد كان لذا
فكان الافق اذ تهرره
فوق عرش الافق تاجا فانعقد
فحسبت الشهب اذ تطفو زيد
فاقامت دونه الانوار سد
واقر الحكم فيها واستبد
وشعاع الشمس يتلوه مدد
لعرين الافق في نفي الاسد
شملة مثلهمو صار بدد
حملة الظلماء شعب يضطهد^(٣)

(١) جريدة العرب - العدد (٣١) في ٦ ايلول عام ١٩١٧ م .

(٢) جريدة العرب - العدد (٣٢) في ٧ ايلول عام ١٩١٧ م .

(٣) جريدة العرب - العدد (٩٧) في ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ م .

وهذا الشاعر كاظم الدجيلي في قصيدته - الزمان العتيد - حيث يقول :-

هاج وجدي ذكرى الزمان العتيد وشجاني فقد السري الرشيد
وعراني من دهشة الحال ما لم يعرني في زمان عبدالحميد
لست ان قلت بالمبالغ **وصفا** فلقد جئتكم بقول سيد
انا من عاش في العراق غريبا انا حرّ مقيّد بقيود^(١)

الواقع أن أكثر هؤلاء الشعراء صوروا لنا حياتهم النفسية المضطربة وقد كانوا مدفوعين بحب المال والجاه من قبل الاحتلال وفي هذا يقول الدكتور يوسف عز الدين : (اما الذين مدحوا الانكليز فقد كانوا خائفين وجلين مضطربين ، صوروا الحالة النفسية المضطربة التي تعقب الحروب ورسموا لنا المثل العليا والاهداف الاجتماعية السامية التي تختلف باختلاف الحاكم)^(٢) . لذا نرى الشعراء بعد أن هدأت الامور واستقر الوضع اندفعوا كما يظهر بدافع وخز الضمير مع صفوف الوطنيين فكانوا طليعة شعراء ثورة العشرين . تلك الثورة التي أفضت مضاجع الانكليز وقضت على احلامهم لان من طبيعة الشعب العراقي انه لا ينصاع لحاكم جائر ، شعب يعشق الحرية ويقدسها . فهذا الشاعر محمد مهدي البصير يهيب بالعراقيين بالثورة على الاحتلال الانكليزي . شاحذا نفوس القوم لفك الاغلال وبذل النفس والنفس لتحرير الوطن . اسمعه يقول :

هدموا السلام فوطدوا آمالهم بحماية الارعاد والابراق
ليحطم المستعبدون قيودهم فالجور أيأسهم من الاعتاق

(١) مجلة دار السلام - العدد السادس - ص ٢٠١ في ٢٣ آذار عام

١٩١٩ م .

(٢) يوسف عز الدين - الشعر العراقي الحديث - ص ١١٤ .

ولسوف اكسر غل عنقي جاهدا
انا يا رفقي لا اريد سلامتي
ان لا اسلمها الى الاطواق
فتذكروني ان هلكت رفاقي
الى ان يقول :

وغلى الدم العربي في فواجبي
وهو القائل في قصيدته الثورية (وايك أن الحق غالب) :-
تصيح مجدي بالدم المهرق^(١)

بين الاسنة والقواضب
اهلاً بأبطال البلاد
شرف المبادئ والعواقب
حماتها عند النوائب
ردوا لنا الحق الذي
ما ان نزال به نطالب
ردوه أن سـيـوفكم
عوذ له من كل غاصب
ظنوا العراق فريسة
وقد التقت فيها المخالب
أيضاً شعب باسل
جم المآثر والمناقب^(٢)

وهو القائل في قصيدته - ليك ايها الوطن - :

ان ضاق يا وطني علي فضاكا
فلتسع بي للامام خطاكا
اجرى ثراك دمي فان انا ختته
فلينبذني ان تويت تراكا
بك همت بل بالموت دونك في الوغي
روحي فداك متى اكون فداكا
اتراك تضمن لي كرامة مصرع
فيه ايت مجاورا صراكا

(١) محمد مهدي البصير - البركان - ص ٤٨ عام ١٩٥٧م بغداد .

(٢) المصدر السابق ص ٥٨ .

هب لي بربك موتة تختارها
يا موطني اولست من ابناكا (١)

وهذا عبدالرحمن البهاء من شعراء الثورة العراقية المعروفين الذي
كان ينشر قصائده في صحف الثورة حيث يقول :

الا هكذا من رام ان يتحررا
يطالب ومن يسكت يعش متأخرا
نهضنا فكسرنا القيود بهممة
لها قد غذا جمع العدو مكسرا
نهضنا الى استقلالنا بتكاتف
نعمر مجدا قبلنا قد تبغثرا (٢)

وهذا الزهاوي (٣) يرثي الشهداء ويصف موقعة الرميثة بين الابطال
العراقيين والانكليز حيث يقول :

ماذا بضاحية الرميثة
من غطارفة ججاج ؟
ولمن اقيمت في اليبوت
على كرامتها المناوح ؟
قوم الى دار البوار
مشوا فمن غاد ورائح

-
- (١) جريدة الاستقلال - العدد (٢٦) عام ١٩٢٠ م .
(٢) عبدالكريم الدجيلي - محاضرات عن الشعر العراقي - ص ٥١ .
(٣) من الغريب أن الزهاوي عاد وهجا ابطال هذه المعركة عند قدوم
المنذوب السامي - برسي كوكس - الى العراق وهذا يعود الى قلق الشاعر
وحبه للمال والجاه لاننا نراه بعدما يئس من الحصول على المركز عاد يحن
الى عهد الاتراك . والزهاوي لا يقاس بمن ذكرنا من الشعراء .

طلبوا مساواة الحقوق
فطوحت بهم الطوائح
فزكت دماء قد اريقت
فوق هاتيك الاباطح
ثم يصف الثوار وشهامتهم والانكليز وصرعاهم فيقول :
ومطوحين بنفسهم
خوف المذلة في المطاوح
ترك العدى قتيانهم
صرعى على سوح المسارح
وكان طياراتهم
في الجو عقبان جوارح^(١)

وهكذا وقف الشعر معلنا الحرب على الانكليز لاسترداد حق مهضوم وحرية مسلوقة . حتى انتصرت تلك الصيحات بتأسيس حكم اهلي ، وانتخاب فيصل ملكا على العراق . وقد عقد العراقيون على هذا الحكم آمالا جساما ، غير انهم اصبوا بخيبة امل مريرة ، لارتقاء الحكام باحضان الانكليز ، والسير في ركابهم . فكان الشعراء لسان هذه الامة الناطق وقلبها المعبر ، تارة بشكل سخريه لاذعة من الحكومة ووزرائها ونوابها ، وتارة اخرى بالالم والحسرة لمن جعل من نفسه وصيا على هذا الشعب في توجيه سياسته . كل ذلك بالحن وطنية رقيقة الاسلوب سهلة المعاني وكان الرصافي هو السباق الى تسجيل هذه الظواهر حيث يقول :
انا بالحكومة والسياسة اعرف
أألام في تنفيذها وأعنف

(١) ديوان الزهاوي ص ١٧٦ - المطبعة العصرية - مصر عام ١٩٢٤ .

سأقول فيها ما أقول ولم اخف
من ان يقولوا شاعر متطرف
هذي حكومتنا وكل شموخها
كذب وكل صنيعها متكلف

★ ★ ★

ثم يصف الدولة ودستورها ونوابها فيقول :
علم ودستور ومجلس امة
كل عن المعنى الصحيح محرف
اسماء ليس لنا سوى الفاظها
اما معانيها فليست تعرف
من يقرأ الدستور يعلم انه
وفقا لصك الانتداب مصنف
من ينظر العلم المرفرف يلقه
في عز غير بني البلاد يرفرف
من يأت مجلسنا يصدق أنه
لمراد غير الناخين مؤلف
من يأت مطرد الوزارة يلفها
بقيود اهل الاستشارة ترسف (١)

من كل ما تقدم يظهر لنا ان الشعر السياسي كان قائدا ورائدا في
جميع معاركنا وقضايانا لم يتخلف عن معركة ولم ينفصل عن قضية ، وكان

(١) ديوان الرصافي ط٤ ص ٤٦٣ دار الفكر العربي *

له الدور الخطير في التعجيل بالثورة على المستعمرين واعوانهم حتى
تم لنا النصر .

(القصيدة الشعرية في الاتجاه الاجتماعي)

في كلامنا عن القصيدة السياسية في الاتجاه الصحفي قلنا ان المشكلات
السياسية قد استحوذت على جزء كبير من تفكير الشعراء وشغلتهم عن
المشكلات الاجتماعية . لانها هددت كيانهم وهزتهم هذا عنيفا ، لذا كانت
النواحي الاجتماعية تحتل المكانة الثانية . وقد كان الشعراء قادة الاصلاح
الاجتماعي فهم اول المردين لهذه النعمات التي لا تقل قوة وصراحة عما
عالجوه في النواحي السياسية . وقد اتسع صدر الصحافة لهذه الصرخات
الاجتماعية واحتضنتها على صدر صفحاتها نحض الجمهور على التقدم وتحثه
على التجدد . واول هذه الصرخات تلك التي أطلقها الشاعر (جميل
صدقي الزهاوي) في جريدة المؤيد المصرية بعددها - ٦١٣٨ - من عام
١٩١٠م تحت عنوان (المرأة والدفاع عنها) . فهاج لها الرأي العام
العراقي وسارت المظاهرات الصاخبة ضد الرجل متهمه اياه بالخروج عن
الدين والمروق عن التقاليد . كما ان الزهاوي في الوقت نفسه كان يدعو
الى تحريرها وفك اسرها من قيودها عندما كان يدرس في مدرسة
الحقوق في بغداد . وكان رجال الدين على رأس هؤلاء المنسدين مما
اضطر (ناظم باشا) والي بغداد آنذاك لتلبية لالاحاحهم الى اقصاء الزهاوي
من مدرسة الحقوق . غير انه تنصل من مقاله الذي نشره على صفحات
المؤيد خوفا من غضب العامة التي ارادت قتله ، لذا كتب في جريدة الرقيب
مقالا تحت عنوان - شكوى الزهاوي الى ناظم الحكومة في بغداد -
جاء فيه :-

(اسمع ان احد المشائخ المتلبسين بالتقوى في بغداد ، البلد الذي
يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الواقعي ، اخذ يدير رحي فتن جسام

فيحرض الجاهلين على الايقاع بي باسم الدين ، البريء من الظلم جزاء
مقالة اجتماعية نشرت بامضائي في المؤيد الاسبوعي كما في تنوير الافكار،
دفاعا عن المرأة • وهي عدا كونها شبهات ضعيفة استتفهامية تزول من
نفسها ولم يتعين بعد اكايتها أنا أم هي مزورة على لساني من عدو لي في
العراق (•••) (١) لكن هذا لم يثنه عن عزمه وقد شملت المعركة بين
القديم والجديد معظم النواحي الاجتماعية وحفظت لنا الصحف صورا
دقيقة لهذه المشاكل • وكانت المرأة وتحريرها من ابرز الموضوعات واكثرها
اثارة للجدل • انقسم الشعراء من اجلها الى فرقتين فرقة تدعو الى التجدد
والتقدم والتحرر ، وفرقة تبغي المحافظة على كل ما هو قديم • وكان
الزهاوي والرصافي وخيري الهنداوي يمثلون الفرقة المتحررة • والشاعر
عبدالحسين الازري ومحمد السماوي وحمزة قفطان وعبدالرحمن البناء
يمثلون الفرقة المحافظة • وقد تأثر دعاة السفور وتحرير المرأة بالاراء
التي اطلقها (قاسم امين) مناديين بتحرير المرأة ومساواتها بالرجل
وتعليمها • غير انهم جوبهوا بالنقد اللاذع والتجريح شأن كل مصلح
ينادي بفكرة لم يألفها المجتمع • اما المحافظون فقد رأوا في انطلاق المرأة
من بيتها ما يهدد الكيان الاجتماعي والخلق العام (٢) • اشتدت المعركة
الفكرية بين الفريقين فقصيدة تأخذ بقصيدة ورأي يعارض نظيره •
ولنستمع الى الزهاوي في قصيدته - هي الحقيقة - التي نظمها حين قامت
الضجة عليه حيث يقول :-

هي الحقيقة ارضاها وان غضبوا

وادعيها وان صاحوا وان جلبوا

(١) جريدة الرقيب - العدد (١٧٢) السنة الثانية عام ١٩١٠م •

(٢) راجع يوسف عزالدين - خيري الهنداوي حياته وشعره -

اقولها غير هيب وان حنقوا
وان اهانوا وان سبوا وان تلبوا
ان يقتلونى فكم من شاعر قتلوا
أو ينكبونى فكم من عالم نكبوا
ولست اول من ابدى نصيحته
لقومه فآتاه منهم العطب
الى ان يقول :-

هو التعصب قد والله اخركم
عن الشعوب التي تسعي فتقرب (١)

لقد بقي الشاعر مثابرا ومعتزا برأيه في تحرير المرأة ولعلك تحس
مدى ايمانه بهذه الدعوة ، وتسفيه رأي خصومه الذين زعموا ان السفور
خروج على الفضيلة وانحدار الى الرذيلة حيث يقول :-

اسفري فالحجاب يا ابنة فهر
هو داء في الاجتماع وخيم
كل شيء الى التجدد ماض
فلماذا يقر هذا القديم
لقد اعوج بالحجاب لعمرى
امر ديانا فهو لا يستقيم
انزعيه ومزقيه فقد انكره الصر ناهضا والحلوم

اسفري فالسفور للناس صبح
زاهر والحجاب ليل بهيم

(١) ديوان الزهاوي ص ٣٠٦ المطبعة العربية بمصر .

لم يقل بالحجاب في شكله هذا
نبي ولا ارتضاء حكيم^(١)

كانت هذه صرخات مدوية فيها صدق العاطفة واندفاع لقلب
مفاهيم المجتمع البالية التي ظن دعة الحجاب انها من اسس الفضيلة والدين،
لكن الزهاوي كان في جوابه لهم يقيم الدليل على بطلان رأيهم • استمع
اليه يخاطبهم :-

عزوا الحجاب الى الكتاب
ب فليتهم قرأوا الكتابا

ان التعصب مانع
ان تبصر العين الصوابا

زعموا ان في السفور سقوطا
في الهاوي وان فيه خرابا

واذا ما طالبتهم بدليل
يثبت الدعوى اوسعوك سبابا

كذبوا فالسفور عنوان طهر
ليس يلقى معرة وارتيابا^(٢)

ثم تنتقل الى معروف الرصافي فنجد له صرخات لا تقل عن صرخات
الزهاوي ، فقد انضم الى لواء المعركة معلنا سخطه على الجمود والتشبث
بالعادات البالية ، وحبس المرأة في بيتها حيث يقول بقصيدته - المرأة في
الشرق :-

(١) اللباب ص ٢٣٥-٢٣٦ مطبعة الفرات - بغداد عام ١٩٢٨م •

(٢) الاوشال ص ١٨٠ ، ناصر الحاني - محاضرات عن جميل صدقي

الزهاوي - ص ٥٤-٥٥

الا ما لاهل الشرق في برحاء
يعيشون في ذل به وشقاء

لقد حكموا العادات حتى غدت لهم
بمنزلة الاقياد للاسراء

★ ★ ★

لقد غمطوا حق النساء فشدوا
عليهن في حبس وطول ثواء
وقد ألزموهن الحجاب وانكروا
عليهن إلا خرجة بغطاء
اضاقوا عليهن الفضاء كأنهم
يغارون من نور به وهواء^(١)

وقد اثارَت هذه القصيدة حفيظة جمهرة من الشعراء المحافظين
معلنين سخطهم واستنكارهم على الرصافي ومنهم الشاعر عبدالحسين
الازري^(٢) في قصيدته - الكتاب والحجاب - وقد فند فيها آراء الرصافي
داعيا الى الحجاب والتمسك به ، لانه من اصول الدين قال :-

أمنازل الخفريات بالزورراء
لا زعزعتك عواطف الاهواء

★ ★ ★

نص الكتاب على الحجاب ولم يبح
للمسلمين تبرج العذراء
ماذا يريبك من حجاب ساتر
جيد المهاة وطلعة الذلفاء

(١) جريدة الاستقلال العدد ٦٠ عام ١٩٢٢م

(٢) شاعر وصحفي ولد في بغداد ١٨٨٠م - ١٩٥٤م .

ماذا يريك من ازار مانع
وزر الفؤاد وضلة الاهواء

ما في الحجاب سوى الحياء فهل من
التهديب ان يهتكن ستر حياء

هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى
لو اصدقك ضمائر الجلساء

شيد مدارسهن وارفع مستوى
اخلاقهن لصالح الابناء (١)

وهذا الشاعر (حمزة قفطان) هو الاخر ينبري للرد على الرصافي،
في قصيدته (المرأة في الشرق) وعنوان قصيدة القفطان - العلم والحجاب -
جاء فيها :-

طغى بيننا تيارهم حين اهلوا
فسال لحرف العلم والعلماء

★ ★ ★

حكمت على الشرق احتساء دوائكم
واتم على ذا الشرق أكبر داء

ثم يخاطب الرصافي بقوله :-

سمعناك تعي اليوم للشرق اهله
وتدعو ببني الدنيا نعاء نعاء

نقمت على العادات فيه وانها
بزعمك كالاعلال للاسراء

(١) جريدة الاستقلال العدد ٦٤ عام ١٩٢٢م

فما يمنع التحجيب والعلم نوره
اذا شع لم يمنعه سجع خباء

ايمنع ان تمشي الى العلم حرة
محجبة في برقع ورداء^(١)

ثم يقف (خيري الهنداوي) مدافعاً عن معروف الرصافي رادا
الشاعر (محمد السماوي) وجماعته معلنا بطلان زعمهم مذكرا اياهم
بالنساء المسلمات اللواتي كن يشاركن الرجل في المجالس والحروب
حيث يقول :-

مقال الحق اجدر باتباع
واولى من معارضة الثقات

ولكن التعصب وهو اعمى
يضل ذوي العقول الراجحات

يربها الحق غير الحق جهلا
ويلزمها اتباع الترهات

أيا من ردّ (معروفاً) رويداً
لقد اخطأت مرمى الراميات

* * *

اترضى يا محمد يا بن ودي
بجهل نسائنا المستترات

وهن جهلن اصل الدين حتى
جهلن الفرض من سنن الصلاة

(١) مجلة اليقين السنة الاولى العدد ١٣ ص ٣٩٠ عام ١٩٢٢م

تقول بنقصهن اذن فلم لا
تكمل بالعلوم الناقصات

فهل كانت - سكينه - (١) حين تبدو
وتتقيد الكلام من السراة

وهل عدت - صفيه - (٢) حين قامت
بقتل العليج كالمترجات

وام المؤمنين غداة سارت
على جمل لتفتك بالجناة (٣)

وقد كان على رأس المناوئين لحركة تحرير المرأة واقدمهم واشدهم
تحاملا على دعاة السفور وتحرير المرأة ، الشاعر (عبدالرحمن البهاء)
فلنستمع اليه بقصيدة عنوانها - قرة العين - مطلعها :-

دنا اجل الفراق فودعيني
وداعا كي تقر به عيوني

ومنها :

أذل الله اقواما ارادوا

خروج المحصنات من الحصون

(١) زوجة مصعب بن الزبير ، ومن شهرات النساء المتعلمات في
العصر الاموي . راجع : المدخل في تاريخ الحضارة العربية . ناجي معروف
ص ١٧٧ بغداد عام ١٩٦٠ م .

(٢) صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم : سيدة قرشية ، شاعرة
باسلة ، أسلمت قبل الهجرة وهاجرت الى المدينة ، وهي التي قتلت
الجاسوس اليهودي أثناء معركة (أحد) ولها مرات رقيقة وفي شعرها
جودة . راجع : - الاعلام - لخيري الدين الزركلي ط ٢ ج ٣ ص ٢١٧ .

(٣) يوسف عزالدين - خيري الهنداوي - حياته وشعره - ص ٢٣٢

يقولون القناع اذا تدلّى
تصير البنت في قيد الرهين

يقولون القناع اجل خطب
على الغداء واضحة الجبين

يقولون القناع لها حرام
بأي شريعة وبأي دين ؟

لقد كذبوا وايم الله كذبا
يشيب لهوله رأس الجنين (١)

وله قصيدة بعنوان - الحياة المجهولة - جاء فيها :-

منعت عن الانظار حتى انها
تخذت لها ظلا هناك ظليلا

لولا حجاب حاجز من دونها
وجدت الى كشف الظنون سبيلا

لو انها اومت بمصم كفها
تركبت عزيز العاشقين ذليلا

تختال عزراً في جلال جمالها
في جنب زوج لم تجده ملولا

منحت به استقلال خير ادارة
لما رأت تحريرها مقبولا

تُنهي وتأمّر في ادارة بيتها
وتميز التحريم والتحليلا (٢)

(١) مجلة تنوير الافكار - العدد العاشر - عام ١٩١٠م

(٢) مجلة دار السلام العدد - ١٤ - ص ٣٢٦ عام ١٩١٩م

استمرت المجادلات بين الخصوم والانصار وكانت مقاومة رجال الدين والعامّة قد بلغت اوجها وحتى القصائد الشعبية قيلت للوقوف بوجه دعاة الاصلاح وقد لحت وغنت هذه القصائد وتناقلتها الاجياء الشعبية العراقية تنذرع بها للتهكم والاستهزاء بمن يرفع عقبرته للمطالبة بحريتها وهذا هو المطرب محمد القبانجي يقول :-

ابنة بنت البيت قصت شعرها

عالمودة تمشي دلوع عافت سترها

عالمودة تمشي دلوع يا رب سترك

تحفظ جميع الناس منها ومكرها

وبقي الشعراء مطالبين لاحقاق حق اهتضم على صفحات الجرائد والمجلات ولعبت الصحافة (١) دورا فعالا في تهيئة الاذهان لتحرير المرأة مما جعل بعض المعارضين يخففون من غلوائهم ويعلنون على لسان المرأة مطالبتها بحقها في اختيار شريك حياتها ويعلنون شكواها من زواجها بدون موافقتها لان المدينة الحديثة عملت عملها في نفوس المعارضين • ولعل اصدق مثل على هذا ما قاله عبدالرحمن البهاء في قصيدته - شكوى الفتاة العراقية - :

من مجيري من صروف النوب

اذ تناسى فرض تهديبي ابي

وطوى عني جهلا كشحه

ودعاني رهن قيد اللعب

كلما شاهد مني زلة

راح مشمولا بكأس الطرب

(١) صدرت مجلات كثيرة خلال العشرينات منها : مجلة ليل ،
ومجلة المرأة الحديثة ، وفتاة العراق ، وفتاة العرب .

وعلى انسابه عولني
ليتة ادرك حظّ النسب

ما الندي اشغله عني لو
حزت قصوى ادبي مع حسبي

ثم ينتقل الى مطالبة الفتاة بالتعليم لتأخذ مكانها في المجتمع حيث يقول:

انا في المشرق لو علمني
فقت بالعلم فحول المغرب

هذبوني وخذوا مني العلي
ماؤكم في مكته لم يعذب

كلما ازددت علوما وحجى
انا لا اجحد فضل المذهب

انا بالعلم وجودي يزهو
مثلها الكأس ازدهت بالحجب

اخذ العهد على غاربه
انا لا ادخل باب المكتب

ثم ينتقل الى المأساة التي حلت بهذه الفتاة حيث زوجها ابوها بشيخ
وهي في ريعانة الصبا فيقول :-

بل ابي بالشيوخ قد زوجني
أين من غول النيا مهربي

* * *

باعني ظلما الى من ليس لي
بزواجي عنده من مطلب

أخذ الدرهم عني بدلا
فكأنني سلعة المكتسب
والذي قد غرّه عصر به
أهلك الإنسان حبّ الذهب

ليس للأدب حظ عنده
آه من ضيعة حظ الأدب (١)

استمر التيار في مجراه غير عابئ بصيحات المحافظين ولم يقدر دعاة
الحجاب على إيقاف عجلة التطور . فقد اكتسحهم سيل المدينة وكانت
نهاية المطاف الغلبة للاحرار ومشاركة المرأة الرجل في مختلف مناحي
الحياة وذلك عام ١٩٥٨ حيث منحها الدستور العراقي حقها الطبيعي .

ثم تلي هذه الدعوة دعوة من دعوات الإصلاح ترمي الى العطف على
الطبقات الفقيرة كالعطف على الفلاح والعامل ، وما يعانيه من شظف
العيش ، والشفقة على الارامل واليتامى وقد شارك في هذه الدعوة شعراء
كثيرون كأحمد الصافي النجفي ، ومحمد صالح بحر العلوم ، والرصافي ،
والجواهري ، ومحمد رضا الشيباني .

ودواوينهم تعطينا الصورة الواضحة لمقدار اهتمامهم بهذه الناحية .
ظل هذا الاتجاه يقوى حتى بلغ أشده عند معروف الرصافي . فلنستمع الى
هذه الدعوات في قصيدته - ام اليتيم - :

رمت مسمعي ليلا بآنة مؤلم
فألتق فتؤادي بين أنياب ضيغم
وبانت توالي في الظلام اينها
وبت لها مرمي بنهشة ارقم

(١) مجلة الزنبقة العدد الرابع السنة الاولى عام ١٩٢٢م

فيهنفو بقلبي صوتها مثلما هفت
 بقلب فقير القوم رنة درهم (١)
 وله قصيدة - اليتيم في العيد - حيث يقول :-
 اطل صباح العيد في الشرق يسمع
 ضجيجا به الافراح تمضي وترجع
 صباح به تبدي المسرة شمسها
 وليس لها الا التوهم مطلع
 صباح به يختال بالوشي ذو الغنى
 ويعوز ذا الاعدام طمر مرقع
 صباح به يكسو الغني وليده
 ثيابا لها يبكي اليتيم المضيع
 صباح به تغدو الحلائل بالحلى
 وترفض من عين الارامل أدمع (٢)

وقد انعكست صورة الفلاح في الشعر العراقي تلك الصورة التي
 تدعو الى الالم والحسرة فهذا الشاعر (علي الشرقي) يسجل هذه الآلام
 حيث يقول :-

ما لهذا الفلاح في الأرض روح
 اهو من معشر بلا ارواح
 فهو في جنّة ينال عذابا
 وهو تحت الاشجار اجرد ضاح

(١) ديوان الرصافي ط ٤ ص ٣٩ - دار الفكر العربي •
 (٢) ديوان الرصافي ط ٤ ص ٥٨ - دار الفكر العربي - شرح
 مصطفى السقا •

وقرى النمل - لهف نفسي - اثرى
من قراءه ، الا من الاتراح

★ ★ ★

لارعى الله معشرا مدينا
افسدوا عيش عامل لصلاح

رب قصر من فوق دجلة
كالطاووس للزهر ناشرا بجناح^(١)

وهو القائل في قصيدته بعنوان - نشيد الزوايا :-

لا تأخذوا بخناقى

كم في البساتين ورق

في صدر كل عراقي

اجراس شعري تدق

وفي احتجاج رفاقي

يشع نور وحق

ماء جرى في السواقى

ام ذاك فقّر ورق^(٢)

وقد علت الصيحات المدوية باصلاح حال الطبقات الفقيرة حتى
رن صداها الى اجواء المجالس النيابية • قال الشاعر حسين كمال الدين
بعنوان - الفلاح - :

(١) جريدة العراق - العدد ١٨٩٨ السنة السابعة في ٢٧ تموز
سنة ١٩٢٦م

(٢) جريدة العراق - العدد ١٩٨١ السنة السابعة في ٢ تشرين
الثاني سنة ١٩٢٦م •

أنوابنا هل لكم نهضة؟
تقومون فيها باصلاحنا
فقد كاد يهلك عمالنا
وأودى الطوى بفلاحنا

إذا مات فلاحنا جائعا
فلا فخر تنجو بارواحننا^(١)

ولعل هذه القصيدة التي قالها - الشاعر المتألم - تجمل لنا آلام الشعب
حيث يقول :-

يا شفاء الكون في اوضاعه
واعتلال النوع في المجتمع
اين من يشفيه من اوجاعه
انها تعي الطيب الامعي

★ ★ ★

فتكت في جسمه اسواؤه
فتكة ساءت وقد ساء المزاج
فقدت مزممة ادواؤه
ولذا اعيانا على الطب العلاج

★ ★ ★

ليت هذا الجهل لما يخلق
باديا بالسوء من اخلاقه

(١) جريدة النهضة العراقية العدد - ٢٧٢ - السنة الثانية في ٧
كانون الاول عام ١٩٢٨ م .

انه جيلُ جنونٍ مطبقٍ
ولكم دلٌّ على اطباقه (١)

وهذا الشاعر ، حسين الحاج وهج ، يصف لنا الفلاح وما يعاينه
من مصاعب سكنية ومالية حيث يقول :-

ها انا الفلاح مما حل بي
ظلت ابكي بدموع سخنات
كلما اقصد حرثي فاعلا
ثبطت عزمي ديون باهظت
قد لقيت العيش مرأ نكدا
دائم الاوقات أبدي النفثات

★ ★ ★

هذه اكواخنا قد بليت
فترأت كالقبور الدارسات
لم نجد فيها انيسا لا ولا
غيراً أنواع البلايا كامنات (٢)

اما المفاصد الخلقية ، والاستهتار بالقيم ، والمثل التي ورثناها عن
اجدادنا فقد ندد الشعراء بها ، وحاربوا دعائها ، ودعوا الى التمسك
بالفضيلة ونبد الرذيلة فهذا الشاعر محمد جواد السوداني يقول :-

(١) جريدة دار السلام العدد - ٧ - في ٤ آب عام ١٩١٨م وأطنه
هو باقر الشيببي كما يذكر يوسف عزالدين في الصفحة ١٣٠ من كتابه
الشعر العراقي الحديث .
(٢) جريدة النهضة العراقية العدد ٢٨١ في ١٨ كانون الاول
عام ١٩٢٨م .

ابكي على الاخلاق صوح زهرها
منها فلا اثر لها ووسام
(ولقد يقام من العثار وليس من
عشرات اخلاق الشعوب قيام)

و (مذبيين ولا مباديء عندهم
ابدا فلا كفر ولا اسلام
مرضت عقولهم وماذا ارتجبي ؟
من بعدها ان صحت الاجسام
الى ان يقول :

الله في الشعب الضعيف فاتم
في اهله الامناء والقوام^(١)

وقد نادى الشعراء بالاخاء والتعاون لتحل محل الجفوة التي سادت
مجتمعهم آنذاك والحض على العمل وترك الكسل والتمسك بالدين •
قال الشاعر ابراهيم منيب قصيدة بعنوان - خير الناس من نفع
الناس - :-

يحصد الانسان ما قد زرع
فازرع الخير وكن منتفعا
والى الشر فلا تركز وكن
حذرا في فحه ان تقع
كم وكم من صانع للشر قد
خطفته كف ما قد صنعا

(١) جريدة النهضة العراقية العدد ٣٢٥ في ٨ شباط عام ١٩٢٩م

وعظ الناس بما تدري وان
كنت لا تدري فكن مستمعا

وعلى الدنيا فلا تعجب اذا
لم تجد من رزقها متسعا

ان في الدنيا اتسعا للفتى
في طلاب الرزق لو كان وعى

فاسع في دنياك ان رمت المنى
سعي مقدم تجده طيعا

حصاة العاجز حرمان وان
ليس للانسان الا ما سعى (١)

واكثر الشعراء في تنبيه الناس الى نتيجة هذا الخمول الذي يسود
المجتمع قال الشاعر عبدالرزاق الكرخي قصيدة بعنوان - تنبيه وايقاظ -:

ان كنت يا شرق ترجو الفوز والاملا
فانهض بعزمك وأتبع قولك العملا

ان الطغاة اذا استولوا على بلد
يضيقون على اسلامها السبلا

ومنها:

يا اهل بغداد ان الناس قد سعدوا
ولم تزالوا نياما والغيط علا

(١) مجلة لغة العرب العدد العاشر عام ١٩١٤م

الى م يا قوم قلب الشعب منشعب
والحر فيكم يقاسي الهم والفشلا
هذا الصحافي مشغول بحرفته
يهجو ويمدح حتى يبلغ الاملا
وذا السياسي مهموك بنشوته
مع الرواقص يمشي مشية الخيلا^(١)

ومن العادات القبيحة التي سرت في المجتمع عادة شرب الخمر وما
يرافقها • تلك العادة التي حاربها الشعراء ونددوا بها على صفحات
الجرائد محاربة لا هوادة فيها • وهذا ابراهيم منيب^(٢) يقول في قصيدة
بعنوان - زكاة النصح - :

لاح المشيب ولم تزهد ولم تتب
الى ام هذا التصابي ابنة العنب
انستك نشوتها كأس الحمام وكم
من شارب مات بين الانس والطرب
قد كفن الشيب منك الوجتين متى
تتوب من معصيات اللهو واللعب
اراك تعتب ان نابتك نائبة
على الزمان وتشكوه من الوصب
ولست تذكر ما قد كنت مقترفا
من المعاصي في ماضٍ من الحقب
* * *

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الاول عام ١٩١٠م
(٢) شاعر وصحفي ولد في بغداد ١٨٧٥م-١٩٤٨م

من يتق الله في كل الامور يكن
محصنا آمنا من طارق النوب
والنفس اياك لا تخضع لها ابدا
فتابع النفس لم يسلم من العطب
اني نصحتك فاختر ما تشاء وذا
مني اليك زكاة الصبح في رجب^(١)

وهذا الشاعر كاظم الدجيلي يهيب بالقوم بترك هذه العادة الذميمة
مينا مضارها وتناجها في قصيدته بعنوان -الخمرة- :

وجدت الخمر اولها مرار
وآخرها لشاربها خمار^(٢)
تطيش بها عقول راجحات
واحلام وادمغة كبار
وتذهب صحة ويجيء سقم
وتسلب الجلالة والوقار
وتفقد عفة ويزول نسك
ويخلع من اخي الورع العذار
وتنحط الجسوم بها انحطاطا
ويحدث في العيون بها احمرار
ويثقل رأس حاسيها اذا ما
تصاعد في الدماغ لها بخار^(٣)

(١) مجلة لغة العرب العدد الاول عام ١٩١٣
(٢) جاء في قاموس المحيط للبستاني في مادة خمر (٠٠٠ قال
عبدالمملك الاموي للاخطل التغلبي : ماذا يعجبك من الخمر فان اولها مرار
وآخرها خمار . فقال نعم ولكن بينهما ساعة لا أبيعها بملكك) .
(٣) مجلة دار السلام العدد - ١٦ - عام ١٩١٩

ثم صرنا نسمع نغمة اخرى تنبعث من الشعراء نتيجة لكثرة الحروب
الخارجية والفتن الداخلية ، تلك النغمة هي الدعوة الى السلام والمجبة
والالفة • قال محمد مهدي البصير في قصيدته - يا حب - :

يا حب حسبك صبوة وهياما
رقصت دمعك فاستحال غراما

★ ★ ★

قلت السلام على السلام فقد ابى
حتى الجماد مع الحياة سلاما

الا اذا انقرض التنازع في البقا
فالسلم ينشر في الوردى اعلاما

والناس لو يتناصفون تصافيا
لم يسق قوماً آخرون حماما

ولو انهم يتدبرون لما ابتغوا
الا التساوي للانام اماما

خسروا نفوسهم لتفليح عصابة
بهوى النفوس تدبير الاحكاما (١)

وفي هذا المعنى يقول كاظم الدجيلي قصيدة بعنوان - الزمان
العتيد - :

ليس من ازهق النفوس شجاعاً
ليس من جد فاتكاً بمجيد

انما اشجع البرية طراً
مصلح قام بين اهل الجحود

(١) جريدة دار السلام العدد - ٤ - عام ١٩١٨ م

ليس في القتل للبرية نفع
بل تراه اشارة للحقود
فمتى يا ترى يموت غواة
حبذوه لقائد ومقود
فيعم السلام في الناس طرا
ويعود الهناء للمستعيد
ليس ذا عصر مدفع ترك النسا
س اذا ما رمى كعب الحصيد
ان ذا العصر عصر نور وعلم
ومطار في مركب وحديد^(١)

تلك أمثلة قليلة مما قاله الشعراء في الاصلاح الاجتماعي من نواحي
كثيرة ولم نرد الاطالة في ايراد هذه الامثلة الكثيرة خشية السأم والملل •
غير انه يتبين مما أوردناه من الامثلة القليلة أن العبء الأكبر من نواحي
الاصلاح الاجتماعي وقع على كاهل الشعراء الذين ظلوا يشاركون المجتمع
في كل ما يتصل به ، شأنهم في ذلك شأن الصحافة يضاف الى كل ما تقدم
أن القصيدة كان عليها واجب آخر في خدمة المجتمع وهو أن تمدح الفرد
على أنه ادى خدمة لمجتمعه وامته ووطنه ، وترثيه على أنه فرد من افراد
المجتمع فقدت الامة بموته عضوا نافعا ، وفقدته الجماهير التي كانت
مصالحها مرتبطة به كذلك لانهم هم الذين يشيدون مجدها ويعيدون
عزها • وبهذا ابتعدت القصيدة عن المدح الذي ورثته من العصور الماضية
ذلك المدح المبني على التزلف والملق والرياء وحب العطاء من اولي المال
والجاه كالامير والسلطان كل ذلك بفضل الصحافة التي عملت عملها في

(١) مجلة دار السلام العدد السادس عام ١٩١٩م

نفوس المصلحين والمجتمع معاً ، ولان الامر في أواخر فترة البحث كان بيد الاسرة المالكة التي تأتمر بمشيئة الانكليز فقد وجدنا الشعراء في الصحافة العراقية لتلك الفترة وبعدها ينقسمون الى قسمين قلة يمدحون الملك وحاشيته ، وكثرة غلبة تناصبه العداة ولا تكتفي بذلك حتى تبذل جهدها في مدح زعماء العرب خارج العراق . ومن الامثلة على ذلك القصائد التي قيلت في مدح سعد زغلول . قال الشيخ عبدالمحسن الكاظمي قصيدة بعنوان (ان ابلال مصر في ابلاله) :

علمت واعتلا لها باعتلاله

ان ابلال مصر في ابلاله

علمت مصر ان ابلال (سعد)

هو ابلال نيلها ونواله

ايه (زغلول) أن دهرك أسمى

غير زغلول لا يمر بباله

انت من يصنع الجميل ويولي

بتوالي جهاده ونضاله

انت في حالتك أمنع من ان

يدريه حسوده لنباله

من يكن عاملا لخير البرايا

فالبرايا والخير من عماله

من يكن لامة يقبها اذاها

كان مرمى سهامه ونضاله^(١)

(١) جريدة الناشئة الجديدة العدد - ١٣ - عام ١٩٢٣م

وهذا الشاعر محمد بهجة الاثري^(١) يقول في قصيدته بعنوان
(الى مصر) :

ايا (سعد) ردد ذكر مصر فانني
يحن الى مصر فؤادي وينزع
وكرر حديث النيل أن حديثه
(هو المسك ماكررته يتضوع)

فوالله قد ذابت حشاشة مهجتي
(ولم يبق في قوس التصبر منزع)

واني على مر الزمان وحلوه
ليزداد في قلبي الحنين المرجع

فيا (سعد) لا تكرر ولوعي وصبوتي
فليست بذات الدل والحسن تولع

ومن حزم أهل الحزم أن يترحلوا
اذا ما سطا جيش الخمول ويقلعوا

لذا همت في مصر وزادت صباتي
اليها وقلبي بالجوى يتقطع

الى أن يقول :

فسقياً لوادي النيل ما حن واله
اهاجته ورقاء تنوح وتسجع^(٢)

(١) شاعر وأديب تقلد عدة وظائف في الدولة العراقية وكان آخرها
مدير الاوقاف العام وله بحوث أدبية كثيرة .
(٢) جريدة الاستقلال العدد - ١٥٩ - عام ١٩٢٣م

الصحافة العراقية وتطور فن المقال

شهد العراق ميلاد صحافته على يد المصلح (مدحت باشا) عام ١٨٦٩م • وكانت أول أمرها رسمية وبقيت كذلك حتى ظهرت الى جانبها الصحافة الشعبية عام ١٩٠٨م عندما أعلن الدستور العثماني • وقد اسرع الكتاب العراقيون الى اصدار الصحف الكثيرة • وفي هذه الفترة نمت هذه الصحافة الشعبية فيما بعد على أيدي جماعة من الصحفيين ساروا بها نحو خدمة الشعب في مختلف المجالات ، وقد تأملت في اغراض المقالة الصحفية فوجدت كتابها يجمعون في شخصياتهم بين السياسة والاجتماع وسبب ذلك انهم كانوا الطبقة الموجهة في البلد آنذاك ، وكان الواحد منهم هو المالك للجريدة نفسها الى جانب انه كاتب صحفي ، لهذا نرى كتاب المقالة يتحدثون في موضوعات شتى وفق ما تمليه عليهم الظروف • فاذا ما حدثت حادثة سياسية اندفع الشعراء أولا للتعبير عنها وابداء وجهة نظرهم الى الجمهور ، ثم يأتي دور كتاب الصحافة فيؤلفون من انفسهم الطبقة الثانية للتحديث عن هذا الموضوع • واذا ما حدثت مشكلة اجتماعية انبرى الشعراء معلنين رأيهم فيها ثم يأتي كذلك كتاب الصحافة فيؤلفون الصف الثاني وهكذا • أي أن المحرر الصحفي يجمع في شخصيته ، كما قلنا ، بين الكاتب الاجتماعي والكاتب السياسي • يظهر مما تقدم ان المقالة تحتل المكانة الثانية بينما كانت القصيدة تحتل الصدارة • فكلما ارتفعت صيحة من الصيحات كان الشعراء هم المعبرين عنها أما الكتاب فكانوا يرددون النغمة ذاتها من التعليق عليها والشرح لهذه المشاكل وبيان اغراضها ، واهدافها سواء أكانت المشكلة سياسية أم اجتماعية ، معبرين في كل ذلك عما يسمى - بالرأى العام - وقد عني الكتاب عناية فائقة بالمقالة حيث اتجهوا بها الى البساطة في الاسلوب ، والدقة في المعنى لصلة المقالة الوثيقة بالجمهور كما وأن المقالة هي التي مهدت الطريق لمعظم الكتاب لبلوغ الشهرة ، وهيات

لهم الجو المناسب لذيوع انتاجاتهم الادبية الاخرى • لانهم ادركوا ان الكاتب الذي لا يجيد كتابة المقالة الصحفية يظل بعيداً عن الجمهور • لأن فن المقالة يتطلب مقدرة خاصة على تبسيط الاسلوب ، وتركيز الفكرة ، والقدرة على معرفة مدارك القراء وميولهم المختلفة ، وهي مواهب لا تتوفر لكل أديب^(١) • وقد أخذ الكتاب من الصحافة ميداناً فسيحاً لعرض آرائهم المختلفة • وهكذا اتجه المقال الصحفي اتجاهات كثيرة من أهمها وأكثرها تردداً في صحافتنا هي :-

١ - المقال في الاتجاه السياسي •

٢ - المقال في الاتجاه الاجتماعي •

المقال في الاتجاه السياسي

المعروف عن العراقي انه مغرم بالسياسة ، متبع لها في حدود بلده ، بل يتجاوز هذا الامر الى خارج وطنه فما يكاد يصدر أحدهم مجلة أو جريدة أدبية أو علمية حتى يجرفه تيار السياسة والخوض في لججها^(٢) ، نتيجة لتسلل الآراء الجديدة الى الشعب العراقي كالحرية والعدالة والمساواة • هذه الآراء دفعت الكتاب الى المطالبة بالتحرر والاصلاح • ويعتبر اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م نقطة الانطلاق لجهاد الشعب العراقي وللصحافة • ومن هنا ظهرت في الميدان السياسي طائفة من المسائل شغلت بال الرأي العام العراقي فكانت الصحف هي الناطقة عن وجهة نظر هذا الرأي • ولو أمعنا النظر في هذا الميدان لوجدنا لكل فترة تياراً يتحدد بالسلطة الحاكمة التي حكمت في كل فترة من هذه الفترات •

(١) راجع : عبدالله الجبوري - نقد وتعريف ص ٦ - بغداد عام

١٩٦٢م

(٢) راجع عبدالقادر أمين - القصص في الادب العراقي الحديث -

ص ١٥ بغداد عام ١٩٥٦م

ففي العهد العثماني :- اندفعت الصحافة أول أمرها الى تأييد الدولة العثمانية متأثرة بدعوة الجامعة الاسلامية تتخللها صيحات قومية عامة لا حدود لها كالقومية العربية فكان الكتاب ينشرون المقالات الطويلة في تأييد الدولة حامية الدين ، وينددون بخصومها واعدائها الانكليز . ولو ذهبنا نحصي المقالات هذه نجدها أكثر من أن تحصى . وكلها مدح واطراء للدولة ودم وتأييد بالانكليز . فلنستمع الى محرر مجلة تنوير الافكار في مقال له تحت عنوان (الانكليز وتحقير العرب) : (هل اتاك حديث غاشية ظلم الانكليز . وتحقيرهم للامة العربية وفعلتهم التي فعلوها في ساحل عمان . . . مهلاً مهلاً أيها الانكليز أن فعلتكم التي فعلتموها في الامة العربية قد انتعشت في قلوب عموم الموحدين . . . فلا تحسبوا ان الامة العربية كغيرها من الامم ولعلكم لم تدرسوا التاريخ ولم تعرفوا احفاد العرب فهي التي أن غضبت زعزعت وأن عادت دمرت . . . خيولها جمّة وجيوشها فحمة لا ينشون لذعر ولا يتكرون لدهر . سيفهم حداد واعمارهم قصار بيد أنهم يتهاجمون على الموت تهاجم الجياع على القصاص . ولعلكم ترون يوماً تشيب لهوله الابدان)^(١) .

يخيل اليّ وانا اقرأ هذا المقال انني استمع الى قصيدة من الشعر في باب الحماسة والفخر هذا فضلا عن خصائص أدبية اخرى ظهرت في هذا المقال ومنها بدايته بعبارة (هل اتاك حديث) وهو اسلوب يذكر بأساليب القرآن ، وذلك أيضاً فضلا عن خصيصة اخرى تظهر في هذا المقال من استخدام الكاتب للهجة الخطابية التي يدل عليها مثل قوله (مهلاً مهلاً) ونحو ذلك . بعد هذا الوصف لقوة العرب وشجاعتهم وشدة بأسهم ينتقل الكاتب الى وصف الجامعة الاسلامية ، ومقدار ما فعلته في نفوس العرب حيث يقول : (ايها الانكليز ما هذه الوقاحة أو

(١) مجلة تنوير الافكار العدد التاسع ص ٣٢٤-٣٢٦ في ١٥ حزيران

عام ١٩١٠م

ليست جزيرة العرب مستقلة تابعة للدولة العليّة - العثمانية - كما هو مصرح في معاهداتكم وان عمان جزء عثمانى لا يقبل الانفصال ولا يمكن فصله الا اذا صبغت الارض بدماء العثمانيين الطاهرة الزكية وانمحقت الامة العربية . نعم نحن لسنا في شك من ان حكومتنا الدستورية ستشدد أزرهم وتبلي صوت نبيها وترسل اليه من يسكن روعهم وقد خدمت الدين والتوحيد ونصرته (أن تصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)^(١) أرايت كيف اندفع المحرر متشعباً بالجامعة الاسلامية وكيف عبر عن شعوره بقوميته؟! . كانت هذه الافكار السياسية تشغل حيزاً كبيراً في الصحف ، وقد دارت على السنة الكتاب والصحفين . فلنستمع الى الكاتب (ابراهيم حلمي العمر) في مقال له تحت عنوان - الوطن والوطنية - جاء فيه : (. . . من صفات الوطني بذل النفس والنفيس في سبيل وطنه . . . وقد مست الحاجة اليوم الى حفظ الوطن العثماني بأسره ، فاما العام فقد حماه بأس آل عثمان ، واما الخاص فقد أصبح يعطي اقطاره مسرحاً لبغاة الاعداء - الانكليز - . . . وهو الآن ينادينا بلسان فصيح لا يعرفه الا أرباب الدين الصادق والوطنية الصحيحة ويأمرنا بان نريق من دمائهم أكثر مما شرب العدو من دجلة بل يأمرنا أن نجعل من دمائهم دجلة ثانية . . .)^(٢) وفي هذا المعنى يقول محرر جريدة - صدى الاسلام - في مقال تحت عنوان - الخبث الانكليزي - جاء فيه :

(. . . بقيت هذه الحكومة - انكلترا - تقب وتبحث عن العامل الحقيقي الذي تتمكن أن تضرب به الضربة القاضية على الملة الحنفيه فلم تجد اليه سبيلا يسهل لها الوصول الى نواياها ما دامت الخلافة الاسلامية . فايقتت أن أهم الواجبات عليها هو انزال الضربة أولاً بالذات على رأس

(١) مجلة تنوير الافكار العدد التاسع ص ٣٢٤-٣٢٦ في ١٥ حزيران

عام ١٩١٠ م .

(٢) جريدة صدى الاسلام العدد - ٧١ - عام ١٩١٥ م

الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية) (١) • وهذا الكاتب خيرى الهنداوى يعطينا الصورة الواضحة لهذا الاتجاه السياسى حيث يقول فى مقال له تحت عنوان - الحرب والاسلام - :

(لقد خاب والله فألهم وكذبتم امانهم ، أن الامة الاسلامية اليوم غيرها بالامس ، وليعلموا أن تلك الروح الشريفة قد نفخت اليوم فى الامة العربية فهبت من سباتها العميق وقد آلت على نفسها أما أن تسترجع مجدها واما أن تموت وهي تصافح اليوم ابطال الاتراك كما صافحتهم وحاربت معهم فى الحروب الصليبية) (٢) • ثم لنستمع الى تمجيده العرب وذمه الانكليز حيث يقول فى مقال تحت عنوان - هل من الممكن سلوانهم - جاء فيه : (ان الانكليز يرون العالم جميعاً دونهم خلقاً وخلُقاً وانهم أولى الناس بالسيادة العامة على البشر بل انهم ينظرون الى من سواهم نظر الانعام السائمة • تالله أن الاباء العربى لاجل وارفع من أن يرضى بهذا المقام الذى يريد الانكليز انزاله فيه

أملى بقومى سوف تنهض نهضة

للمجد يقصر دونها الصمصام

يستبعد الرجل الخير وقوعها

بل لا تجيء بمثلها الاحلام

نبقى وأن خلق الزمان جديدة

لم ينتقض تجديدها ابرام

ستكشف الايام للانكليز سوء مغبة اعمالهم وسيندمون على ما فرطوا

(٢) المصدر السابق العدد - الثانى - عام ١٩١٥م

(٣) المصدر السابق العدد - ٩٣ - عام ١٩١٥م

والعاقبة للمتقين) (١) • هذه المقالات عبرت جميعها عن الشعور بالولاء للدولة العثمانية والجامعة الاسلامية تتخللها صيحات قومية عامة تظهر وتختفي احياناً اكراماً للدولة العثمانية • وقد استمر المقال على هذه الشاكلة حتى احتلال الانكليز بغداد عام ١٩١٧م ، واذا بالمقال ينحو منحى آخر ويسلك تياراً مغايراً ، ذلك هو التيار الموالي للاحتلال الانكليزي اذ اغرت سلطة الاحتلال هؤلاء الكتّاب بالمال واجزلت لهم أجور الكتابة كما انها - سلطة الاحتلال - الفت قلوبهم وشجعتهم باساليبها المعروفة على انها تروم بث الفكرة العربية وخدمة اللغة العربية وتثقيف الشعب (٢) •

سيطر الانكليز على الصحافة وشجعوا كتابها بالسير نحو هذا الاتجاه السياسي • ومن يقرأ جريدة العرب ، وجريدة الاوقات البصرية ، وجريدة العراق ، ومجلة دار السلام ، ومجلة النادي العلمي يجدها قاطبة تكيل المدح والاطراء لقوات الاحتلال البريطاني (٣) • اذ جعلت منهم اساطين عدل ورواد حرية ورجال علم • ومن ناحية اخرى تلقي مسؤولية كل ما حدث في العراق من ظلم واضطهاد وجهل وفقر واضطراب سياسي وكبت للحريات على عاتق الدولة العثمانية • فالسعادة في الاحتلال البريطاني والشقاء في ظلم الحكم العثماني فلنستمع الى هذا كله في جريدة العرب تحت مقال - الارض تشقى وتسعد - (•••••) ليس على الله بعزير أن يظهر بفضل منه تعالى تلك البلاد بسيوفهم الماضية (٤) - الاحتلال البريطاني - من سيطرة قوم نسوا الله وتعدوا حدوده في الظلم على خلقه واهانوا العرب ••••• ويا لها من سعادة تلجت لها القلوب وحظيت بها بغداد

(١) جريدة صدى الاسلام العدد - ١٥ - عام ١٩١٥م

(٢) راجع : رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٤٧

(٣) راجع : فصل أهم الصحف •

(٤) في الاصل بسيوف (حزبه الماضية) وبهذه الصورة لا يستقيم

المعنى لانه ليس من المعقول أن يكون الانكليز في نظر الكاتب (حزب الله) •

بعد شقاء طويل الم بها من قبل الاتراك^(١) . وانظر بعد هذا كيف
تحسن أمور العراق تحت ظل العلم البريطاني العادل؟! هذا ما تحدثنا
عنه جريدة الاوقات البصرية . حيث تقول : (دخلت بريطانيا البصرة
فاخذت من أول وهلة تباشر الاعمال فذلت كل الصعاب لتمهد
السييل للعمران والتجارة وهكذا تتحسن أمورها - البصرة - تحت ظل
العلم البريطاني العادل^(٢)) . وأخيراً فأنظر في مقال نشرته مجلة دار
السلام بعنوان - ذكرى فتح بغداد من قبل الانكليز - مرحباً ومهلاً !!
ومتنبياً بقاءهم محتلين الى الابد !! (أهلاً بكم وسهلاً يا أيها البريطانيان
فبمثلكم ليفتخر الانسان ، اذ جبلتم على كل حسنة ، وعلى كل مكرمة
تشكر . فنحن لانساكم وأن طال الامد ونحن نلهج بذكركم وأن عشنا
عمر لبد ، بل الى الابد ، فاهلاً بكم وسهلاً فلقد نزلتم على سعة وابقوا
بجانبها الى أن تقوم الساعة^(٣)) . الا ان هذه الجرائد لم تلاق رواجاً
وعزف الناس عن قرائتها . ففطن الاستعمار الى حيلة هي التخفيف من
لهجتها السياسية وتعزيز النواحي الوطنية بطريقة معتدلة . أنظر الى
جريدة الاوقات البصرية في مقالها تحت عنوان - الاشخاص والحكومات -
جاء فيه :-

(اذا صلح الاشخاص صلحت الاشياء واذا تربى الافراد تربى
المجموع وليس من وظيفة الحكومة الاهتمام بأمر الرعية سوى السهر
على حراستها ودرء كل عدوان عليها ونشر العدل بينها وما عدا ذلك ف شأن
الجماعات . وما الحكومة في نظرنا الا عاملة مأجورة على وظيفة تقوم

-
- (١) جريدة العرب العدد - الثالث - في الثامن من تموز عام ١٩١٧م
(٢) جريدة الاوقات البصرية العدد - ٣٩ - السنة الثالثة في ٢٤
كانون الاول عام ١٩١٧م .
(٣) مجلة دار السلام العدد (الخامس) ص ١٧٧-١٧٨ في ٩ آذار
عام ١٩١٩م .

بعثها ... أيها الشريون انتم الآن في عراق دائم ونزاع قائم والذي يتطن
احوالكم يقول عنكم انكم في دار حرب لا ينطفىء أوراها ولا تخمد
نارها ... فلا يذهبن بكم الغرور الى الاقتناع بأن ما لديكم من معدات
النهوض ... كاف للوحدة والاستقلال ... أن الفريق الاكبر من الشريين
يتألم من تذكيره بالحقائق ومطالبته بالعمل • واولئك الناس ينتظرون زوال
هذه الاحوال بالتواكل والتمني وهم نيام فإن كانت هذه امانهم فليتوقعوا
أن يفقدوا انفسهم كلياً ... والله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم
يظلمون (١) • وهذه جريدة العراق هي الاخرى تسلك المسلك ذاته في
مقالاتها السياسية • جاء في مقال لها تحت عنوان (الامة برجالها) :

(لا تبعث الامة من مرقد الذلة الى محشر العزة ولا ترقى من مهلوي
الضعف الى ذرى القوة ولا تعرج من حضيض الشقاء الى أوج السعادة
الا برجالها المتضلعين في فنون تنازع البقاء في معترك الحياة الدائم •

... الذين ادركوا حكمة الوسط في تدبير الامور وادارة شؤونها
واعرضوا عن الافراط والتفريط ... واقاموا الامة من غفلتها وساروا
بها في سبيل التقدم والنجاح • فالكاتب العبقري يستهض الامة من مضاجع
الجمود وينفض عنها غبار الخمول • والشاعر النابغة يقلب عثراتها ويقوي
عزماتها • • والسياسي الماهر يوثق عرى سياستها واقتصادها مع الخارج
ويسعى وراء تحكيم علاقاتها مع الامم الاخرى (٢) • ثم استمع اليها في
مقالها - حاجة الوطن - تشعر وكأنك تقرأ صفحة من صفحات جريدة
مكافحة وان كانت أبعد ما تكون عن هذا المعنى • وقد جاء فيه : (حاجة
الوطن شديدة الى كتاب متجردين عن الهوى ، ينفثون في صدر الامة
المبادئ الحية والحقائق الراهنة نقية ، بعيدة عن كل غش وطلاء • • يفقر

(١) جريدة الاوقات البصرية العدد - ٣٠١ - عام ١٩١٩م

(٢) جريدة العراق العدد - ٨ - عام ١٩٢٠م

وطننا الى خطباء مصافع يصدعون بالحق من غير أن تأخذهم فيه لومة
 لائم ، وينشرون على رؤوس المرء حاجيات البلاد ، مشخصين للامة مواطن
 الضعف فيها لتعمل على تلافيه وتقويتها الوطن بحاجة الى عمال
 نشيطين يؤدون أعمالهم بامانة واستقامة كما يوحىها الوجدان الحسي
 والضمير الطاهر يا ما أشد حاجة الوطن الى شبيبة منورة شريفة المبدأ
 أبية النفس تعمل في كل حين على ما يرفع اسم الشعب ويعلي شأن الوطن .
 الوطن بافتقار الى موظفين مستقيمين يشعرون بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم ،
 فيسهرون على وظائفهم بامانة واخلاص حاجة الوطن عزيزة الى زعماء
 صادقين للشعب الذي ألقى اليهم بزمام أموره ، واقامهم على رعاية حقوقه ،
 يبذلون غاية مجهودهم ليؤدوا بوفاء هذه الزعامة ، ولا يتخذونها آلة
 للتعظيم والتجبر وطننا بحاجة الى رجال ممتازين يضحون مصالحهم
 على مذبح محبة العموم ويبذلون مهجهم خدمة لآخوانهم فان كنت
 يا هذا حقاً تحب وطنك وبلادك وتغار على مصالحها اعمل على قدر طاقتك
 وأدِّ لها خدمة تقضي بها حاجة من هذه الحاجيات الضرورية وبقيننا
 انه اذا قام كل منا بواجبه أحسن قيام لا يصعب علينا أن نقبل عشار وطننا
 ونرفعه الى أوج المعالي ، وليس على الرجل العامل بأمر عزيز^(١) . ثم أن
 هذه الجريدة كانت تقتنص المناسبات التي يقيمها الرجال الوطنيون فتشر
 مقالاتهم على صفحاتها . من ذلك نقلها خطاب - دولة السيد طالب باشا
 النقيب - الذي القاه على حشد من الناس اثناء اقامة تمثيلية وطنية جاء فيه :
 (ايها الحفل الكريم وايتها الشبيبة العراقية ، لعباراتكم الشاقة وكلماتكم الرقيقة
 تأثير عظيم في النفس ، وأي نفس لا ترتاح الى نداء الوطن المتمثل في
 نفوس الشبيبة الحية . وانني قائم بينكم الآن لأعلاء شأن الامة ولا هم لي
 سوى اسعاد الوطن ، وترقيته السريعة المستمرة ، وانني لمثابر على مطالبة

(١) جريدة العراق العدد - ٢٦ - عام ١٩٢٠م

الحكومة - اي الاحتلال - بحقوقنا المشروعة بكل ثبات ٠٠٠ ولن أخاف في الحق لومة لائم ٠٠٠) (١) بهذه الطريقة استطاعت الجريدة أن توهم أكثر الساسة بنزعتها الوطنية مما حدا (بمحمد مهدي البصير) أن يصيح بأعلى صوته (لتحي جريدة العراق بينما كان يخطف في أحد المهرجانات الثورية) (٢) وشاركت جميع الصحف آنذاك هذا الاتجاه • لهذا شعر المخلصون بخيبة أمل لارتقاء أكثر كتاب الصحف في احضان المستعمر ومن هنا نشأ التيار القومي باجلى مظهرة على السنة الكتاب والصحفيين فزادوا الشعور بهذا قوة وصار الناس يتجاوبون مع شعورهم هذا واصبح الكتاب يرددون : لا يمكن ان يحكم العراق من قبل الانكليز وانما الحكم فيه لابنائهم وابتدأ الصراع بين التيارين وكانت ثمرة كفاح التيار القومي ايقاظ الشعور الوطني والتمهيد لثورة العشرين • فلنستمع الى لون من هذا التيار القومي على لسان محرر مجلة اللسان تحت عنوان - وظيفة الوطني - جاء فيه : (٠٠٠ ان أهم مبدأ يجب على الوطني أن يتمسك به وتتشرب به روحه هو (الحرية) سواء كان في القول أم في العمل أم في الرأي ، حافظا لشرفه من الاهانة ولعرضه من التعرض ، رابط الجأش عند النوائب ، صبورا لدى اشتداد الكوارث • يجب أن يكون الوطني علما بأن للجمعية التي يعيش فيها حقا عليه ٠٠٠ بل الوطنية كل الوطنية هو أن رأى أحدا قد عمل ما يخل بأحد المواطنين أو تجاوز على حق من الحقوق العمومية أن يقف أمامه وقفة الخصم وأن ينصب نفسه كالمحامي عن حقوق الآخرين) (٢) • غير أن الحركة القومية ما كادت تفيق من نكستها الوطنية التي منيت بها أثر فشل ثورة العشرين حتى عاد التيسار القومي بصورة أقوى وأعنف مما كان عليه وكان من نتائجها أن اصطبغ الادب العراقي

(١) المصدر السابق العدد - ٥٢ - في ٣١ تموز عام ١٩٢٠م

(٢) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٥٣

(٣) مجلة اللسان العدد - الاول - عام ١٩١٩م

والفكر العراقي بصغة سياسية في أكثرها مما أدى في النهاية الى تأليف الحكومة الاهلية بانتخاب فيصل ملكا على العراق عام ١٩٢١ • وقد سار المقال السياسي في هذه الفترة بما يحتمه الواجب الوطني والقومي رغم ما لقيه من الملك وأعوانه من تعنت واضطهاد • تلك هي المجالات التي سبج فيها المقال السياسي منذ ظهوره على مسرح الصحافة العراقية حتى تأسيس الحكم الملكي •

المقال في الاتجاه الاجتماعي

ان المشاكل الاجتماعية التي عانى منها العراق منذ القرن التاسع عشر حتى العشرينات من هذا القرن الذي نعيش فيه كثيرة منها مشكلة المرأة وتحريزها ، والجهل ، والفقر ، والمرض • تلك المشاكل التي ارتفعت الصيحات من أجلها مطالبة بالاصلاح على صفحات أكثر الجرائد الشعبية التي كانت المنبر الحر لرجال الاصلاح الذين عملوا جاهدين أن يعينوا الداء الذي كان يشكو منه المجتمع العراقي اذ ذاك • طالب المصلحون أول الامر بتحرير المرأة ، وتعليمها ، ومساواتها بالرجل • هذه الفكرة شغلت بال الرأي العام العراقي أكثر من غيرها من النواحي الاجتماعية وانقسم الكتاب بسببها الى فريقين ، فريق دعا بحرارة وايمان الى تحريرها ومشاركتها الرجل • وفريق آخر ناهض هذا الرأي وجمد على ما رأى آباءه عليه فدعا الى حجابها ، والابقاء على ما كانت عليه أسيرة البيت • ومن أشهر المقالات وأولها التي أضرمت نار المعركة بين الفريقين تلك المقالة التي نشرها الشاعر جميل صدقي الزهاوي على صفحات (جريدة المؤيد الاسبوعي للسيد علي يوسف) بعددها المرقم (٦١٣٨) عام ١٩١٠م تحت عنوان (المرأة والدفاع عنها) مطالبا بحريتها ، مما أحدث ضجة في المجتمع العراقي الذي لم يكن مستعدا لتقبل مثل هذه الدعوة • وأثار نقمة العامة ،

ورجال الدين معلنين سخطهم على الزهاوي متهمين اياه بالكفر والالحاد . لكن الزهاوي تنصل من مقاله تلك خوفا من غضب الناس وهياجهم مما اضطره الى أن يعلن براءته مما اتهم به على صفحات جريدة الرقيب البغدادية بعددها المرقم - ١٧٢ - عام ١٩١٠م بمقال تحت عنوان - شكوى الزهاوي الى ناظم الحكومة - والذي سبق ذكره^(١) . كانت هذه المعركة الصحفية عنيفة ، أنفق العراقيون من الجهد ومن الوقت الشيء الكثير ، حتى أصبحت قضية الدفاع عن حقوق المرأة ، وخصومتها تحتل الصدارة من قضايا الشؤون الاجتماعية الاخرى . فانظر الى مجلة تنوير الافكار في مقالها (الاسلام والدفاع عنه) رداً على مقالة الزهاوي : (اطلعت في عدد المؤيد الاسبوعي على مواضيع مما كتبه جناب الاديب - جميل الزهاوي - ضمنها مقاله التي أسماها - المرأة والدفاع عنها - فاذا قد زل قدمه وشطّ به قلمه الى انتقاد بعض الاحكام القدسية . قال الزهاوي : (وليست المرأة المسلمة مهضومة من جهة واحدة بل هي مهضومة من جهات عديدة فهي مهضومة :

- ١ - لان عقدة الطلاق بيد الرجل .
 - ٢ - لانها لا تراث ن أبويها الا نصف ما يرثه أخوها الرجل .
 - ٣ - مهضومة لانها تعد نصف انسان وشهادتها نصف شهادة .
 - ٤ - لان الرجل يتزوج عليها بثلاث وهي لا تتزوج الا به وحده .
- الخ) •

لقد قلقت نفسي لقول الزهاوي هذا ، واضطربت حواسي وعيل صبري عن السكوت والتسليم له ، اذ لو ساغ لرجل غير مسلم أن يرتاب في صحة التعاليم الاسلامية لما جاوز الحد ••• اني أرى أن التسامح معه

(١) أنظر القصيدة الشعرية في الاتجاه الاجتماعي .

الى هذا الحد مما يزيده تماديا في الباطل وغلوأ في الآراء السخيفة (١) .
ثم تبري جريدة الرقيب في الرد على هذا المقال مناصرة الزهاوي في مقالها
تحت عنوان - الدفاع عن حقوق المرأة - جاء فيه : (قرأنا في مجلة تنوير
الافكار فصلا عقده في الرد على مقالة نشرت بهذا العنوان في (المؤيد) منسوبة
لوطنينا الاديب (جميل صدقي الزهاوي) وقد استغربنا نسبة تلك
المقالة لهذا الفاضل . اذ لا يمكن أن تصدر من أقل الناس علما ودينا ،
مثل تلك الاقوال الزائفة المأفية للقرآن الكريم ولما جاء به الدين
الاسلامي ولكن قد ظهر والله الحمد الحق للعيان وتصل الموما اليه
من تلك المقالة حسبما نشر في الرقيب تحت امضائه ، من أنها مكدوبة
عليه مذيلة بامضائه زوراً ، ولعلها من بعض أعدائه في العراق . . وان
تستر بامضاء هذا الفاضل الذي تبرأ منها . . .) (٢) . وقد ذهب دعاة
الحجاب الى أن مشاركة المرأة الرجل في مختلف المجالات العملية مما
يوقعا في مهاوي خلقية كثيرة تهدد الوضع الاجتماعي . يقول محرر
مجلة تنوير الافكار تحت عنوان - مشروعية الحجاب - جاء فيه : (أصبحت
المرأة مطمح فكر الرجل ومرمى أنظاره ذلك أنه لو أبيع للمرأة أن
تسفر وجهها أو تكشفه وأبيع النظر اليها لغير ضرورة لفسد نظام الهيئة
الاجتماعية واحتل ترتيب المجتمع على أن وجود امرأة غير كاملة في الاداب
والتدين مما لا يرتاب فيه أحد وبالحجاب يذهب الريب فيها ان قلنا
أن المرأة كالرجل عقلا وفهما وادراكا وتحملا للاذى . كما هو رأي
المدافع الذي يريد مساواة المرأة بالرجل فيلزمه الاعتراف بأن لا ضرورة
للتعلم باختلاطهما واجتماعهما بل كل واحد يتوقف رقيه باجتماعه مع
جنسه ، وهو الذي مشت عليه سنة الاقوام الذين حظوا بجانب عظيم من

(١) مجلة تنوير الافكار العدد الثاني - ص ٥٥-٥٧ في ١٩ ايلول
عام ١٩١٠م
(٢) جريدة الرقيب العدد - ١٧٣ - عام ١٩١٠م

المدنية والحضارة) (١) . اشترك في هذه المعركة الفكرية كتاب الصحافة فكانت سجالاً بين مؤيد ومعارض . لذا نرى الجرائد كانت أشبه بالمنبر الحزبي فرأي كعارض رأياً وقول يرد على نقيضه ، وكل يبدي حججه فيما يقول . جاء في مجلة اللسان مقال تحت عنوان - وظيفة المرأة - بقلم فتاة بيروت : (المرأة الحقيقية هي التي عرفت أن لها وظيفة يجب أن تقوم بها ، وواجبات يجب أن تؤديها . هي التي تحسن ادارة منزلها وتتستغل بأعمالها السامية بكل سرور وابتهاج فتجعل منزلها مقراً للهناء ومجلباً للسعادة تربي أولادها مع التقوى والتهديب من نعمات صوتها الرقيق يتولد الحب ومن الحب تتولد الالفه العائلية ، ومن بين كلامها اللطيف تظهر الفضيلة والاخلاص والصدق . على هذه الصفات تربي أولادها الذين سيكونون رجال الغد وعليهم سيتوقف رقي الهيئة الاجتماعية . من بين جدران منزلها يخرج التاجر والمخترع ، ومن بين يديها ينشأ الملك والحاكم ، وبظراتها يربي الفيلسوف والعالم . فمسا أعظم هذه الوظيفة وما أسماها . ما أجمل المرأة عندما تركع أمام سرير طفلها تلقنه لبان العلوم والمعارف ، بل ما أشرفها وهي ترتل له هذه الانغام وهي : الشجاعة ، الدين ، حب الوطن ، خدمة الانسانية فينام على ألفاظها هنيئاً مرتاحاً . هذه هي المرأة التي تربي الطفل بحنوها ولطفها ، هي الأم والاخت والزوجة ، والرجل منقاد اليها في طفولته وشبابه وشيخوخته اذن فهي العالم كله ، وكله سائر كما تهوى) (٢) . ثم أنظر الى مقال تحت عنوان - طال الرقاد فمتى الافاقه - بقلم فتاة دجلة جاء فيه : (. . . . ليس الولد الا كفضن يغرسه الاب ثم تسقيه الام ثم يعلمه المعلم ويقوم عوجه ثم تقطف ثماره القوم . وان من هذب شابا فقد هذب فردا

(١) مجلة تنوير الافكار العدد - الثالث - ص ١٠١-١٠٣ عام

١٩١٠ م .

(٢) مجلة اللسان العدد - الاول - ص ١٣-١٤ عام ١٩١٩ م

واحدا ومن هذب فتاة فقد هذب عائلة بأجمعها • فما لي أرى القوم يسلكون طرقا بعيدة وهم في زرعهم مسرعون • يا فتيات العصر العشرين ••• هل تذكرن حالة نساء العرب في القرون الاولى والوسطى؟ ثم أما تنظرن اليوم حالة الفتاة الغربية ومكاتها من المجتمع البشري! أما تخجلن مني اذا استنهضت الفتيان للأخذ بأيديكن من الحضيض الى العلا والكمال ••• أتجهلن - وما أظن ذلك - كيف كانت جداتكن قد أفحمن الرجال حتى الملوك • أما في أنفسكن كفاءة بأن تؤسسن مشروعا مثلما أسس أولئك الشبان؟ أيتها الفتيات هل أسمع منكن - وليت شعري - جواب (نعم) في القريب العاجل أم لا تستظعن؟ لا تكن أمواتا • وليس على الله بمستكر أن يبت فيكن حياة جديدة فسبحان من يعث من في القبور^(١) • وينبري لفتاة دجلة الكاتب المعروف - رفائيل بطي - يناقشها آراءها مدافعا عن المرأة، مطالبا بحريتها مستشهدا بما نالته أختها من حقوق في مصر وسوريا، تحت عنوان - الى فتاة دجلة - وقد وقع به باسم مستعار عرف به - محب السلام - جاء فيه: (••• كنت أتمنى أن يكون استهلال كلامك غير الذي كان • فانك أنزلت حكمك على أن المرأة ما خلقت لادارة البيت فقط ••• وفي حكمك هذا نظر بل أنظار! وجدت المرأة بعد أن وجد الرجل وظلت أعصراً طوالا تسام من أحفاد ذلك الجد العظيم أبي البشر أنواع الخسف والهوان حتى بزغ فجر التمدن الاوربي وكانت مسألة الجنس قد شغلت أدمغة عقلائهم ومفكريهم، فكان ذلك التطور المجيد محمود العاقبة عليهن، اذ عرف الغربيون معنى المرأة وسر وجودها ووضعوها في الموضع الذي خلقت له ••• ثم جاء القرن العشرون يتهادى، وقد فسح لضلع الرجل في صدره أوسع محل وفيه قال (فكتور هوغو): (ان العصر العشرين سيكون عصر المرأة) • ظل موضوع المرأة

(١) مجلة النادي العلمي العدد الثاني ص ٩ عام ١٩١٩م

أعظم شاغل لعقول الكبار والفضلاء فزرى قسما من الكتاب والشعراء
يحصرون وظيفتها في بيتها منهم الفيلسوف الروسي (تولستوي) •
وقد قال حافظ ابراهيم :

في دورهن شؤونهن كثيرة كشؤون رب السيف والمزراق

ومنهم من يعطيها حق مشاركة الرجل في كافة أعماله ولا يرى له ميزة
عليها نقل عن الفيلسوف (جان جاك روسو) قوله : (ان أردتم
رجالا فضلاء عظماء فاعلموا المرأة العلم والفضيلة) • ولا يمكنني أن أنسى
العلامة - الزهاوي - واضطهاد القوم له لسلوكه هذا السبيل المعروف لدى
الخاص والعام • • والقائتان السورية والمصرية أيتها الفاضلة - قد سبقناك
بأنشواط في مضمار التقدم والمدنية ، ولكن الامل معقود على أمور ستدرकिनها
في هذا الميدان فالى الامام يا فتاة دجلة (^(١)) • وقد كان لهذه
الدعوات الصادقة التي نادى بها الكتاب أثرها الواضح في بعث النفوس
وايقاظ الهمم ، واصلاح ما بلي من عاداتنا ، وتهذيب المرأة التي عليها
يتوقف مستقبل البلاد • وقد أشار الى هذا محرر جريدة العراق تحت
عنوان - خواطر في المرأة ونهضتها العصرية - قائلا : (. . . . لا يمكن
لأمة من الامم أن ترتقي ارتقاء ثابتا ما لم يرتق نساؤها ويصرن قادرات على
القيام بما يطلب منهن كما يرتقي رجالها على حد قول (روزفلت) • •
نرى العراق اليوم في نزعة الى الاصلاح والرقى ، ويعلم كل مفكر أن
أهم مسألة يتحتم علينا العناية بها هي (تهذيب المرأة) لاننا بتهذيب المرأة
نضع حجر الزاوية في عمران الامة • ان المرأة هي العامل الوحيد في رقي
الاسيرة عليها يتوقف مستقبل البلاد (^(٢)) • آت هذه الصيحات

(١) مجلة النادي العلمي - العدد الخامس - ص ٧٥-٧٧ في ١٥ اذار

عام ١٩١٩ م •

(٢) جريدة العراق العدد - ٢٢ - في ٢٦ حزيران عام ١٩٢٠ م

ثمّارها رغم ما لاقته من دعوات بعض الكتاب الذين اتخذوا من الدين وسيلة لايقاف تيار التحرر . فكان المعارضون يرون (في سفور المرأة واختلاطها بالرجل خطراً سيكلف المجتمع مشكلات خطيرة وعدّوا السفور مخالفاً لتعاليم الدين الاسلامي)^(١) . وهكذا انتهت هذه المعركة بفوز دعاة التجدد وانتهى الامر بتحرر المرأة ومشاركتها الرجل في مختلف الميادين . أما النواحي الاجتماعية الاخرى كالبحث على الفضيلة ، والنهي عن الرذيلة ومعالجة الامراض الاجتماعية ، والدعوة الجامعة الى الالفة والمحبة والمثابرة على العمل ، فان كتاب الصحافة لم يغفلوا ذكرها . فقد أرهفت احساسهم وأثارت شعورهم فوصفوا مشاهدتها أصدق تصوير . قال محرر مجلة دار السلام تحت عنوان - الناس أبناء ما يحسنون في يومهم - : (... يجب علينا نحن معاشر العراقيين ، أن نضع نصب أعيننا الارادة ... ونعمل بها لانها ستكون قوام حياتنا الادبية والمادية ... فانتهزوا اذاً - أيها العراقيون الكرام - هذه الفرصة السانحة ... ولا تضيعوها ، لان الفرص تمر مر السحاب . فقدموا سائرين ان أردتم الولوج أبواب النجاح والسير في سبل الفلاح)^(٢) . وهذا محرر جريدة الشرق البغدادية يحدثنا عن الامراض الاجتماعية التي حلت بالمجتمع ويهيب بالمصلحين لعلاجها فيقول : (... يا جبدا لو تبه الشعب العراقي الى اقامة معهد لمعالجة جرائم امراضه الاجتماعية ومداواة أسقامه الادبية ، تلك الامراض والاسقام التي أخذت تفتك بمجتمعنا هذا ... فيا قادة أفكارنا وحملة الاقلام فينا ... وجهوا سهام أقلامكم الحادة ... وسددوا حراب انتقاداتكم المرة الى الخلل الناتج في أعصاب مجتمعنا . واذا ما بان لكم محل الداء ، صفوا العلاج وارشدوا الشعب الى أن يقيم له جامعة كبيرة

(١) يوسف عز الدين - الشعر العراقي الحديث - ص ٢٥١

(٢) مجلة دار السلام - العدد الخامس - ص ١٨٣ في ١٩ آذار عام

تضم بين جدرانها شتاته ، وأرشدوه أن يبني له مدينة جديدة على أنقاض
 مدينته الحاضرة حتى يتعانق أبناء هذا الوطن ويتصافحوا فيسيروا سيرا
 حثيا الى العمل لانعاش هيئتنا الاجتماعية واحياء حياتنا القومية (١) . أما
 الدعوات الاصلاحية التي ترمي الى العطف على الطبقات الفقيرة ، وحث
 الاغنياء على مساعدة المساكين والارامل واليتامى ونحو ذلك ، فقد صور
 الكتاب نواحيها وعرضوها عرضا دقيقا منتزعا من صميم الواقع بقصص
 مؤلمة وعبر بالغة . قول الشاعر معروف الرصافي تحت عنوان - ما حاك في
 الصدور - : (... لا شك أن المسلمين اليوم لو فكروا في اصلاح حالتهم
 الحاضرة وتبعوا داء تأخرهم في العلم وغيره من سائر ضروريات الحياة
 الاجتماعية في هذا العصر لوجدوا لهم من مناجم الثروة في الاوقاف ما هو
 كاف لتقويم أودهم بتشيد صروح العلم في بلادهم وتأسيس كثير من
 المؤسسات الخيرية كملاجيء الفقراء ومجامع العلم وأندية الادب على
 الطراز الذي تقتضيه المدينة العصرية ... نقول يا هؤلاء ان الواقف
 وقف هذا الملك مثلا لصرف وارده في طريق الخير ... حسبما اقتضته
 الظروف التي كانت في زمانه ... فهلموا لبنني مستشفى وهلموا لبنني
 مدرسة فانا في أشد الحاجة الى تغذية الارواح بالعلم ...) (٢) . في تلك
 المجالات الاجتماعية القليلة تجول كتابنا العراقيون واتخذوا من الصحافة
 ميدانا لهم لنشر آرائهم في اصلاح المجتمع العراقي .

(١) جريدة الشرق - ٢٣ - في الثاني من تشرين الاول عام ١٩٢٠م
 (٢) جريدة الرقيب العدد - ١٢٧ - السنة الثانية عام ١٩١٠م

1870
The first of the year
was a very dry one
and the crops were
very poor. The
winter was also
very cold and
the snow was
very deep. The
spring was very
warm and the
crops were very
good. The
summer was very
hot and the
crops were very
poor. The
autumn was very
cold and the
crops were very
poor. The
winter was very
cold and the
snow was very
deep. The
spring was very
warm and the
crops were very
good. The
summer was very
hot and the
crops were very
poor. The
autumn was very
cold and the
crops were very
poor. The
winter was very
cold and the
snow was very
deep.

1871
The first of the year
was a very dry one
and the crops were
very poor. The
winter was also
very cold and
the snow was
very deep. The
spring was very
warm and the
crops were very
good. The
summer was very
hot and the
crops were very
poor. The
autumn was very
cold and the
crops were very
poor. The
winter was very
cold and the
snow was very
deep.

1872

الفصل السابع

تطور الاساليب الصحفية

(١٨٦٩م - ١٩٢١م)

تطور الاساليب الصحفية

(في فترة البحث)

كان لكل فترة من فترات البحث صحف لها طابع خاص يختلف من واحدة لآخرى من حيث الاساليب ، والالفاظ ، والمعاني . وفي هذا الفصل سنتكلم بايجاز عن مدى ما شاركت به الصحافة العراقية في مجال التطور الاسلوبي واللفظي والمعنوي ، وتبيان مقدار تأثير الصحافة في الآراء والافكار في العهود الثلاثة : ١ - العهد العثماني . ٢ - عهد الاحتلال البريطاني . ٣ - عهد الحكم الملكي .

١ - الصحف في العهد العثماني : كان من حظ العراق أن هيا الله له عام ١٨٦٩م والياً - مدحت باشا - عني بشؤون العراق عناية فائقة من جميع نواحيها . وكان من حظه كذلك أن مدحت باشا أول من أنشأ الصحافة في العراق حتى قرنت باسمه . ومنذ أن وطئت أقدام هذا الوالي العراق التفت الى أمور الشعب ، والى السياسة التي اتبعت قبل مجيئه فعمد الى بث مفاهيم الحرية ، والاخاء والمساواة ، واتباع القوانين والانظمة . كل ذلك بفضل جريدة الزوراء التي نبهت كل فرد الى ما له من حقوق وما عليه من واجبات . واذا ما أردنا أن نعرف شيئاً من أخلاق الناس وعاداتهم في تلك الفترة التمسنا ذلك كله في الزوراء اذ تعتبر المرجع المهم لهذه الحقبة . لكن الولاة الذين خلفوا مدحت باشا عمدوا الى طمس معالم الرجل الاصلاحية ، كما أن جريدة الزوراء تغيرت في خطتها وملاحمها وشاركتها في هذا التلون في الاتجاه جريدتا الموصل والبصرة اللتان صدرتا بعدها . وقد كانت هذه الصحف الثلاث في أساليبها أدني الى العامية العراقية منها الى الفصحى لان أكثر الكتاب الذين حرروا فيها

أول الامر كانوا من الانراك الذين لا يحسنون العربية • لذا أصاب القسم العربي منها الركافة في الاسلوب • وتطالع القارىء رطانة لا صلة لها بالعربية والفاظاً عامية حتى ليخيل له أنه غريب في لغته ومصطلحاته • قال الاب أستاس ماري الكرملى واصفاً الزوراء : (واما مواضعها فلا تستحق الذكر واأسفاه على ولاية بغداد أن تكون جريدتها الرسمية بهذه الصورة الدنيئة)^(١) • ومما يلاحظ على جريدة الزوراء التي تمثل طفولة الصحافة العراقية ، كثرة الاغلاط النحوية والاملائية فضلاً عن ضعف الاساليب الكتابية • والامثلة على هذه الاغلاط كثيرة • جاء في مقال تحت عنوان - مواد عمومية - (لا يخفى ان الدولة التي تمتلك أورمانات^(٢) واسعة فلا شك ان هوائها يكون معتدلاً ••• اما ممالك السلطة السنيّة حال كونها مملوءة ••• وبقت تلك الثروة مرمية على الارض)^(٣) نلاحظ هذا الشر أقرب ما يكون الى العامية ، ومرجع هذا أن المجتمع آنذاك كانت تسوده لغات متعددة منها التركية ، والايرانية ، والهندية ، كما أن هدف الجريدة كان منصبا على ايصال الفكرة الى الناس دون الاهتمام باللغة ، والالفاظ ، والنحو مما أدى الى شيوع الالفاظ المعمية والرطانة الواضحة • ثم أنظر الى مقال تحت عنوان - عريضة مخصوصة الى جريدة حقايق الوقائع - لترى العجمة والاسلوب المهلهل وكثرة الاغلاط • (بينما انا في مطالعتي الى نسخة جريدتكم التي نمرتها (١٦٩) الواردة بهذه المرة مع البوستة وقرائتي الى صورة المكالمة التي جرت بين الصلح والحرب واذا ورد جاسوس خيالي الذي كنت قد ارسلته مقدما الى تجسس الافكار وحيث انني قد امرته بالذهاب الى الجبهة الشمالية •••)^(٤) يقول رفائيل

(١) مجلة المسرة اللبنانية عدد شباط عام ١٩١١م

(٢) اسم للاجمة باللغة التركية •

(٣) جريدة الزوراء العدد - ١٣١ - السنة الثانية عام ١٨٧٠م

(٤) جريدة الزوراء العدد - ١٢٨ - السنة الثانية ١٨٧٠م

بطي : (ولغة هذه الصحافة في فجر حياتها تشوبها العجمة وأسلوب الكتابة فيها ضعيف مهلهل وعباراتها مشحونة بالأغلاط اللغوية والنحوية بحيث اهتاج عالم لغوي عراقي كبير فقال في وصف لغة الصحافة في العهد التركي : (كانت لغة جرائد بغداد في العهد العثماني خليطاً من جميع اللغات التي بها متكلمون في الزوراء فترى فيها التركية والكردية والهندية والفارسية ولغة مؤلفة حروف ألفاظها من كل هذه اللغات معا أو من بعض منها)^(١) هذا ما يلاحظه القارئ من حيث اللغة والاسلوب • أما من حيث الموضوعات فكانت تدل على التخلف الثقافي وشيوع الامية مما جعل من النادر أن نجد كاتباً مهماً في هذه الفترة من حياة الزوراء • أما في أواخر أيام الزوراء (في العهد العثماني) فقد تولى تحريرها جماعة من فطاحل الادب واللغة منهم العلامة محمود شكري الالوسي ، وفهمي المدرس ، وجميل صدقي الزهاوي ، مما أدى بها في النهاية الى أن تصل في لغتها وأسلوبها الى الذروة • أنظر الى الزوراء في هذه الامثلة لترى الفرق الواضح في اسلوبها • جاء في عددها (٥٥١) : (••• ان جريدتنا وان كانت حملت فوق عاتق همتها عبئاً ثقيلاً من الوعد والتعهد ••• فان جريدتنا التي قد أزيّنت وتحلت كالغانية الحسنة والجارية الوسيمة الغيداء تجلو قلب من رآها وتسحر سحرًا لا يحل لسواها •••)^(٢) ثم استمع الى مقال بعنوان (أحوال بغداد) • جاء فيه : (••• نسي الملوك ••• ما صدق عليه قول القائل :

يا نائم الليل مسروراً بأوله ان الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تركنن ليل طاب أوله فرب آخر ليل أوقد النارا

وغفلوا عن قولهم :

(١) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٣٥

(٢) الزوراء العدد - ٥٥١ - السنة السابعة •

ولا تقطعن الحبل حبل محبة فانك ان تقطعه فالوصل مشكل

فرجحوا محبة الدنيا الدنية التي هي عبارة عن خمسة أيام بل طيف
منام^(١) والمطالع لهذه الجريدة وزميلاتها في هذه الفترة يجدها تارة تهبط
في لغتها وأسلوبها الى أرك من الركافة وأخرى تصل الى الجودة والاتقان .
وفي ظني أن منشأ هذا يعود الى اختلاف ثقافة محرريها وقابلياتهم المتباينة .
فالقارئ المتصفح لاعدادها المختلفة وفي فترات متباينة يطالعه أحيانا في
عباراتها حسن السبك ، وجزالة اللفظ ، وسلامة التعبير ولا سيما في
اعدادها الاخيرة ، والى جانب هذا يرى عبارات عميقة غامضة ضحلة
والفاظاً أعجمية يصعب فهمها . هذا ما كانت عليه الصحافة قبل اعلان
الدستور العثماني عام ١٩٠٨ م .

أما صحافة العهد العثماني منذ اعلان الدستور عام ١٩٠٨ م ، فقد
لاحظت على صحافته سوء استخدامها للحرية المكفولة بحكم هذا الدستور ،
وميلها الشديد الى الاساليب البذيئة والالفاظ الجارحة . يقول محرر
جريدة العرب البغدادية : (كانت محتويات تلك الصحف الانتقاد بلهجة
شديدة قارصة تدل على تهور وانتقام وسوء أدب وقد يقحم في عباراتها
السب والشتم)^(٢) مما حدا ببعض الكتاب الفضلاء الى الانسحاب من
ميدان الصحافة حتى لا يصيبهم رذاذ من هذا التراشق . يقول رفائيل
بطي : (لم يكن يقدم على الكتابة في هذه الصحف في هذه الفترة العثمانية
حملة العلوم الدينية وأشياخ التدريس والفقهاء . اذ أن الكثيرين منهم
يرون الكتابة في الجرائد السيارة مزريا فهم يربأون بأنفسهم أن يساهموا
في التحرير فيها)^(٣) وقد فتح العثمانيون للصحافة العراقية منذ اعلان

(١) المصدر السابق العدد - ٥٥٧ - السنة السابعة .

(٢) جريدة العرب العدد - ٤٤ - عام ١٩١٧ م

(٣) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٣٥

الدستور ، الباب واسعاً لكل من يريد أن يدخل هذا الباب ولو لم يكن عنده استعداد لدخوله أو قلم يكتب به مقالاته أو ثقافة ولو بسيطة يصدر عنها في كتابة هذه المقالات • فنشأ عن ذلك وجود فئة من الصحفيين لا تحسن التعبير ولا تقوى على الاداء ولا تغري القراء بشيء من جمال العبارة وقوة الاسلوب • فقد اتخذت هذه الفئة من الصحافة وسيلة للعيش والاتجار وتسلمت هذه الفئة كذلك مقاعد الكتاب والادباء مع أن في زوايا العراق ثلثة من كبار الكتاب • وقد عرفوا بأثارهم في صحف مصر والشام كالزهاوي ، والرصافي ، ومحمد رضا الشيبسي ممن كانوا ينشرون قصائدهم ومقالاتهم في صحف الخارج (١) • يقول عبدالقادر حسن أمين : (••• ان كثيراً ممن لا كفاية لهم ، أقبل على الاشتغال بالصحافة الادبية والسياسية ، وهو في الواقع لا يحسن أن يخط سطراً واحداً يسلم من الغلط وقد غدت الصحافة ••• ملاذ المخفقين في حياتهم المدرسية ••• فكانوا أفدح بلاء على الفكر وأرباك الرأي العام) (٢) الا أن أكثر هذه الصحف توارت عن الانظار وهي في مهدها لعزوف الناس عن قراءتها ، ولم تبق الا الجرائد التي عرفت بمكانتها وبعدها عن المهاترة والسعي لخدمة الامة • ومن هذه الجرائد الرقيب وصدى بابل والرياض فقد اختلفت في لغتها وأسلوبها ولها مميزات • ومما يلاحظ أيضاً في هذه الصحف ظاهرة تميزها هي ظاهرة (العنوانات) اذ اتخذت أكثر الصحف عنوانات بارزة مغرية • قد تكون حكمة من الحكيم ، أو شطراً من بيت شعر ، أو ظاهرة تجلب انتباه الرأي العام •

(١) رفائيل بطي - الصحافة في العراق - ص ٣٦

(٢) عبدالقادر حسن أمين - القصص في الادب العراقي الحديث - ص ١٥ بغداد عام ١٩٥٦ م •

وهناك أمثلة منها : (الرجال صناديق مقلدة)^(١) (الحرية روح
الانسانية والمساواة مدينتها)^(٢) (لو ذات سوار لطمتي)^(٣) (صاحب
البيت أدري بالذي فيه)^(٤) . وهذه العنوانات تضمنت التوجيه للرأي العام
فيما يكتبه الكاتب . وقد كان العنوان معبراً تعبيراً صادقاً عن فحوى المقال ،
وان كان هذا المقال كثيراً ما يتميز بالاطالة ، والاطناب ، وغالباً ، ما يكون
مطرزاً بالشعر . أنظر الى هذا المقال تحت عنوان (الحرب والشرف)
للكاتب خير الهنداوي حيث يقول :

(لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم
••••• تالله ان الكرم والشمم ليأبى أن يمسه شرفنا بسوء ••••• ما دام فينا
عرق ينبض في هذه الحياة ، بل الحياة بغير الشرف ما هي الا الموت •••
فاما ممات يفسل العار ذكره . واما حياة تتبع القتح بالفتح)^(٥)

فأنت تشعر انك أمام كتاب يعتمدون في مقالاتهم على طريقة أدبية وهي
تطريز مقالاتهم بالشعر . وقد أكثر معظم كتاب هذه الفترة من الاستشهاد
بآيات القرآن الكريم . قال فهمي المدرس : (••••• أما أبناء يعرب فانهم
اليوم في شغل شاغل ••••• بما خبأته سياسة الاستعمار ••••• وبما صورته
••••• تجعلك تعتقد بأن القوم على بينة من أمرهم وان هي الا أضغاث
أحلام ، أو (كسراب بقية يحسبه الظمان ماء) ••••• وفي تلك الساحة
الغبراء وفي عالم الطيف والخيال حرب عوان بين النفوس الناشزة التي

(١) جريدة الرقيب العدد - ٩١ - عام ١٩١٠م

(٢) جريدة صدى بابل العدد - ٢٢ - عام ١٩١٠م

(٣) المصدر السابق العدد - ٣٣ - عام ١٩١٠م

(٤) المصدر السابق العدد - ٣٩ - عام ١٩١٠م

(٥) جريدة صدى الاسلام العدد - ٨٦ - عام ١٩١٥م

يحملها أناس - سمّاعون للكذب أكلّون للسحت - (١) * ثم أنظر الى جريدة (صدى بابل) حيث تقول : (* * * أما العدل : فهو أساس الملك وحسبك أن الله أمر به فقال :) واذا حكمتهم بين الناس أن تحكموا بالعدل) * * * أما العلم : فالبحث في وجوب تعميمه يعد من قبيل تحصيل الحاصل لان الدستور أوجبه صراحة كما أن الله سبحانه وتعالى قال : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون * * * » (٢) كل ذلك ليجعل الكاتب أسلوبه واضحا سهلا ، متمشيا مع مستوى المخاطب * وتناول الكتاب عرض الفكرة مبسطة متعمدين اثاره وجدان القارىء ، وتوجيهه نحو ايقاظ الحس القومي ، متخذين من أساليبهم وسيلة لمشاركة القارىء تجاربه واحساساته * أما من حيث الالفاظ فيمكن أن نلاحظ الصحف في هذه الفترة تستعمل الالفاظ الواضحة التي ألفها الناس * غير أنه لوحظ كذلك أن بهذه الفترة ألفاظا قديمة تتوارد على أقلام الكتّاب في حالات نادرة ، وهي أدنى الى لغة الشعر منها الى لغة النثر مثل : (المهيح) ، (الاغوار) (الانجاد) ، (تمرع) ، (الرقاد) * * * الخ *

جاء في جريدة الرقيب تحت عنوان - بشرى - : (* * * ولعمري انه لخبر هام يهش له كل عربي بحت اذ جعل العربية لسانا للحكومة مما ينهض بتلك اللغة الشريفة نهضة يخضر بها عودها وتمرع أغوارها ونجودها) (٣) * كما يلاحظ في بعض المقالات أنها تتجه الى الالتزام بالسجع وأكثر ما يكون هذا في المواقف السياسية والوطنية * جاء في مجلة تنوير الافكار مقال تحت عنوان - الانكليز وتحقير العرب - : (* * * فلا تحسبوا أن الامة العربية كغيرها من الامم * * * فهي التي ان غضبت زعزعت

(١) فهمي المدرس - مقالات - ج ١ ص ٢

(٢) جريدة صدى بابل العدد - ٤٠ - عام ١٩١٠م

(٣) جريدة الرقيب العدد - ٩٦ - السنة الثانية ١٩١٠م

وان عادت دمرت ••• خيولها جمة ، وجيوشها فخمة ، لا يثنون لذعر ، ولا يتكرون لدهر • سيوفهم حداد وأعمارهم قصار (١) • والملاحظ كذلك في مقالات جرائد العهد العثماني انها لا تهتم بالتنقيط فتكاد تكون مقالاتها قطعة واحدة مما يصعب على القارئ فهمها الا بعد قراءتها مرات متعددة • هذا ما كان عليه المقال في العهد العثماني • اما القصيدة الشعرية فقد اتجه اكثر الشعراء فيها الى تقليد الماضين في طرائفهم • فصرنا نسمع انماطاً قديمة من الشعر تتخللها بعض الالفاظ التي تدل على قدم هذه الانماط كذلك • من ذلك الفاظ (الدد) (مخاريق) (الارسم الدثر) (الالواح) (الدر) (الارقم) (الغلاصم) ومنشأ هذا كله ، كما قلنا سابقاً ، ان الحكومة العثمانية تعمدت اماتة للغة العربية فلم تهتم بتعليم ابناء العرب كما وان المدارس كانت تدرس باللغة التركية • لذا اتجه اكثر الناس الى دراسة الشعر القديم متخذين منه العظة والعبرة ، واعتمدوا في ذلك على مجهوداتهم الشخصية حين لم تواتهم الفرص التي يتعلمون فيها الادب العربي عن طريق المدرسة او المعهد او الجامعة • جاء في جريدة الرقيب قصيدة للشاعر معروف الرصافي :

هي الساحة النكراء فيها تلاعبت

مخاريق ضيم تخط الجدّ بالد

★ ★ ★

وقد عميت منها النوافذ والكوى

فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود

★ ★ ★

(١) مجلة تنوير الافكار العدد التاسع ص ٣٢٤ عام ١٩١٠م

فلو كان للعباد فيها اقامة

لصلّوا بها ظهرا صلاة التهجد (١)

ولم يكتف الشعراء بهذا بل قلدوا الماضين في استهلال قصائدهم
بمخاطبة الديار ومساءلها • جاء في مجلة تنوير الافكار قصيدة بعنوان :
- حوادث الدهر - :

يا سعد عرّج وقف بالارسم الدر

ونادها كيف أبلتها يد الغير

فأمهل رويدا بدار العلم مستمعا

نداء مستنصر بالله منتصر

كانت تروق بهم في حسن موقعها

من جسر بغداد ذي الالواح والدر (٢)

ثم استمع الى الشاعر خيرى الهنداوي حيث يقول :-

أين قومي وهل ترى غير قومي

امة تصدع الصفا والحديدا

اين قومي ابناء قحطان حازوا

طارف المجد والعلاء التليدا

شهد السيف انهم امة الحرب اذا هزت الكماة البنودا (٣)

وأخيرا فلنستمع الى الشاعر محمد السماوي في قصيدته بعنوان
- دعوة العراقيين - :

(١) جريدة الرقيب العدد - ٩٦ - السنة الثانية عام ١٩١٠م

(٢) مجلة تنوير الافكار العدد الثاني ص ٧٦ عام ١٩١٠م

(٣) جريدة صدى الاسلام العدد - ٧٩ - عام ١٩١٥م

اتم بنو القوم الالى
سبقوا فليس لهم مقاوم
حازوا الفواضل غير مكرثين في حز الغلاصم
فتبعوهم فالاراقم
لم تلد الا الاراقم (١)

هذه هي الطريقة التي اتبعها الكتاب والشعراء في العهد العثماني معبرين عن احساسهم ومشاعرهم واغراضهم متوخين فيها التأثير في نفس القاريء ، باساليب عبروا بها عما يحدث في مجتمعهم بكلمات اختاروها وفق بيئتهم التي عاشوا فيها .

٢ - الصحف في عهد الاحتلال البريطاني :- امتازت الصحف في هذه الفترة بميزات تختلف عما كانت عليه الصحف في العهد التركي . اذ تضافرت عوامل كثيرة على النهوض بالمقالة الصحفية والقصيدة الشعرية . منها : انتشار التعليم في العراق وكثرة عدد المثقفين كما أن القوات المحتلة استمالت خيرة الكتاب العراقيين والشعراء المعروفين الى التحريض في الجرائد والمجلات التي انشأتها واغرت هؤلاء الكتاب والشعراء بان هذه الجرائد والمجلات تبغي بث الفكرة القومية ، وخدمة اللغة العربية ، وتثقيف الشعب . وكانت نتيجة هذا ان برزت الصحف والمجلات متشحة باساليب تمتاز بافكار مبسطة والفاظ سهلة . كما انها امتازت بمعالجة الموضوعات الجديدة التي تفتحت للكتاب والشعراء على نطاق واسع ، كالتحدث عن العلاقات السياسية التي كانت بين العرب والأتراك ، والعلاقة بين الانكليز والعرب ، وما يرومه العراقيون في المستقبل ، ومناقشة هذه الامور جميعا . كما وجدنا ان الكتاب والشعراء اتجهوا الى ابواب اجتماعية تفتحت لهم فاكثروا من ذكرها . والمتصفح لجرائد هذا

(١) جريدة الرقيب العدد - ١٣٣ - السنة الاولى عام ١٩٠٩م

العهد ومجلاته يجدها اتجهت بلغتها واسلوبها وجهة ادبية طابعها التعبير
الواضح واختيار الالفاظ السهلة مع الاهتمام بالمعاني وجودة العبارة والنحو.
كما ان المقال اتجه على العموم الى الاسلوب الموضوعي الواقعي . ولك ان
تتبين هذا في المقتطفات التي نوردتها من صحافة ذلك العهد . جاء في جريدة
العرب مقال تحت عنوان - انكلترا محررة العرب - : (. . . رأيت بريطانيا
ان تحارب الأتراك في العراق فصرحت سرا وجهرا . . . انها لا تحارب
العرب . . . انما تحارب الأتراك . . . اصدقاء الالمان)^(١) ويدرك القاريء
ان هذه المقالة واضحة كل الوضوح . وهناك موضوع اخر كتبت عنه
جريدة العراق يكاد يكون بابا جديدا تطرق اليه الكتاب مرات عديدة الا
وهو موضوع العلم والدعوة الى الانتهاج من فيضه . جاء في جريدة
العراق تحت عنوان - لا حياة للشرقيين الا بالعلم - : (. . . كلما
اقرب الكاتب من مواطن الاخلاص في الفكر والصدق في القول اخترقت
سهام قلمه كبد الحقائق ، وكلما مال به التطرف ، وساقه الغرض الى الطرق
المعوجة والمسالك الوعرة ، طاش سهمه واخفق في مسعا . . .)^(٢) . اظن
القاريء يشعر أن هذا اسلوب جديد اتجه الى الواقعية والموضوعية اضافة
الى انه أبعد عن التعقيد في كتابته بحيث يستطيع ان يفهم قصده العام
والخاص . ثم انظر الى الجريدة نفسها تتطرق الى (الواجبات الاجتماعية)
فتقول : (. . . لا شك ان التعاون هو من أهم الواجبات الاجتماعية
واجلها . وهو من أكبر دواعي التقدم ومن اجل صفات البشر واقدسها . . .
ان الواجب يدعو كل فرد ان يشترك بالالم الذي يصيب افراد امته ويتوجع
لوجعهم وذلك يملية الضمير الطاهر ، والوجدان الشريف . . .)^(٣)
وهذه مجلة دار السلام تحدثنا عن (اركان الدولة) فتقول : (اركان

- (١) جريدة العرب العدد الاول عام ١٩١٧ م
(٢) جريدة العراق العدد الاول عام ١٩٢٠ م
(٣) جريدة العراق العدد التاسع عام ١٩٢٠ م

الدولة اربعة : الدين ، والعدل ، والمشورة ، والمال • ولا تقوم مملكة
يعبت أولياؤها بأحد هذه الاركان ، أو يرين على قلوبهم ما كانوا يكسبون
من هوى او جهل او حمق فيعدلون عن منهج الصواب وعن التمسك
بعراه الوثقى واحترام سننه الكبرى (•••) (١) • فالقاريء يلاحظ أن هذه
المقالة قطعة ادبية امتازت بعلو الاسلوب وتسلسل الفكرة وحسن الاداء
بحيث يفهمها أكبر عدد ممكن من الناس على اختلاف أذواقهم وثقافتهم •
أما القصيدة الشعرية : فقد كانت تحتل المكان الفسيح في جرائد هذه الفترة
ومجلاتها • وبدت القصيدة وكأنها مقال منظوم له هدف يسعى الى تحقيقه،
وبذا تحولت القصيدة عن غرضها القديم من مخاطبة الامير ، والسلطان ،
وذوي المال الى غرض جديد هو مخاطبة الجماهير بالفاظ شعرية ادنى الى
السهولة • والملاحظ ان أكثر الشعراء اولوا عنايتهم بالمعنى الواضح واللفظ
السهل • وهذه أمثلة نسوقها شاهدة على ما نقول • قال معروف الرصافي
من قصيدة عنوانها - تهذيب الفتاة - :-

هي الاخلاق تنبت كالنبات
اذا سقيت بماء المكرمات
واخلاق الوليد تقاس حسنا
باخلاق النساء الوالدات
وليس التبت ينبت في الرياض
كمثل النبت ينبت في الفلاة
ولم ار للخلائق من محل
يهذبهم كصدر الامهات

(١) مجلة دار السلام العدد - ١٤ - عام ١٩١٨م

فيا صدر الفتاة رحبت صدرا
فانت مقر أسنى العاطفات^(١)
ثم استمع الى جريدة (الاقوات البصرية) تحت القوم على النهوض
حيث تقول :-

يا قوم هبوا للعلو
م فففعها لا يحصر
واسستيقظوا من رقدة
من رام عزرا يسهر
قد كتتم الشعب الذي
قحطان فيكم يفخر^(٢)

وهذا (ابن الاريحية) في قصيدة له بعنوان - الا ايها العرب
الكرام - :-

الا ايها العرب الكرام
الى كم ذا التغافل والمنام
افيقوا وانهضوا للمجد جمعا
فما يجديكم الا القيام

* * *

اساموا العرب فيها واستهانوا
ولم يعرف لهم فيها ذمام^(٣)

(١) جريدة العراق العدد - ٩٤ - عام ١٩٢٠م
(٢) جريدة الاوقات البصرية العدد ٣٠ السنة الثالثة عام ١٩١٧م
(٣) جريدة العرب العدد - ٣١ - عام ١٩١٧م

ارأيت كيف اتجهت القصيدة الشعرية بالفـاظها واساليها الى
البساطة ، حتى كأنك تقرأ نثرا مقفى منسقا ومنظما تتجلى فيه وحدة
الموضوع . وقد لوحظ فضلا عن ذلك ان قسما من الشعراء اتجه في
شعره الى القصص الشعري فلنستمع الى (ابن ماء السماء) في قصيدته
- ام الطفل في معترك السلب والحريق في بغداد - حيث يقول :-

لاحت لي امرأة في السوق ماشية
ودمعا فوق صحن الخد هطل
تقود طفلا صغيرا وهي صارخة
رحمك رباه قد ضاقت بي الحال
وقد غدوت عن الدنيا مجردة
لا والد لي ولا عم ولا خال
ولا شقيق ولا زوج ولا صلة
ترجى ولا لي بها دار ولا مال
بل كان لي ولطفلي ها هنا سكن
من بعض اجرتة للقوت نكتال
شب الحريق به والناس قد نهوا
انقاضه فهو هذا اليوم اطلال
رحمك يا رب اني لست قادرة
على المعيشة ربي كيف احتال

★ ★ ★

وقد دنوت قليلا نحوها ولها
حنيت رأسي وحنى الرأس اجلال

وقلت يا هذه لا تيأسي ابدا

فشيمة الدهر ادبار واقبال (١)

وهذا القصص الشعري اكثر ما تردد في شعر الرصافي وجميل صدقي الزهاوي . من هذا تظهر لنا النعمة التي اسديتها الصحافة على الادب العراقي والفكر العراقي اذ نقلته من التقليد الى التجديد ومن الالفاظ المعلقة الى الالفاظ السهلة ومن الاتباع الى الابداع .

٣ - الصحف في العهد الملكي :- ما ان اعلن الحكم الاهلي وانتخاب فيصل ملكاً على العراق عام ١٩٢١م حتى تهافت الكتاب العراقيون على اصدار الجرائد والمجلات لبناء كيان الدولة الجديدة . وقد سار معظم كتاب الصحافة الى توجيه الرأي العام العراقي وابقاظه ودعوته الى العمل والجد والمثابرة للنهوض بهذه المملكة الفتية . لذا كانت المقالة الصحفية فكرة من الفكر يقتنصها الكاتب من الحوادث اليومية فيتأثر لها ثم يعبر عنها ليقدمها لقرائه متحدثاً عن امور متصل اتصالاً وثيقاً بحياة المجتمع في هذه الفترة . كما ان كتاب الصحافة عنوا باللفظ السلس ، والاسلوب السهل لانهم ارادوا توعية الجماهير وتوجيهها نحو هدف يطمحون اليه كالاستقلال ، والحرية ، والعمل . فخطبوا العامي كما خطبوا المثقف . لذا سادت كتاباتهم السلاسة في العبارة ، وعذوبة الحديث ، ووضوح الفكرة لكي يؤدي المقال واجبه . واليك مقتطفات من نشر هذه الفترة . جاء في جريدة - لسان العرب - :- (عدنا بعد غياب طويل الى هذا الوطن الذي خدمناه بكل قوانا وعملنا على اعلاء شأنه بما في طاقتنا ووسعنا وقد جرتنا على مزاوله العمل في ديارنا هذه ما رأينا فيها من آثار الوطنية الصحيحة والسير السريع نحو المعالي والمفاخر والعمل على احياء مجد

(١) جريدة العرب العدد ٣٣ - عام ١٩١٧م .

دارس ... (١) • ثم انظر الى مجلة الناشئة تحدثنا عن (الكاتب العربي) فتقول :- (في العالم العربي اليوم كاتبان الواحد يكتب ليفيد والثاني يكتب ليعيش ومن نكد الدنيا ان يموت الاول ويعيش الثاني • الكاتب العربي الذي يريد ان يعيش من قلمه يجب ان يكون تاجرا لا مصلحا يجب ان يرضي الناس لا ان يقوّم اعوجاجهم واذا لم يكن كذلك مات شرميته • ارني الذين يعجب بهم الرأي العام ويقبل على آثارهم لاريك انهم تجار لا كتاب وبعد ذلك أريك انا من هم الكتبة الحقيقيون وحينئذ ترى انهم أموات لانهم لم يقدرُوا أن يعيشوا) (٢) • وهكذا سارت المقالة على هذا المنوال بما يحتمه الواجب القومي • اما القصيدة الشعرية في هذه الفترة: فقد ظلت محافظة على طابعها السابق في عهد الاحتلال من حيث اللغة والاسلوب • والذي تغير في ملامحها انا صرنا نسمع نغمات الحرية ، والوطنية ، والاستقلال ، والشعب ، الى غيرها من الالفاظ التي نبه اليها الشعراء اضافة الى النواحي الاجتماعية الاخرى من سفور وحجاب وفقر ومرض • أي ان موضوعات القصيدة يقتصرها الشاعر من مناسبات مختلفة ليتخذ من قصيدته عنوانا للتعبير أو لمناقشة ظاهرة من مظاهر المجتمع الكثيرة • وخلاصة القول : أن الادب العراقي مدين بأسلوبه ، ولقته للصحافة العراقية التي مهدت له سبيل التطور ، والازدهار ، ونقله من طور التقليد والتعقيد الى طور التجديد والانفتاح ، وتلك نعمة اغدقتها الصحافة على الادب من حيث نموه وازدهاره •

(١) جريدة لسان العرب العدد الاول في ٢٣ حزيران عام ١٩٢١م

(٢) مجلة الناشئة العدد الثاني عام ١٩٢١م

(الخاتمة)

هذه خلاصة ما استطعت ان ابحته في هذا الموضوع الحيوي الذي ما زال في حاجة الى عناية اكبر ، ورعاية اكثر من قبل الباحثين العراقيين . وقد كشفت فيه جوانب خفيت عن الانظار ، وهي ان الصحافة العراقية صانعة الادب ، واستقصيت في دراستي هذه المراحل التي مرت بهاصحافتنا بمختلف ادوارها بما تيسر لي ، وبما استطعت ان اكشفه . غير ان بحثي هذا ما هو الا بداية الطريق ، فحسب ان يتولاه الباحثون بالدرس ، والاستقصاء لكل فترة صحفية لا بل تتبع كل جريدة ، واشباعها درسا ، وتمحيصا ، لنحجي هذا التراث الذي ظل مهملا سنين طويلة . وبذلك يؤدي الباحثون للصحافة العراقية ، ولتاريخ العراق خدمة هي اعز ما يرجوها عراقنا الحديث . ولا بد لي ان اسجل ما انتهت اليه دراستي هذه من نتائج :-

١ - بدأت صحافتنا في اول امرها بداية مولود جديد اعتراه الوهن ، والضعف في كل ناحية من نواحيه ، شأنها شأن كل جديد يبدأ ساذجا بسيطا حتى ينمو ويتكامل . وهذا ما حدث لصحافتنا في اواخر فترة البحث حين نمت وازدهرت ، وليس من المبالغة في شيء ان نقول ان الصحافة العراقية قديما كانت هي الرائد والقائد للرأي العام ، وقد لا اكون مغاليا اذا ما قلت ان المقالة او القصيدة في صحافتنا القديمة كان على الاكثر ، رائدها الحق ، وديدها الصدق ، لا تركح لحاكم مستبد ، ولا تستحذي لمال او جاه وذلك باستثناء صحافة الاحتلال ، ولنا من جريدة الرقيب ، ومجلة اللسان ، ومجلة لغة العرب وغيرها امثلة واضحة على ذلك .

٢ - ان الصحافة خلال فترة البحث شاركت مشاركة فعالة في تطوير الادب العراقي الحديث ، اذ هجرت الاساليب القديمة التي اصبحت لا تتفق ومطالب العصر الحديث ، والتعبير فيه ، فشاعت الالفاظ السهلة والاساليب المبسطة لان الصحافة ارادت ان تخاطب عامة الناس كما تخاطب الخواص .

٣ - ان اكثر المقالات يعوزها التنظيم الصحفي من مقدمة ، وعرض ، وخاتمة . فقد كانت المقالة اشبه بحديث عام يستحوذ عليه ، في اغلب الاحيان ، الاستطراد والاطناب .

٤ - الظاهرة الملاحظة على صحافة العراق في هذه الفترة اهتمامها بالشعر وذلك يعود الى طبيعة الشعب العراقي الذي هو اقرب الى الطبيعة البدوية ، وما زالت هذه الحالة تستهويه الى يومنا هذا ، لذلك عندما تقرأ أية مقالة تراها متشخخة بالشعر أما من نظم الكاتب ، أو من نظم غيره . وهكذا وجدنا الشعراء هم رواد الصحافة العراقية ، واما كتاب المقال فانهم يأتون بعد ذلك . وهذا بخلاف ما حدث للصحافة المصرية في نفس هذه الفترة التاريخية من ان رواد هذه الصحافة كانوا هم الكتاب ، اما الشعراء فانهم يأتون بعد ذلك .

٥ - الظاهرة التي تسترعي الانتباه أن صحفي العراق عاشوا فترة اضطهاد وسجن وتعذيب ، ففي العهد العثماني عومل الصحفيون المعارضون من ذوي النزعة القومية بقسوة بالغة ، فنفوا الكاتب (داود صليوا) صاحب جريدة صدى بابل ، و (الاب انستاس ماري الكرمللي) صاحب مجلة لغة العرب ، و (ابراهيم صالح شكر) صاحب مجلة الرياحين ، وطاردوا البقية الباقية . لكن هؤلاء الكتاب جميعا بقوا على عقيدتهم رغم الاضطهاد والابعاد ، كما فعلت السلطات المحتلة مثل هذا لتقضي على كل معارضة تقف في وجهها .

٦ - استطاعت الصحافة العراقية ان تغطي ميدانين فقط من الميادين العراقية هما الميدان السياسي ، والميدان الاجتماعي • واما الميدان الادبي والفني فلم نجد للصحافة العراقية فيهما بلاء يستحق الذكر •

٧ - ان اكثر كتّاب الصحافة لم يتفرغوا لكتابتهم لانهم كانوا المالكين لها ، والمصححين لموادها ، والمصنفين لاقلامها ، وكانوا الموزعين في اكثر الاحيان ، لذا كانت كتاباتهم مشحونة بالاختفاء النحوية والاملائية وغيرها •

٨ - ان الصحافة العراقية الشعبية ، في مختلف ادوارها ، قامت على اكتاف الفرد ، فقد كان بإمكان اي فرد يملك ثمن الورق ، والطبع ان يصدر جريدة مما جعل هذه الصحف قصيرة العمر في اغلب الاحيان •

٩ - اهملت السلطات الحاكمة الصحافة ، وكتّابها في مختلف الادوار ، وفوق ذلك جرّدت سيفها الرهيب (قانون المطبوعات) على رقابها ، ورقاب كتّابها فكان هذا اعظم بلية على الصحافة العراقية •

١٠ - واخيرا ان الادب العراقي مدين بأسلوبه ، ولقته للصحافة العراقية التي مهدت له سبيل التطور ، والازدهار ، ونقله من طور التقليد ، والتعقيد ، الى طور التجديد والانفتاح • وتلك نعمة اغدقتها الصحافة على الادب من حيث أسلوبه ، وموضوعاته وغير ذلك •

وبعد :-

فأرجو ان اكون قد وفيت الموضوع حقه او بعض حقه من البحث والدراسة والله الموفق للصواب .

المصادر

| | | |
|------------------|--|-----------------------------|
| بغداد ١٩٦١ | الشعر السياسي العراقي | ابراهيم الواصل |
| بغداد ١٣٢٧هـ | غرائب الاغتراب | أبو الثناء الآلوسی |
| بيروت ١٩٢٣ | قلب العراق | أمين الريحاني |
| بيروت ١٩٢٩ | ملوك العرب الطبعة الثانية ج ٢ | أمين الريحاني |
| بصرة ١٩١٩ | خلاصة تاريخ العراق | أنستاس ماري الكرملي |
| بيروت ١٩٥٦ | أسماء المدن والقرى | أنيس فريحة |
| صيدا ١٣٥٣هـ | ماضى النجف وحاضرها ج ١ | جعفر محبوبه |
| مصر ١٩٢٤ | ديوان الزهاوي | جميل صدقي الزهاوي |
| بغداد ١٩٢٨ | اللباب | جميل صدقي الزهاوي |
| بغداد ١٩٣٤ | الاشمال | جميل صدقي الزهاوي |
| مصر ١٩٥٨ | تاريخ الطباعة في الشرق العربي | خليل صابات |
| بغداد ١٨٩٧ | الاصابة في منع النساء من الكتابة | خيري الدين نعمان الالوسی |
| بغداد ١٩٥٩ | تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي | داود سلوم |
| القاهرة ١٩٥٥ | الصحافة في العراق (معهد الدراسات العربية) | رفائيل بطي |
| مصر ١٩٢٣ | الادب العصري في العراق العربي ج ١ ، ج ٢ | رفائيل بطي |
| بغداد ١٩٥٢ | في فمرة النضال | سليمان فيضي |
| مصر ١٩٠٨ | عبرة وذكري | سليمان البستاني |
| بغداد ١٩٥٨ | أول الطريق | صبيبة الشيخ داود |
| بغداد ١٩٥٦ | العراق بين احتلالين ج ٨ | عباس العزاوي |
| بغداد ١٩٦٣ | الثورة العراقية الكبرى | عبدالله الفياض |
| مطبعة النصر ١٩٤٨ | الصحافة والصحف - الطبعة الاولى | عبدالله حسين |

| | | |
|-------------------|---|--------------------|
| بغداد ١٩٦٢ | نقد وتعريف | عبدالله الجبوري |
| بغداد ١٩٦٦ | من شعرائنا المنسيين | عبدالله الجبوري |
| القاهرة ١٩٥٩ | محاضرات عن الشعر العراقي الحديث | عبدالكريم الدجيلي |
| بغداد ١٩٥٦ | القصص في الادب العراقي الحديث | عبدالقادر حسن أمين |
| بغداد ١٩٦٥ | طبيعة المجتمع العراقي | علي الوردي |
| القاهرة ١٩٦١ | مستقبل الصحافة ج ١ (الطبعة الاولى) | عبداللطيف حمزة |
| القاهرة ١٩٦٣ | الصحافة والمجتمع (الناشر دار العلم) | عبداللطيف حمزة |
| صيدا ١٩٥٢ | الثورة العراقية الكبرى | عبدالرزاق الحسيني |
| النجف ١٩٣٥ | تاريخ الصحافة العراقية ج ١ | عبدالرزاق الحسيني |
| بغداد ١٩٥٩ | تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني | عبدالرزاق الهلالي |
| بغداد ١٩٥٦ | أبي | فائق بطي |
| بيروت ١٩٤٩ | العراق ، دراسة في تطوره السياسي (ترجمة جعفر خياط) | فليب ايرلاند |
| بيروت ١٩١٣ ، ١٩٣٣ | تاريخ الصحافة العربية ج ٢ ، ج ٤ | فيليب دي طرازي |
| بغداد ١٩٣١ | مقالات ج ١ ، ج ٢ | فهمي المدرس |
| بغداد ١٩٦٦ | أنستاس ماري الكرملني ، حياته ومؤلفاته | كوركيس عواد |
| بغداد ١٩٥٤ | أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط) | لونكريك |
| بغداد ١٩٣٥ | تاريخ حرب العراق ج ١ | محمد أمين العمري |
| بيروت ١٩٦٢ | المرأة في حضارة العرب | محمد جميل بيهم |

| | | |
|--------------|--|---------------------------------------|
| بغداد ١٩٢٥ | تاريخ مقدرات العراق السياسية ج ٣ | محمد طاهر العمري |
| بغداد ١٩٢٤ | القضية العراقية ج ١ ، ج ٢ | محمد مهدي البصير |
| بغداد ١٩٤٦ | نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر | محمد مهدي البصير |
| بغداد ١٩٥٧ | البركان | محمد مهدي البصير |
| القاهرة ١٩٥٣ | شرح وتصحيح ديوان الرصافي (الطبعة الرابعة) دار الفكر العربي | مصطفى السقا |
| بغداد ١٩٣٩ | تاريخ الطب في العراق | معمرب خالد الشايبندر ، هاشم الوتري |
| بغداد ١٩٤٤ | الادب العربي | ناصر الحاني |
| القاهرة ١٩٥٤ | محاضرات عن جميل صدقي الزهاوي (معهد الدراسات العليا) | ناصر الحاني |
| موصل ١٩٤٠ | غرائب الاثر (نشر الدكتور محمد صديق الجليلي) | ياسين العمري |
| بغداد ١٩٦٥ | الشعر العراقي : أهدافه وخصائه في القرن التاسع عشر | يوسف عز الدين |
| بغداد ١٩٦٠ | الشعر العراقي الحديث | يوسف عز الدين |
| القاهرة ١٩٦٥ | خيري الهنداوي : حياته وشعره | يوسف عز الدين |

الجرائد

| | |
|-----------|-------------------|
| ١٩١٧-١٨٦٩ | الزوراء |
| ١٩١١-١٩٠٩ | الرقيب |
| ١٩١٤-١٩٠٩ | صدي بابل |
| ١٩١٥ | صدي الاسلام |
| ١٩٢١-١٩١٥ | الاقوات البصرية |
| ١٩٢٠-١٩١٧ | العرب |
| ١٩٤٦-١٩٢٠ | العراق |
| ١٩٢١ | لسان العرب |
| ١٩٢٢ | الناشئة |
| ١٩٢٣ | الامل |
| ١٩٢٣ | الناشئة الجديدة |
| ١٩٢٣ | الاستقلال |
| ١٩٢٩-١٩٢٨ | النهضة العراقية |
| ١٩٢٩ | البلاد |
| ١٩٣٠ | الزمان |
| ١٩٣١ | الاخاء الوطني |
| ١٩٣١ | الاخبار البغدادية |
| ١٩٦٢ | الايام البغدادية |

المجلات

| | |
|-----------|---------------------------------------|
| ١٩١٠ | العلوم |
| ١٩١١-١٩١٠ | العلم |
| ١٩١٠ | تنوير الافكار |
| ١٩٣١-١٩١١ | لغة العرب |
| ١٩١٢ | الحياة |
| ١٩١٣-١٩١٢ | سبيل الرشاد |
| ١٩١٣ | المقتطف القاهرية |
| ١٩١٣ | الفرائد |
| ١٩١٣ | الرصافة |
| ١٩١٤ | مقتبسات |
| ١٩١٤ | النور |
| ١٩٢١-١٩١٨ | دار السلام |
| ١٩١٩ | النادي العلمي |
| ١٩١٩ | اللسان |
| ١٩٢١ | الناشئة |
| ١٩٢٢ | اليقين |
| ١٩٢٢ | الرنيقة |
| ١٩٢٥-١٩٢٤ | الحرية |
| ١٩٣٤ | النجم |
| ١٩٣٩ | المؤرخ |
| ١٩٤٢ | الهلال القاهرية - سلسلة الكتاب الذهبي |
| ١٩٤٥ | منبر الاثير |
| ١٩٦٤ | الاقلام |
| ١٩٦٥ | بغداد |

الفهرست

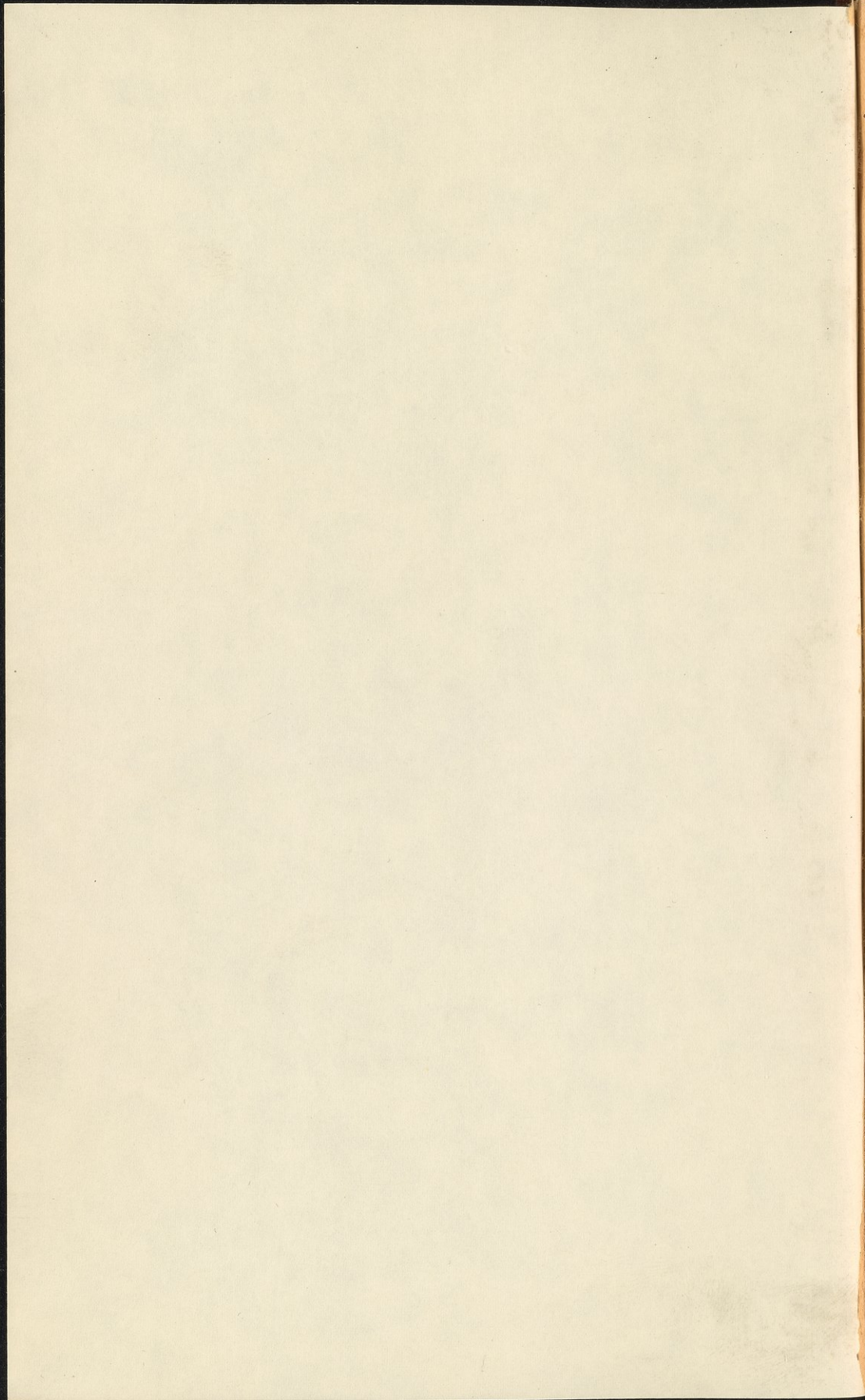
| الصفحة | |
|--------|---------------------------|
| ٤ | التقديم |
| ٧ | المقدمة |
| ١٠ | الفصل الاول : |
| ٢٧ | الحالة السياسية |
| ٣٥ | الحالة الاجتماعية |
| ٤٦ | الحالة الثقافية |
| ٧٤ | الفصل الثاني : |
| ١٤٢ | الصحافة ، نشأتها وتطورها |
| ١٨٢ | الفصل الثالث : |
| ٢٢٠ | أهم الصحف (١٨٦٩ - ١٩٢١) |
| ٢٨٨ | الفصل الرابع : |
| ٣٠٤ | أهم المجلات |
| | الفصل الخامس : |
| | أهم كتّاب الصحافة |
| | الفصل السادس : |
| | الصحافة والادب |
| | الفصل السابع : |
| | تطور الاساليب الصحفية |
| | الخاتمة |
| | ١٩٦٩ / ١٠٠٠ / ٣٣ |

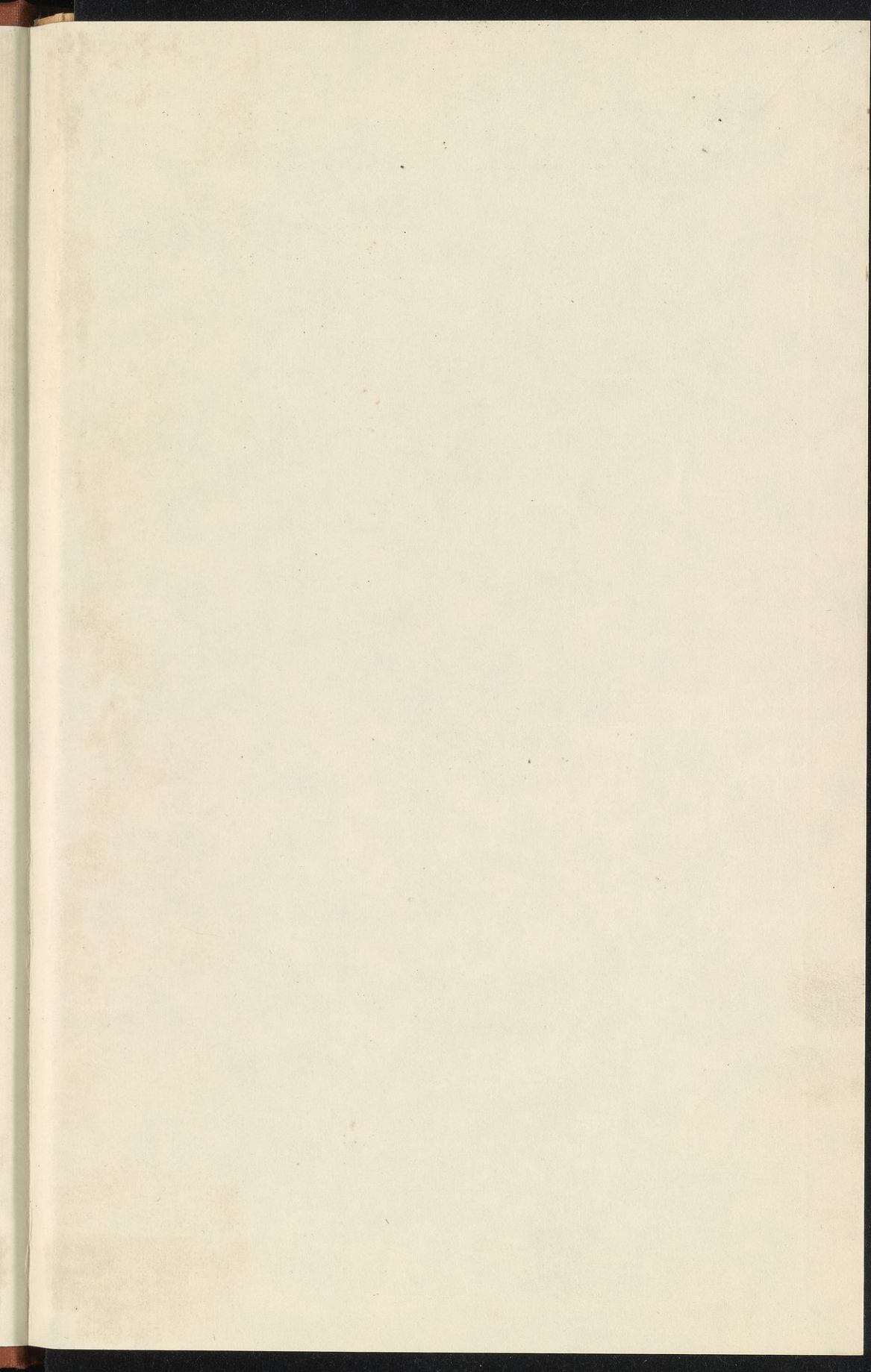
Page
No.
Date
Time
Place
Subject
Remarks

JOURNALISM IN IRAQ
POLITICAL, SOCIAL AND
CULTURAL TRENDS
1839 — 1921

BY

MUNIR BAKIR AL-TIKRITI





COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU50177893

PN5449.I7 T5

al-Sihafah al-Iraqiy